شَرْحُ كِتَابِ

كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

مِنْ تَقْرِيرَاتِ

سَمَاحَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ)

مُفْتِي الدِّيَارِ السُّعُودِيَّةِ وَرَئِيسِ القُضَاةِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ

النُّسْخَةُ الوَحِيدَةُ لِأَوَّلِ شَرْحٍ مُدَوَّنٍ مُنْذُ زَمَنِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ

كَتَبَهُ وَرَتَّبَهُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

حَقَّقَهُ ابْنُهُ

د. عَبْدُ المُحْسِنِ بْنُ مُحَمَّدٍ القَاسِمُ

إِمَامٌ وَخَطِيبُ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

شَرحُ كِتَابِ

كَشفِ الشُّبُهَاتِ

ح عبد المحسن بن محمد القاسم، ١٤٤٥هـ.

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم

شرح كشف الشبهات. / محمد بن إبراهيم آل الشيخ ؛

عبد المحسن بن محمد القاسم. ــ ط١. . - المدينة المنورة، ١٤٤٥هـ.

٣٩٩ص؛ ١٧ × ٢٤سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٤٤٠١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٩٠٥٠-٩

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

شرح كتاب

كشف الشبهات

من تقريرات

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ)

مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية

النسخة الوحيدة لأول شرح مدون منذ زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

كتبه ورتبه

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

حققه ابنه

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يُمكنُ الاطِّلاع وتَحميلُ جميع إصدارات المحقِّق على الرَّابط:

a-alqasim.com/books/

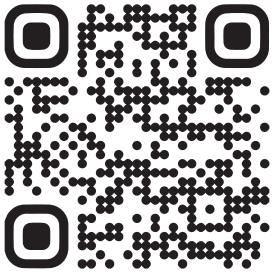

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

فإنَّ العِلْمَ نُورٌ وهدىً للعالمين، وهو ميراث النُّبوَّة، وبه الرِّفعة لأهله في الدَّارين، وهو المُوصِل لرضوان اللَّه وجَنَّته.

وأشرف العلوم ما يُصَحِّح به المرءُ اعتقادَه، فيستقيم للعبد دِينه، ويظفر بصراط اللَّه المستقيم؛ ولهذا كانت العقيدة الصَّحيحة تعلُّماً وتعليماً وتأليفاً وذبّاً ونُصْحاً ودعوةً؛ أُولى أَوْلَويَّات العلماء الرَّاسخين من السَّابقين واللَّاحقِين.

وقد أَوْلَاها سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جُلَّ اهتمامه، فعَكَف على تدريسها أكثر من أربعين عاماً، ومن كتب العقيدة التي أعاد شرحها مِراراً: «**كَشْف الشُّبُهات**» للإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قرأه الشَّيخ الوالد مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ عليه ستَّ مرَّات؛ من عام ستَّة وستِّين وثلاث مئة وألف (١٣٦٦هـ)، إلى عام اثنين وسبعين وثلاث مئة وألف (١٣٧٢هـ).

وكان سماحة الشَّيخ يشرحه، والوالد يُقيِّد شرحَه عليه كاملاً في كلِّ مرَّة، فتكرَّرت كتابته لهذا الشَّرح ستَّ مرَّات، يكتبه في حينه بلَفْظِه وحروفِه مِن فِيه؛ محافظةً على أمانة النَّقْل، وحِرْصاً على تقييد الفوائد،

فخرج شرحاً نافعاً من تقريرات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

ولأهمِّيَّة هذا الشَّرح، ولكونه النُّسخة الوحيدة لأوَّلِ شرحٍ مُدَوَّن منذ زمن المُصنِّف، وإنفاذاً لوصيَّة الوالد لي - مشافهةً وكتابةً - بتحقيق كُتُبِه وإخراجها؛ عملتُ على تحقيقه، وقدَّمتُ بين يدي ذلك ما يأتي:

أوَّلاً: ترجمة المصنِّف إمام الدَّعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثانياً: ترجمة الشَّارح سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثالثاً: ترجمة الوالد العلَّامة مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ.

رابعاً: أهمِّيَّة «كَشْف الشُّبُهات».

خامساً: مزايا الشَّرح.

سادساً: منهج التَّحقيق.

أسأل اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أن ينفع بهذا الشَّرح كما نَفَع بأصلِه، وأن يجزيَ علماء المسلمين خير الجزاء وأوفاه، وأن يتغمَّدهم بمغفرته ورحمته، وأن يجمعنا بهم في جنَّات النَّعيم.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِه، وصحبِه أجمعين.

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

فَرَغْتُ مِنْهُ فِي التَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ عَامَ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

(١) المراد بالتَّقريرات هنا: ما أملاه سماحتُه رَحِمَهُ اللَّهُ من العِلم عن ظهر قلبٍ.

تَرْجَمَةُ إِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (١)

(١١١٥ - ١٢٠٦هـ)

---

(١) هذه التَّرجمة مختصرة من كتابنا: «تَرْجَمَةُ إِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: أبو عليٍّ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّاب بن سليمان بن عليٍّ بن مُحمَّد بن أحمد بن راشد بن بُرَيد بن مُحمَّد بن بُرَيد بن مُشرَّف، من بَطن الوُهَبة من تميم.

وُلِد سنة (١١١٥هـ) في نجد[١]، في بلدة «العُيَيْنة»[٢].

(١) نَجْد: موضعٌ واسعٌ، قاعدته وسط المملكة العربيَّة السُّعوديَّة؛ وحدوده شمالاً: صحراء النُّفود، وجنوباً: الرُّبع الخالي، والجنوب الغربي: مرتفعات عسير، وشرقاً: الدَّهناء، وغرباً: جبال الحجاز.

(٢) العُيَيْنة: شمال الرِّياض، تَبعُد عنها خمسة وثلاثين (٣٥) كيلومتراً.

أُسرتُه

مَقَرُّ أُسرته «آل مُشرَّف»: بلدة أُشيقر[١]، وقد تنقَّلَت بين عدَّة بلدان، وبيان ذلك في الآتي:

١ - جَدُّه الشَّيخ سليمان: وُلِد ونشأ في بلدة أُشيقر، وأخذ العلم عن علمائها، وأخذ عنه بعضُهم.

ثمَّ طَلبه أهل رَوضة سُدير[٢] قاضياً لهم، فانتقل إليهم.

ثمَّ انتقل إلى العُيَيْنة، وصار قاضياً فيها واستوطنها، وتزوَّج فاطمةَ ابنة الشَّيخ أحمد بن مُحمَّد بن بسَّام، وتوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في العُيَيْنة.

٢ - والده الشَّيخ عبد الوهَّاب: وُلِد في العُيَيْنة، ونشأ وتعلَّم فيها، ثمَّ صار قاضياً فيها، وتزوَّج بنت مُحمَّد بن عزَّاز المشرفيِّ، وأنجبت منه ابنين هما: الشَّيخ مُحمَّد، والشَّيخ سليمان.

ثمَّ انتقل الشَّيخ عبد الوهَّاب إلى حُرَيْمَلاء[٣]، ومكث فيها قاضياً من عام (١١٣٩هـ) إلى وفاته عام (١١٥٣هـ).

٣ - الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب: ارتحل من حُرَيْمَلاء إلى العُيَيْنة، وتزوَّج الجوهرة بنت عبد اللَّه بن مُعَمَّر - عمَّة أمير العُيَيْنة

(١) أُشيقر: شمال غرب الرِّياض، تَبعُد عنها مئتي (٢٠٠) كيلومترٍ.
(٢) روضة سُدير: شمال غرب الرِّياض، تَبعُد عنها مئة وثمانين (١٨٠) كيلومتراً.
(٣) حُرَيْمَلاء: شمال غرب الرِّياض، تَبعُد عنها خمسة وثمانين (٨٥) كيلومتراً.

عثمان بن مُعَمَّر -، ومكث فيها مدَّة، ثمَّ خرج إلى الدِّرْعِيَّة[١] واستقرَّ فيها حتى وفاته.

وللشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ستَّة أبناء، وهم: عليٌّ، وعبد اللَّه، وحسن، وحسين، وإبراهيم، وعبد العزيز.

وله بنات.

وأُسرتُه تَنحدرُ من أبنائه الأربعة: عليٍّ، وعبد اللَّه، وحسن، وحسين، أمَّا إبراهيم وعبد العزيز فليس لهما عَقِب.

(١) الدِّرْعِيَّة: تقع شمال غرب الرِّياض، وهي الآن ملتصقة بها.

نَشأتُه

نَشَأَ في بيتِ عِلْمٍ ودِينٍ وصلاحٍ، فعمُّ جدِّه الثَّالث، وابن عمِّ جدِّه الثَّالث، وجَدُّه، وأبوه، وأخوه، وابنا أخيه، وعمَّاه، وابنُ عمِّه، وابنُ عمَّته، وخالُه؛ كلُّهم مِنْ أَهلِ العلم، وبيان ذلك في الآتي:

١ - عمُّ جدِّه الثَّالث عبد القادر بن راشد بن بُريد: من العلماء؛ تلقَّى العلم عن الشَّيخ أحمد بن يحيى بن عَطْوَة[(١)].

٢ - ابن عمِّ جدِّه الثَّالث محمَّد بن عبد القادر بن راشد بن بُريد: من العلماء؛ تلقَّى العلم عن الشَّيخ أحمد بن يحيى بن عَطْوَة.

٣ - جَدُّه سليمان: مُفتي نَجْد في زمانه ورَئيسُ علمائها، وأَوسعُهم علماً، صَنَّف، ودَرَّس، وَوَلِيَ قضاء روضة سُدير، ثمَّ العُيَيْنة، وكان معاصراً لإمام المذهب الحنبليِّ في مصر الشَّيخ منصور بن يونس البُهُوتيِّ، واجتمع به في مكَّة عام (١٠٤٩هـ).

قال حَفيدُه الشَّيخ عبدُ الرَّحْمَن بن حَسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أفقه مَنْ نزل نَجْداً في وقته، فتخَرَّجَ عليه خلقٌ كثير مِنْ أَهلِ نَجْد»[(٢)].

---

(١) هو: أحمد بن يحيى بن عَطْوَة بن زيد التَّميميُّ، عالمُ نجدٍ ومفتيها، ولد في العُيَينة، ورحل إلى الشَّام، وتلقَّى العلم عن علمائها، ومنهم: العلَّامة عليُّ بن سليمان المَرداويُّ صاحب «الإنصاف» (ت٨٨٥هـ)، نشر المذهب الحنبليَّ في نجد، وهو أوَّل عالمٍ نجديٍّ تصل إلينا أخباره ومؤلَّفاته، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجُبيلة - بالقرب من العُيَينة - سنة (٩٤٨هـ). مجلَّة الدَّارة، العدد الرَّابع، السَّنة السَّادسة والثَّلاثون، (ص١٣١).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٦/١٢).

٤ - والده عبد الوهَّاب: فَقيهٌ وعَالِمٌ كَبير، كان مفتي العُيَيْنة وما حولها، تولَّى قضاء العُيَيْنة أربعة عشر عاماً؛ من عام (١١٢٥هـ) إلى عام (١١٣٩هـ)، ثمَّ انتقل إلى حُرَيْمَلاء، ووَلِيَ قضاءها أربعة عشر عاماً إلى وفاته عام (١١٥٣هـ).

٥ - أخوه سليمان بن عبد الوهَّاب: كان فقيهاً وقاضياً في حُرَيْمَلاء.

٦ - ابن أخيه عبد اللَّه بن سليمان: من أهل العلم والعبادة والوَرَع.

٧ - ابن أخيه عبد العزيز بن سليمان: من أهل العلم والعبادة والوَرَع.

٨ - عمُّه إبراهيم بن سليمان: فقيه، وَلِيَ القضاء في أُشيقر، وكان يسافر إلى ما حولها من البلاد؛ لحاجتهم إليه في الإفتاء، ويُوَثِّق ما يقع بينهم من معاملات، وكان عليه اعتمادهم فيما كتَبَه وأثبَتَه.

٩ - عمُّه الثَّاني أحمد بن سليمان: من العلماء.

١٠ - ابنُ عمِّه عبد الرَّحمن بن إبراهيم: كان عالِماً فقيهاً.

١١ - ابن عمَّته الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن فيروز، أبو مُحمَّد الكفيف الأحسائيُّ، مِنْ كبار علماء الأحساء[١].

(١) الأحساء: شرق الرِّياض، تَبعُد عنها ثلاث مئة وعشرين (٣٢٠) كيلومتراً.

١٢ - خاله سيف بن مُحمَّد بن عزَّاز: من الفقهاء، تَصَدَّى للإفتاء والتَّدريس.

قال ابن بسَّام رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو مِنْ بيت عِلْم كبيرٍ، قد تَوَارَثُوه أباً عن جَدٍّ»(١).

ولا أَعرفُ في التَّاريخ أُسرة بقي العِلمُ في آبائهم وأبنائهم خمسة قرون متتابعة سواها.

(١) علماء نَجْد خلال ثمانية قرون (١/ ١٢٧).

أَخلاقُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ دَمِث الأخلاق، رفيع التَّعامل، مُتحلِّياً بأخلاق القرآن والسُّنَّة، ويظهر ذلك في الآتي:

١ - يُحِبُّ العفو والصَّفح؛ فقد كان لجَدِّه الشَّيخ سليمان بستانان في أُشيقر، فاسْتَوْلَى عليهما بعض النَّاس، فلمَّا ظهر أمرُ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب جاء أحد المُستَوْلِينَ عليهما، فقال: «يا شيخ، بأيدينا سِبْلٌ لكم[١]، وأبيك[٢] تمضيها لي[٣]، فقال له الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما استرخصتنا أوَّل، ولا نحن بجايينك فيها تالي[٤]»[٥].

٢ - يَحُثُّ الآخرين على الحِلم والعفو والصَّفح، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكرتَ مِنْ طرف مراسلة سليمان، فلا ينبغي أنَّها تزعِّلك[٦]: أوَّلاً: أنَّه لو خَالَف فمِثْلُك يَحْلُم، ولا يَأتِي بغَايَتِه هذا ولا أكثر منه، وثانياً: إنَّك إذا عَرفتَ أنَّ كَلامَه ما له فيه قصد إلَّا الجهدة[٧] في الدِّين ولو صار مُخطئاً، فالأعمال بالنِّيَّات؛ والذي هذا مَقصِدُه يُغتفرُ له ولو جهل

(١) أي: وقْفٌ.
(٢) أي: أُرِيدك.
(٣) أي: تجيزها فتكتب أنَّها لنا.
(٤) أي: لم تَأْخُذْ إِذنَنا حين الاستيلاء عليها، ولن نَأتِيَكَ بعد استيلائك عليها.
(٥) علماء نَجْد خلال ثمانية قرون (١/ ١٢٨).
(٦) الزَّعل: الضِّيق والضَّجَر.
(٧) أي: الاجتهاد.

عليكَ، ونَحنُ مُلزِّمون[١] عليك لَزمة جيَّدة، وربُّك ونبيُّك ودِينُك لَزمتُهم لَزمة تتلاشى فيها كلُّ لَزمة»[٢].

٣ - يُحسِن إلى مَنْ يُسيءُ إليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولك: أُرِيد أماناً على كذا وكذا؛ فأنت مخالف، والخاصُّ والعامُّ يفرحون بمجيئك، مثلما فَرِحوا بمجيء ابن غنَّام، والمَنقور، وابن عُضيب؛ مع أنَّ ابنَ عُضيب أكثر النَّاس سَبّاً لهذا الدِّين إلى الآن، وراحوا مُوقَّرين محشومين[٣]، كيف لو تجيء أنت؟ كيف تَظنُّ أنْ يَجيئك ما تكره؟! فإنْ أَردتَ تجديد الأمان على ما بغيت؛ فاكْتُبْ لي»[٤].

٤ - إنْ عَاتَب مَنْ أَساءَ إليه فيُعاتِبُه بأَحسنِ الكلام، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَصَل إلينا مِنْ نَاحِيَتِكُم مكاتيب[٥]، فيها إِنكارٌ وتَغليظٌ عَلَيَّ، ولَمَّا قيل: إنَّك كَتَبْتَ معهم، وَقَع في الخاطر بعض الشَّيء؛ لأنَّ اللَّهَ سبحانه نشر لك من الذِّكْر الجميل، وأنزل في قلوب عباده لك من المَحبَّة ما لم يؤته كثيراً من النَّاس»[٦].

٥ - يُراعي مشاعر الآخرين، ويخشى أنْ يُفهَم كلامه على غير وجهه؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يَدخل خواطرَكم[٧] غِلْظةُ هذا الكلام، فاللَّه سبحانه يَعلَم قَصدِي به»[٨].

---

(١) أي: مؤكِّدون.
(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٢/ ٦١).
(٣) أي: مكرَمين.
(٤) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٨٠).
(٥) أي: رسائل.
(٦) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٣٥).
(٧) أي: في أنفسكم.
(٨) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤١٧).

٦ - كان وفِيّاً مع مَنْ أحسن إليه، فلا ينسى معروف أهل الفَضْلِ؛ طلب أمير العُيَيْنة عثمانُ بن معمَّرٍ من الشَّيخ الخروجَ من العُيَيْنة، ولمَّا خرج الشَّيخ إلى الدِّرْعِيَّة ونصَرَه الإمام مُحمَّد بن سعود وظهر أمرُه، نَدِم عثمان بن معمَّرٍ على خروج الشَّيخ من بلده، فطلب منه الرُّجوع إليه في العُيَيْنة ووعده بنَصْرِه، فقال الشَّيخ: «ليس ذلك إليَّ، إنَّه لمُحمَّد بن سعود؛ فإنْ أَرادَ أن أذهبَ معك ذهبتُ، وإنْ أراد أن أُقيمَ عنده أَقمتُ، ولا أَستبدل برجل تلقَّاني بالقَبول غيرَه»[١].

٧ - كان شديد التَّواضع، قال ابن بِشْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما عَلِمْنَا أحداً أَلْيَن ولا أَخْفَض منه جانباً لطالب علم، أو سائلٍ، أو ذي حاجة، أو مقتبس فائدة»[٢].

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَع أَئمَّة الدِّين في زمانه، وبعد زمانه، على تقدُّمه في شأنِه ونُبْلِه، وعُلُوِّ مقامه ومكانه»[٣].

(١) تاريخ نَجْد (ص٨٢).
(٢) عنوان المَجْد في تاريخ نَجْد (١/ ١٨١).
(٣) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣١٤).

سَلامةُ صَدرِه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ سليم الصَّدْر، لا يحسد أحداً، ولا يؤذيه، وبَيانُ ذلك في الآتي:

١ - يَتحَاشَى أنْ يُسِيءَ لأَحدٍ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَخافُ أُطوِّل الكلام، فيجري فيه شيء يُزعِّلكم»[(١)].

٢ - يُكدِّر خاطرَه ضَجرُ الآخَرين منه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي يُكدِّر الخاطرَ زَعلُكم، وإِظهارُكم للنَّاس الزَّعل والتَّغيُّر؛ بسبب ظنِّ سُوءٍ»[(٢)].

٣ - يَتضايَقُ من استياء الآخَرين منه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يَخفَاكُم أنَّ معي غيظاً عظيماً، ومُضايَقَة مِنْ زَعلِكم»[(٣)].

٤ - يُحِبُّ مَنْ يُنَبِّهه؛ لِئلَّا يبقى في خَاطرِ أَحدٍ شيءٌ عليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإِنْ كان بَلغكَ عنِّي شيء، فنبِّهني جزاك اللَّه خيراً»[(٤)].

٥ - يَحُثُّ الآخَرين أنْ لا يبقى في خَاطِرِهم شيء إلَّا ويُنَبِّهونَه عليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنْ كان جارياً منِّي شيءٌ تَنقُده[(٥)]، فتراني أُحبُّ أن تُنَبِّهني عليه، لا تترك بيان شيءٍ في خَاطرِك مِنْ قِبَلي»[(٦)].

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٨/ ٥٤).
(٢) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٨).
(٣) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٥).
(٤) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٨/ ٥٧).
(٥) أي: تعيبُه عليَّ.
(٦) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٩).

٦ - يُحِبُّ أنْ يَنصَحَه أَحدٌ كلَّما غَلِط، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنا أَجِدُ في نفسي أنَّ ودِّي مَنْ يَنصَحُنِي كلَّما غَلطتُ»(١).

٧ - يُبَيِّن للنَّاس أنَّهم إنْ رأَوْا منه شيئاً عليه، فالواجب عليهم مذاكرته ومناصحته، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنْ كان الصَّواب معهم، أو معنا شيء مِن الحقِّ وشيء مِن الباطل، أو معنا غُلوٌّ في بعض الأمور؛ فالواجبُ مِنكَ مُذاكَرَتنا ونَصيحتنا»(٢).

٨ - يَذكُر للنَّاس أنَّه إن نَبَّهه أحدٌ عن شيء، فإنَّه لا يدخل في خَاطرِه شيءٌ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنْ كان مذكوراً لكم أنِّي قَائلٌ شيئاً، أو قَائلٌ أَحدٌ يحضرني كلامَ سوء ولا ردَّيت عليه، فاذكروا لي؛ ترى التَّنبيه حسن، ولا يدخل خَاطرِي إلَّا رُبَّما أنِّي أعرف أنَّه مَحَبَّةٌ وصَفوٌ»(٣).

٩ - لا يَحسدُ أحداً؛ بل يذكر محاسنه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنتُ أحكي لمَنْ يتعلَّم منِّي: ما مَنَّ اللَّهُ به عليكَ مِنْ حسن الفَهم، ومَحَبَّة اللَّه والدَّار الآخرة»(٤).

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمَع بين خَلَّتَي العلم والحَسَب والنَّسَب، والعَقْل والفَضْل، والخَلْق والخُلُق، مع سلامة الصَّدر، واللُّطفِ والرِّفق، وحُسنِ النِّيَّة، وطِيبِ الطَّويَّة»(٥).

---

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤٢٣).
(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤٤٢).
(٣) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٨).
(٤) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٢٥٠).
(٥) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٢٣).

صِفاتُه

جَمَع اللَّهُ له من المناقب والفضائل ما أوجبَتْ له القَبول، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يَتحلَّى بصفاتٍ جَليلةٍ؛ منها:

١ - كان ذا رَأيٍ سَديدٍ، وفِراسةٍ.

٢ - كان سمحاً جواداً كريماً.

٣ - كان عَطاؤُه عَطاءَ مَنْ وَثِق باللَّه.

٤ - كان يَتحمَّلُ الدَّين الكثير لأَضيافِه وَسَائِليه والوَافِدِين عليه.

٥ - كان بيت المال تحت يده، ولكنَّه كان وَرِعاً متعفِّفاً، ولم يُخلِّف لورثته شيئاً، قال تلميذه ابن غنَّام رَحِمَهُ اللَّهُ: «توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يُخَلِّف ديناراً ولا درهماً، فلم يُوزَّع بين وَرَثَتِه مالٌ ولم يُقسَم؛ بل كان عليه دَينٌ كَثيرٌ»[(١)].

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعدودٌ مِنْ أكابر السَّلَف الماضِين»[(٢)].

(١) روضة الأفكار والأفهام (٢/ ٩٠٣).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ١٦).

ذَكاؤُه

كان شديد الذَّكاء، سريعَ الحِفْظ، حادَّ الفَهْمِ، قويَّ الإدراك، وممَّا يَدلُّ على ذلك:

١ - حَفِظَ القرآن قبل بلوغه سِنَّ العاشرة.

٢ - حَفِظَ أحاديث كثيرة، قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَرَع في الحديث وحِفْظِه، فقَلَّ مَنْ يَحفظ مثلَه، مع سرعة استحضاره له وقت إقامة الدَّليل»[١].

٣ - ظَهَرَ نُبوغُه مُبَكِّراً، فقد أَرسلَ وَالدُه رِسالةً إلى الشَّيخ أحمد المنقور، وفي آخرها يُبَلِّغه سلام ابنه مُحمَّد بن عبد الوهَّاب، وعُمُره أقلُّ من عشر (١٠) سنوات[٢].

٤ - قَدَّمه والدُه إماماً للصَّلاة بالنَّاس وعُمُره اثنا عشر (١٢) عاماً.

٥ - كان يُناظِرُ أباه وعَمَّه وعُمُره اثنا عشر (١٢) عاماً في بعض المسائل بالدَّليل على بعض الرِّوايات عن الإمام أحمد، والوجوه عن الأصحاب، وناظَرَهما في مسائل قرأها في «الشَّرح الكبير» و«المُغني» و«الإنصاف»؛ لما فيها من مخالفة ما في متن «المُنْتَهى» و«الإقْنَاع».

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٢٣).

(٢) الشَّيخ أحمد المنقور توفي رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١١٢٥هـ)، ومُحمَّد بن عبد الوهَّاب ولد عام (١١١٥هـ).

٦ - عَجِب أَهلُه مِنْ فِطنَتِه وذَكائِه، قال أخوه سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أَبُوه يَتعجَّب مِنْ فَهْمِه، ويَعترفُ بالاستفادة منه مع صِغَر سِنِّه»[١].

٧ - كان ذا نَباهَة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ لأَحدِ خُصومِه: «وليس الذي يَذكر هذا عنك بعشرةٍ[٢] ولا عشرين ولا ثلاثين، ولا أنت بمُتخفٍّ في ذلك، ثمَّ تَظنُّ في خَاطِرِك أنَّ هذا يخفى عَلَيَّ وأنا أُصدِّقُك إذا قُلتَ ما قُلتَ؟!»[٣].

٨ - كان يَعرف خُطوط النَّاس، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا مِنْ باب السُّؤالات، وأنَّكم بلغكم أنِّي ظانٌّ أنَّها مِنْ عبد اللَّه، فهذا عَجَبٌ؛ كيف تظنُّون أنِّي ما أعرف خَطَّ ابن صالح؟!»[٤].

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَمع مِنْ وَالدِه ومِنْ فقهاء نَجْد في وقته، واشتهر عندهم بالعِلْم والذَّكاء، وعُرِف به على صِغر سِنِّه»[٥].

(١) مشاهير علماء نَجْد وغيرهم (ص١٧).
(٢) أي: عشرة رجال.
(٣) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٢٨٠).
(٤) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٣١٨).
(٥) مصباح الظَّلام (١/ ٤٩).

عِبادتُه

كان الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جانب علمه عابداً، ومِنْ ذلك ما يأتي:

١ - يُذَكِّر نفسَه وغيرَه بالإخلاص، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجبُ على الكلِّ - مِنَّا ومنكم - أنَّه يَقصِدُ بعِلْمِه وَجهَ اللَّه»[١].

٢ - كان يُحيي كثيراً من اللَّيل بالصَّلاة.

٣ - كان مُكثِراً مِنْ تلاوة القرآن في دُجَى الظَّلام.

٤ - كان في النَّهار يَشتغلُ بالتَّدريس والتَّصنيف.

٥ - كان كثير الذِّكْر للَّه، قَلَّ ما يَفتُر لسانُه مِنْ قول: «سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلَّا اللَّه، واللَّه أكبر»، وإذا كان النَّاس يَنتظرُونَه، يَعلَمُون إقبالَه عليهم قبل أنْ يَرَوْه؛ مِنْ كَثرةِ لَهَجِه بالتَّسبيح والتَّحميد والتَّهليل والتَّكبير.

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت حالُه رَحِمَهُ اللَّهُ في العبادة والزُّهد والوَرَعِ مشهورةً بين الأنام»[٢].

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٥٦).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٣٩).

رِحلتُه في طَلَبِ العِلم

طَلَبَ العِلْمَ مُبَكِّراً قبل بلوغه على مشايخ بلدته - العُيَيْنة -، ثمَّ رحل لطلب العلم إلى مكَّة والمدينة والبصرة[١] والأحساء مراراً، واجتمع بمَنْ فيها مِن العلماء، فسَمِع وناظر، وبحث واستفاد؛ وبَيانُ ذلك فيما يأتي:

١ - طَلَبَ العلم في العُيَيْنة على وَالدِه وعلى عُلمائِها.

٢ - في السَّنة الثَّانية عشرة مِنْ عُمُره سافر للحجِّ، ثمَّ قَصَد المدينة لطَلَبِ العلم، ومكث بها شهرين.

٣ - عاد للعُيَيْنة، وشرع في القراءة على والده وعمِّه إبراهيم في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

٤ - سافر إلى مكَّة مراراً لطلب العلم.

٥ - أَخذَ يَتردَّد على علماء المدينة المنوَّرة، وأقام بها مدَّة، وقرأ فيها على العلماء الآتي ذكرهم:

أ - المُحَدِّث عبد اللَّه بن إبراهيم بن سيف النَّجديُّ - مِن المَجْمَعة[٢] -، ثمَّ المدنيُّ.

---

(١) البصرة: مدينةٌ جنوب شرق بغداد، تَبعُد عنها خمس مئة وثلاثين (٥٣٠) كيلومتراً.

(٢) المَجْمَعة: شمال غرب الرِّياض، تَبعُد عنها مئة وتسعين (١٩٠) كيلومتراً.

ب - مُحَدِّث الحرمين مُحمَّد حياة بن إبراهيم السِّنْدِيُّ المدنيُّ - له حاشية على صحيح البخاريِّ -، قال عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان له أكبر الأثر في توجيهه إلى إخلاص توحيد عبادة اللَّه، والتَّخلُّص مِنْ رِقِّ التَّقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسُّنَّة»[(١)].

ج - المُحَدِّث إسماعيل بن مُحمَّد العجلونيُّ الدِّمشقيُّ.

د - المُحَدِّث عليٌّ أفندي بن صادق الدَّاغستانيُّ، ثمَّ الدِّمشقيُّ.

٦ - رجع إلى العُيَيْنة ومكث فيها سنة كاملة.

٧ - رحل إلى البصرة وطالت إقامته بها، وقرأَ وكَتبَ بها كثيراً من الحديث والفقه واللُّغة، ولازم في البصرة عالماً من علمائها الأجلَّاء؛ وهو الشَّيخ مُحمَّد المَجموعيُّ البصريُّ.

٨ - رحل إلى الأحساء، ولَقِيَ فيها فُحُول العلماء؛ منهم: ابن عمَّته الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن فيروز.

٩ - رجع من الأحساء إلى البصرة، قال حفيدُه الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَتْ همَّتُه إلى طلب التَّفسير والحديث، فسافر إلى البصرة غير مرَّة، كلُّ مرَّة يُقِيم بين مَنْ كان بها من العلماء»[(٢)].

---

(١) مصباح الظَّلام (٢/ ٢٥٥).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/ ٦).

١٠ - خرج من البصرة قاصداً الحجَّ، ولمَّا قضى الحجَّ وقف في المُلتَزَم، وسأل اللَّه تعالى: «أن يُظهِر هذا الدِّين بدعوته، وأن يرزقه القَبول من النَّاس»[١].

١١ - قَدِم المدينة بعد الحجِّ، فأقام بها، وعمل فيها ما يأتي:

أ - حضرَ عند عَددٍ مِنَ العلماء؛ منهم: المُحَدِّث مُحمَّد حياة السِّنْدِيُّ، وأخذ عنه كتب الحديث إجازةً في جميعها، وقراءةً لبعضها.

ب - وَجَد فيها بعضَ الحنابلة فانتفع منهم.

ج - كتبَ بيده «صحيح البخاريِّ».

د - كتبَ بيده «زاد المعاد» لابن القيِّم؛ أربعة مجلَّدات.

هـ - حفِظَ «ألفيَّة ابن مالك»، وحضرَ دروس النَّحو[٢].

١٢ - قَصَد نَجْداً ووجد والدَه قد ارتحل إلى بلدة حُرَيْمَلاء، فاستقرَّ معه فيها سِنين، واستأنف القراءة على والده، وصار له أوقات خاصَّة يُطالِع فيها كُتب التَّفسير والحديث والأصول، وكُتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيِّم، ووجد في كتب هذين الإمامين مِن العلوم الصَّحيحة، والأقوال المبنيَّة على الكتاب والسُّنَّة، والتَّحقيق، والأحكام المطابِقة للعقل والنَّقل؛ ما زاده بصيرةً وفَهْماً وتحقيقاً.

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/٨).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/٩).

١٣ - مجموعُ ما قطعه الشَّيخ في رحلاته العلميَّة أكثر من عشرين ألف (٢٠,٠٠٠) كيلومتر.

قال حفيدُه الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُعوَّل[١] على ما وَهَبَه اللَّه من الفَهْم والحِفْظ، وتمييز الحَقِّ من الباطل، ومعرفة حقيقة التَّوحيد وما ينافيه من الشِّرك الأكبر، وسبيل أهل السُّنَّة، ومعرفة ما خالف السُّنَّة من البِدَع؛ أعطاه اللَّه في ذلك علماً عظيماً، فصار بذلك يُشبِه أكابر علماء السُّنَّة، وما كان عليه السَّلَف الصَّالح»[٢].

(١) أي: المعتمد.

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٢/٩).

شُيوخُه

خِلالَ طَلَبِه للعِلْمِ، ورحلاته المُتعدِّدة أَخَذَ العِلْمَ عن عَددٍ من العلماء؛ منهم:

١ - والده الشَّيخ عبد الوهَّاب بن سليمان.

٢ - عمُّه الشَّيخ إبراهيم بن سليمان.

٣ - المُحَدِّث عبد اللَّه بن إبراهيم بن سيف النَّجديُّ، ثمَّ المدنيُّ.

٤ - المُحَدِّث مُحمَّد حياة بن إبراهيم السِّنْدِيُّ المدنيُّ.

٥ - المُحَدِّث إسماعيل بن مُحمَّد بن عبد الهادي العجلونيُّ الدِّمشقيُّ.

٦ - المُحَدِّث عليٌّ أفندي بن صادق بن مُحمَّد الدَّاغستانيُّ، ثمَّ الدِّمشقيُّ، من مشايخ الشَّام، اجتمع به في المدينة المنوَّرة.

٧ - الشَّيخ مُحمَّد المَجموعيُّ البصريُّ، قرأ عليه في مدرسة البصرة.

٨ - الشَّيخ عبد اللَّطيف العفالقيُّ الأحسائيُّ.

٩ - الشَّيخ مُحمَّد العفالقيُّ الأحسائيُّ.

١٠ - ابن عمَّته الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن فيروز، أبو مُحمَّد الكفيف الأحسائيُّ.

إجازاتُه

بَلَغَ الشَّيخُ مَنزِلةً عَاليةً من العِلْم، فأَجازَه العلماءُ في كُتبِ الحديث والعقيدة والفقه وغيرها، ومِمَّنْ أَجازَه:

١ - الشَّيخ عبد اللَّه بن إبراهيم بن سيف النَّجديُّ ثمَّ المدنيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وممَّا أَجازَه فيه[١]:

أ - «الحديثُ المُسلسَلُ بالأَوَّليَّة»؛ وهو أوَّل ما سَمِع منه بالسَّند المُتَّصل إلى عبد اللَّه بن عَمْرِو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[٢].

ب - «مُسلسَلُ الحنابلة»؛ سَمِعه منه بالسَّند المُتَّصل إلى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ، قَالُوا: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ»[٣].

٢ - المُحَدِّث مُحمَّد حياة بن إبراهيم السِّنْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - المُحَدِّث عليٌّ أفندي بن صادق بن مُحمَّد الدَّاغستانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٢١٠)، الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣١٦).
(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٦٤٩٤).
(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (١٢٠٣٦).

٤ - الشَّيخ عبد اللَّطيف العفالقيُّ الأحسائيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَجازَه الكثيرُ»(١).

وقال أيضاً: «وسَندُه المُتَّصلُ بأئمَّة المذهب إلى الإمام أحمد، مَعروفٌ مُقرَّرٌ عندهم»(٢).

(١) مصباح الظَّلام (٢/ ٢٥٥).

(٢) مصباح الظَّلام (١/ ٣٥٤).

غَزارةُ عِلمِه

حَصَّل الشَّيخُ عِلْماً غزيراً، فعَمَّ عِلْمُه الأنام، وانْتَفَعَ به النَّاسُ على مرِّ الأعوام، وغزارة عِلْمِه تَتبيَّن في الآتي:

١ - برع في تفسير القرآن، وغاصَ في دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يُسبَق إليها، قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وله مِن المسائل المُستنبَطات مِن كتاب اللَّه ما يَقصُر عنه فَهْم الفُحُول الأفاضل، ولا يقدر على إبرازِه ذَوُو التَّدقيق من الأماثل، تكلَّم على غالب السُّور، واستنبط منها مِنَ الفوائد ما لم يُسبَق إليه»(١).

٢ - حَفِظ وسَمِع الحديث، وأَكثرَ في طلبه، وبرع فيه، ونظر في الرِّجال والطَّبقات، وحَصَّل ما لم يُحَصِّله غيرُه في زمنه.

٣ - كان عَلَماً شامخاً في العقيدة.

٤ - دقيقٌ في التَّفريق بين مسائل أصول الدِّين، فضلاً عن فروعها، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصْلُ الإشكال: أنَّكم لم تُفَرِّقوا بين قيام الحُجَّة، وبين فَهم الحُجَّة؛ فإنَّ أكثر الكفَّار والمنافقين مِن المسلمين لم يفهموا حُجَّة اللَّه مع قيامها عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٤]»(٢).

---

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٣٨).

(٢) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٢٤٤).

٥ - فاق علماءَ عَصرِه في الفقه.

٦ - كان يُجادِل كلَّ عالمٍ مِنْ أتباع المذاهب الأربعة بمذهبِه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلُّ إنسان أُجادلُه بمذهبه؛ إنْ كان شافعيّاً فبكلام الشَّافعيَّة، وإنْ كان مالكيّاً فبكلام المالكيَّة، أو حنبليّاً، أو حنفيّاً، فكذلك»[(١)].

وقال أيضاً: «أنا أُخاصِم الحَنفيَّ بكلام المتأخِّرين من الحَنفيَّة، والمالكيَّ، والشَّافعيَّ، والحَنبليَّ؛ كلٌّ أُخاصِمُه بكُتبِ المُتأخِّرين مِنْ علمائهم الذين يعتمدون عليهم»[(٢)].

٧ - له كلُّ يوم مجالس عديدة في التَّدريس في فنون العلم.

٨ - رحل إليه طلَّاب العلم من مختلف النَّواحي.

٩ - كان حريصاً على جَمْعِ الكتب، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعرفُ حرصي على الكتب»[(٣)].

١٠ - كان أهل العلم يستعيرون منه الكتب، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَجموعُ ابن رَجبٍ ترى ما جاءنا، فهو عارية مُؤَدَّاة وإن لم تأتنا»[(٤)].

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ طالع مُصَنَّفاتِه، واستقرأ سِيرتَه ومُؤلَّفاتِه، عَرَف أنَّه مِنْ أَغزرِ النَّاس عِلْماً، وأَحَدِّهم

(١) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص١٤٤).
(٢) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤١٤).
(٣) الرَّسائل الشَّخصيَّة (ص٢٠٧).
(٤) روضة الأفكار والأفهام (١/ ٤٢٧).

فَهْماً، وأَنفذِهم عَزْماً وأَشْجعِهم؛ بل هو مِنْ أَكابرِ السَّلَف، وهذه كتبه وفتاواه ورسائل دعوته تشهد بذلك؛ وهو المَرجِع في وقته في سائر العلوم والفتاوى»[١].

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٣٣٨).

تَلاميذُه

أَخَذَ عنه العِلمَ عددٌ من الطُّلَّاب مِن بَنِيه وبَنِيهم، ومن أهل الدِّرعيَّة، وغيرهم؛ ومِنْ أُولئكَ الطُّلَّاب:

١ - ابنه الشَّيخ عليُّ بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ - ابنه الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - ابنه الشَّيخ حسين بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ - ابنه الشَّيخ عبد العزيز بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ - حفيده الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ - الشَّيخ حَمَد بن ناصر بن مُعَمَّر رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧ - الشَّيخ عبد العزيز الحصيِّن رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨ - الشَّيخ سعيد بن حجِّيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩ - الشَّيخ مُحمَّد بن عبد اللَّه بن سُوَيْلِم رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠ - الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن خَميس رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١ - الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن نامي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ - الشَّيخ مُحمَّد بن سلطان العَوسَجيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣ - الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن عبد المُحْسِن رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٤ - الشَّيخ حسن بن عبد اللَّه بن عِيدان رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٥ - الشَّيخ عبد العزيز آل سُوَيْلِم رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٦ - الشَّيخ مُحمَّد آل سُوَيْلِم رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٧ - الشَّيخ حَمَد بن راشد العُرَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكلُّ وَاحدٍ مِنْ هؤلاء وَلِيَ القَضَاء في ناحيةٍ.

وقد أَخَذَ أيضاً عنه خَلْقٌ كثير ممَّنْ لم يَلِ القضاء مِن الفقهاء والأعيان.

مُصنَّفاتُه

لِغَزَارةِ علم الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ تنوَّعت مُصَنَّفاته في مختلف الفنون؛ ومنها:

١ - في التَّفسير: «تفسير سورة الفاتحة»، و«مختصر تفسير سورة الأنفال»، و«مسائل في سورة النُّور»، و«مختصر تفسير سورة الحجرات»، و«تفسير سورة الفلق»، و«تفسير سورة النَّاس»، و«تفسير آيات من القرآن الكريم»، و«مسائل مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾»، و«ثماني حالات استنبطها من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ الآية».

٢ - في علوم القرآن: «فضائل القرآن».

٣ - في الحديث: «مجموع الحديث على أبواب الفقه»، وعدد أَحاديثِه: ألفان واثنان وثلاثون (٢٠٣٢) حديثاً، و«مختصر فتح الباري».

٤ - في العقيدة: «نواقض الإسلام»، و«القواعد الأربع»، و«الأصول الثَّلاثة»، و«كتاب التَّوحيد»، و«كَشْف الشُّبُهات»، و«مسائل الجاهليَّة»، و«أصول الإيمان»، و«مختصر الصَّواعق»، و«مختصر العقل والنَّقل»، و«مختصر الإيمان».

٥ - في الفقه: «شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها»، و«كتاب

العبادات - الصَّلاة، الزَّكاة، الصِّيام -» المشهور بـ«آداب المشي إلى الصَّلاة»، و«مختصر الإنصاف»، و«مختصر الشَّرح الكبير»، و«مختصر زاد المعاد».

٦ - في السِّيرة: «مختصر السِّيرة النَّبويَّة».

٧ - في الآداب والسُّلوك: «مختصر المنهاج».

٨ - في الوعظ: «كتاب الكبائر».

٩ - له رَحِمَهُ اللَّهُ رسائل وأجوبة كثيرة مفيدة، في التَّوحيد والفقه والنَّصائح.

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحْمَن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ عَرَف الرِّجال بالعِلم؛ عَرَف حَالَ الشَّيخ ورُسوخَه، ومتانةَ عِلمِه ودِينِه، وأنَّه يلحق بأكابر السَّلَف وعلمائهم»[1].

(١) مصباح الظَّلام (١/ ٧٦).

وَفاتُه

توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الاثنين آخر شهر شوَّال، سنة (١٢٠٦هـ)، وكان يوماً مشهوداً؛ تَزَاحَمَ النَّاسُ على نَعْشِه، وصَلَّوْا عليه في بلده الدِّرْعِيَّة، وخرج النَّاسُ - الصَّغير والكبير - إلى جنازتِه، وحَصَل بمَوْتِه الخَطْبُ العظيم، والفَادحُ العَمِيم.

وقد رُؤِيَ بعد مَوتِه في المنام، أنَّ اللَّهَ قال له: «مرحباً بالذي دلَّ عِبادِي على عِبادَتِي».

وقد انتفع النَّاس بعِلْمِه، فدُوِّن أكثر من مئة (١٠٠) موضوعٍ عن الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب وعِلْمِه وأثره الحسن على الفرد والمجتمع، وتنوَّعت ما بين مُصَنَّفات، ورسائل علميَّة، وبحوثٍ.

تَرْجَمَةُ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ

مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ (١)

رَحِمَهُ اللَّهُ

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ)

---

(١) هذه التَّرجمة من كتابنا: «ترجمة سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن إمام الدَّعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رحمهم الله، مِنْ قبيلة تَمِيم.

ولد يوم الاثنين، في السَّابع عَشَر من شهر المُحرَّم، سنة ألف وثلاث مئة وإحدى عشرة (١٣١١هـ)، في حيِّ «دُخْنة»، في مدينة الرِّياض.

نَشأتُه، وطلبُه للعِلم

نَشَأ في بيتٍ معروف بالعِلم والدِّين؛ فوالده: الفقيه القاضي إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٢٩هـ).

وعمُّه: العالِم العلَّامة عبد اللَّه بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٣٩هـ).

وجدُّه: الإمام العالِم عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٩٢هـ).

ووالد جدِّه: العلَّامة الحَبر عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٨٥هـ).

ووالد جدِّ جدِّه: العالِم الكبير، إمام الدَّعوة المُجَدِّد، مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٠٦هـ).

وقد بَدَأ منذ صغره في الأخذ بأسباب العِلم والمعرفة؛ فتلقَّى القرآن الكريم وهو ما بين الثَّامنةِ والعاشرةِ مِنْ عُمُره.

وفي السَّادسة عشرةَ مِنْ عُمُره أُصيب بالرَّمَد[1] في عينيه؛ فكُفَّ بصرُه، فأقبل على العِلْم والحفظ بهمَّةٍ وعَزيمةٍ.

(١) الرَّمَد: داء التهابي يُصيب العين. المعجم الوسيط (١/ ٣٧٢).

شُيوخُه

أخذ العِلْمَ عن علماء عصره، وجَدَّ وثَابَر في التَّلقِّي منهم؛ ومن أولئك:

١ - الشَّيخ عبد الرَّحمن ابن مُفَيرِيجٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٥٣هـ)، حَفِظ عليه القرآن، ثمَّ دَرَس عليه عِلم «التَّجويد».

٢ - عمُّه الإمام العلَّامة عبد اللَّه بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٣٩هـ)، أخذ عنه: عِلم «العقائد»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «كتاب التَّوحيد»، و«أصول الإيمان»، و«فضائل الإسلام»، و«الدَّلائل في حُكم موالاة أهل الإشراك»، و«العقيدة الواسطيَّة»، و«العقيدة الحمويَّة».

وأخذ عنه أيضاً: عِلم «الحديث»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «بُلوغ المَرام»، وثُلُث «المنتقى في الأحكام الشَّرعيَّة من كلام خير البَرِيَّة».

٣ - الشَّيخ حمد بن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ - مدير بيت المال - (ت ١٣٤٥هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفقه»، وعِلم «العربيَّة»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «الآجُرُّومِيَّة»، و«مُلْحَة الإعراب»، و«قَطْر النَّدى»، و«ألفيَّة ابن مالك».

٤ - الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت ١٣٤٩هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفقه»، وعِلم «الحديث»، وممَّا قرأ عليه في ذلك: «صحيح البُخاريِّ»، و«صحيح مسلم»، و«بُلوغ المَرام»، و«ألفيَّة العراقي».

٥ - الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم ابن محمود رَحِمَهُ اللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت **١٣٣٣**هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفقه».

٦ - والده الشَّيخ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت **١٣٢٩**هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفرائض».

٧ - الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن راشد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت **١٣٣٩**هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفرائض»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «ألفيَّة الفرائض».

غزارةُ عِلمِه

كان مُكِبّاً على العِلم - حِفظاً وفَهْماً -، فحَوَى معارف كثيرة، وعلوماً واسعة؛ ومِنْ ذلك:

١ - حِفظُه لمُتونٍ كثيرةٍ في مختلف الفنون؛ منها: نُخبة الفِكَر، وألفيَّة العراقيِّ - في مصطلح الحديث -، والأربعون النَّوويَّة، وعمدة الأحكام، وبُلوغ المَرام، وثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، ونواقض الإسلام، وكتاب التَّوحيد، وكشف الشُّبهات، ومسائل الجاهليَّة، وأصول الإيمان، ولُمعة الاعتقاد، والعقيدة الواسطيَّة، والحمويَّة، والتَّدمريَّة، والطَّحاويَّة، والورقات، وشروط الصَّلاة، وآداب المشي إلى الصَّلاة، وزاد المستقنع، والرَّحبيَّة، والآجُرُّومِيَّة، ومُلْحَة الإعراب، وألفيَّة ابن مالك، والمُعَلَّقات السَّبع.

٢ - كان غزير العِلم في التَّفسير، ويظهر ذلك في دقائق تفسيره للآيات.

٣ - كان عالماً بالحديث ومُصطَلَحِه، ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

أ - حفظه لمتون مصطلح الحديث؛ كـ«ألفيَّة العراقيِّ».

ب - حِفظه لمتون الحديث؛ كـ«بُلوغ المَرام» وغيره، وتدريسه لها.

ج - قراءة أمَّهات كُتب الحديث عليه دائماً؛ كـ«صحيح البخاريِّ»، و«صحيح مسلم»، والسُّنن، والمسانيد، والمعاجم.

د - قراءة كتب الحديث المُطَوَّلة المَخطُوطَة عليه؛ كـ«سُنن سعيد بن منصور».

هـ - استشهاده بأحاديث كثيرة جدّاً من الصِّحاح والسُّنن والمسانيد والمعاجم في درسه.

و - ذِكره لمسائل دقيقة من عِلم المصطلح.

ز - ذكره عِلَل الأحاديث، وما يَقَع من أوهام الرُّواة أو المُصَنِّفين.

٤ - كان أُمَّةً في العقيدة.

٥ - كان متقناً لمذهب الإمام أحمد، ونصوصه، ومفرداته.

٦ - واسع المعرفة بفتاوى علماء عصره ومَن تقدَّمهم.

٧ - استظهاره كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيِّم رَحِمَهُمَا اللَّهُ، ولا يَكادُ يفوته منه شيء.

٨ - معرفته بدقائق فروع المسائل الفقهيَّة.

٩ - إلمامه بالتَّاريخ والحوادث.

١٠ - عالمٌ بالعربيَّة من النَّحو والصَّرف والغريب والمعاجم، ويظهر ذلك في استحضاره لشواهد النَّحو واشتقاق الكلمات.

١١ - مَن اطَّلع على شروح سماحته للمتون في دروسه، يعجب من عِلمه الغزير، وجزالة ألفاظه، واستحضاره للنُّصوص وأقوال العلماء.

١٢ - إجازة علماء عصره له في مختلف العلوم.

١٣ - ظَهَر أثرُ غزارة عِلمه على تلاميذه، فأصبحوا من كبار علماء العصر، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكنتُ ممَّنْ لَازَمَه مدَّة طويلة، وتَخَرَّج عليه في العقيدة السَّلفيَّة، والفقه، والحديث، والعلوم العربيَّة، وعِلم الفرائض، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، والتَّاريخ، والتَّفسير»[(١)].

١٤ - شَهِد له العلماء بسَعَة عِلْمِه؛ ومِنْ أولئك:

أ - العلَّامة عبد اللَّه العنقريُّ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخونا العلَّامة الأصيل، وكهفُ المجد الأَثيل[(٢)]، حائزُ قَصَبِ السَّبْق في المضمار[(٣)]، وأُفُق مجده قد أضاء بطالع سَعْده واستنار، الشَّيخ المُحَقِّق، والحَبر المُدَقِّق، ذو الرَّأي الصَّائب، والفهم الثَّاقب: مُحمَّد بن الشَّيخ إبراهيم بن عبد اللَّطيف»[(٤)].

---

(١) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).

(٢) يُقال: هو كهف قومه؛ أي: ملجؤهم، والأثيل: الأصيل. تاج العروس (٢٤/ ٣٤٧)، (٢٧/ ٤٢٨).

(٣) قال في المصباح المنير (٢/ ٥٠٤): «وقولهم: (أَحرزَ قَصَب السَّبْق) أصله: أنَّهم كانوا ينصبون في حلبة السِّباق قَصبة، فمَنْ سَبَقَ اقتلعها وأخذها؛ ليُعلَم أنَّه السَّابق من غير نزاع، ثمَّ كَثُر حتى أُطلِق على المُبَرِّز والمُشَمِّر».
والمضمار: الموضع الذي تُضَمَّرُ فيه الخيل، وتضميره: أنْ تَعلِفه حتَّى يسمن، ثمَّ تردَّه إلى القوت. الصِّحاح (٢/ ٧٢٢).

(٤) الإجازة العِلميَّة في نجد (وثيقة ١٢٨، ٦/ ٢٠٣٦).

ب - سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز، قال رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ خيرة العلماء الأفذاذ، ولا أَعلمُ أنِّي لقيتُ أحداً أعلمَ منه».

(١) في تسجيلٍ صَوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِجازاتُ العُلماء لسَماحَتِه

لِمَا يَتمتَّع به سماحته مِنْ عِلمٍ غزير في فنون متعدِّدة؛ أجازه كبار العلماء من أقطار العالم؛ ومن تلك الإجازات:

١ - إجازةٌ عامَّةٌ من الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق[١].

٢ - إجازةٌ خاصَّةٌ من الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق، في «بُلوغ المَرام» قراءةً عليه، وفي «صحيح البخاريِّ» و«صحيح مسلم» قراءةً عليه وسماعاً، وهذه الإجازة ذكرها سماحة الشَّيخ في «شرح بلوغ المرام»، ودوَّنها والدي[٢].

٣ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد العزيز العنقريِّ، سنة (١٣٥٩هـ)[٣].

٤ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد السَّتَّار بن عبد الوهَّاب الدِّهلَويِّ المكِّيِّ، حين لَقِيَه في الحجِّ سنة (١٣٤٨هـ)[٤].

---

(١) نسختُها لدى ابن أخ كاتبها: الدكتور رياض بن سعيد.

(٢) شرح بلوغ المرام لسماحته؛ وهو مخطوط لديَّ.

(٣) تذكرة أولي النُّهى والعرفان (٦/ ١٢١)، المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥)، الإجازة العِلميَّة في نجد (وثيقة ١٢٨، ٦/ ٢٠٣٦).

(٤) تذكرة أولي النُّهى والعرفان (٦/ ١٢١)، المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥).

٥ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفوريِّ، سنة (١٣٤٩هـ)، باستدعاءِ الشَّيخ مُحمَّد تقيِّ الدِّين الهلاليِّ[١].

٦ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد الحقِّ بن عبد الواحد الهاشميِّ المَكِّيِّ[٢].

(١) أهل الحديث في شبه القارة الهنديَّة (ص١٦٩-١٧١).

(٢) مجموعٌ فيه ترجمة سماحة الشَّيخ ابن باز (ص٥٣)، الإجازة العِلميَّة في نجد (٤/١٠٠٦).

إجازة الشَّيخ سعد ابن عتيق لسماحته
بخطِّ تلميذه مُحمَّد بن أحمد بن سعيد

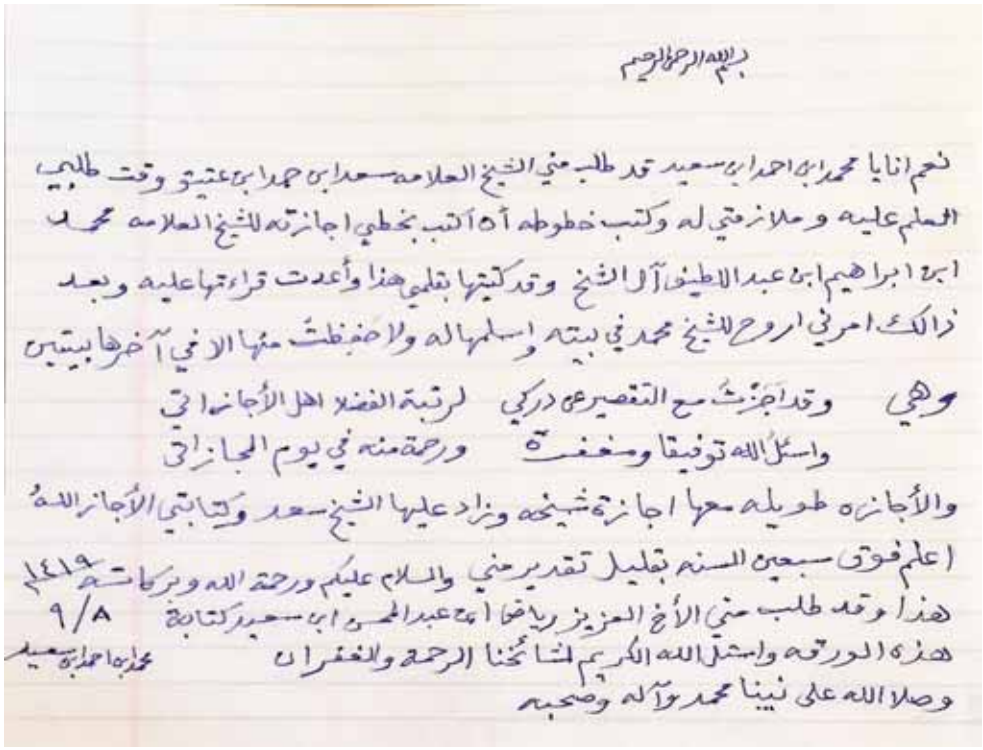

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم انا يا محمد ابن احمد ابن سعيد قد طلب مني الشيخ العلامه سعد ابن حمد ابن عتيق وقت طلبي العلم عليه و ملازمتي له وكتب خطوطه أ٥ اكتب بخطي اجازته للشيخ العلامه محمد ابن ابراهيم ابن عبد اللطيف آل الشيخ وقد كتبتها بقلمي هذا وأعدت قراءتها عليه وبعد ذالك امرني اروح للشيخ محمد في بيته واسلمها له ولا حفظت منها الا بيتين آخرها

وهي وقد اجزت مع التقصير عن دركي لرتبة الفضلا اهل الأجازات
واسئل الله توفيقا ومغفرة ورحمة منه في يوم المجازاة

والأجازه طويله معها اجازة شيخه وزاد عليها الشيخ سعد وكتابتي الأجازة الله اعلم فوق سبعين السنه بقليل تقدير مني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١٤١٩هـ
هذا وقد طلب مني الأخ العزيز رياض ابن عبد المحسن ابن سعيد كتابة ٩/٨
هذه الورقه واسئل الله الكريم لنا ولهم الرحمة والغفران محمد ابن احمد ابن سعيد
وصلا الله على نبينا محمد وآله وصحبه

إجازة الشَّيخ سعد ابن عتيق التي ذكرها سماحة الشَّيخ في شرح بلوغ المرام، ودوَّنها والدي

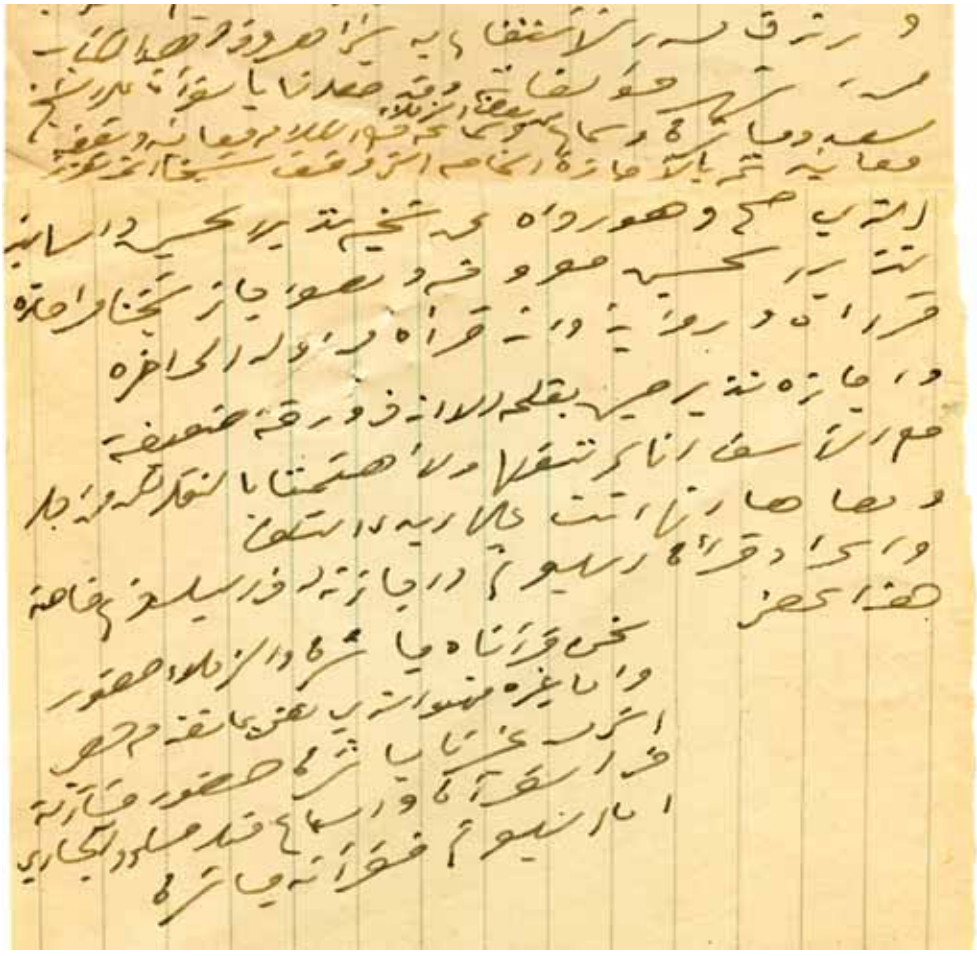

إجازة الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ لسماحته

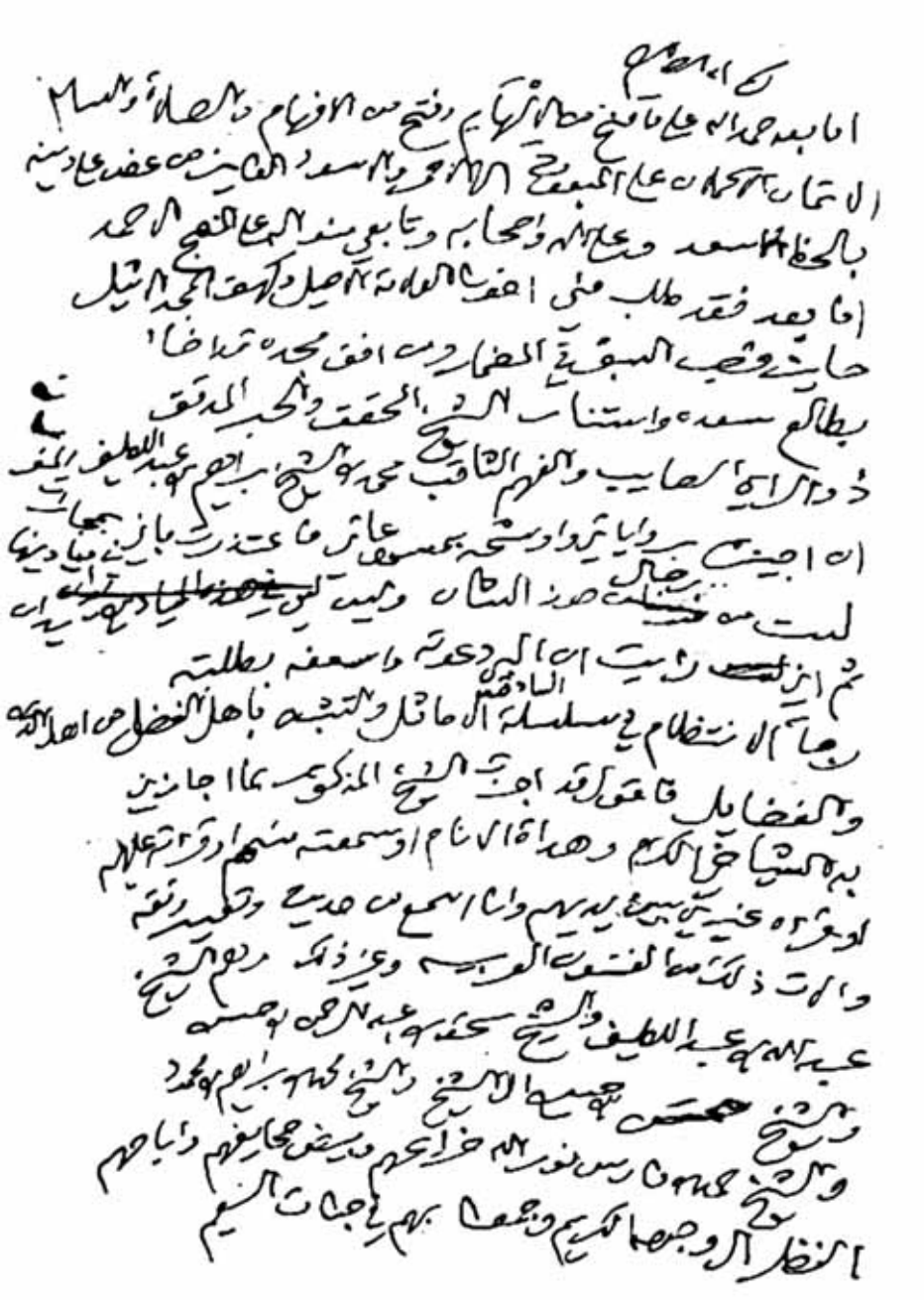

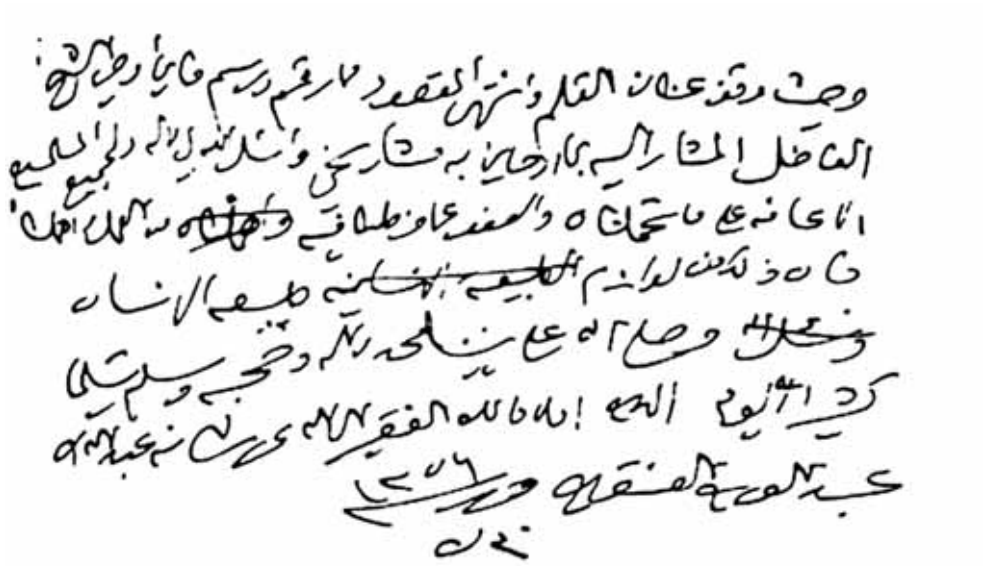

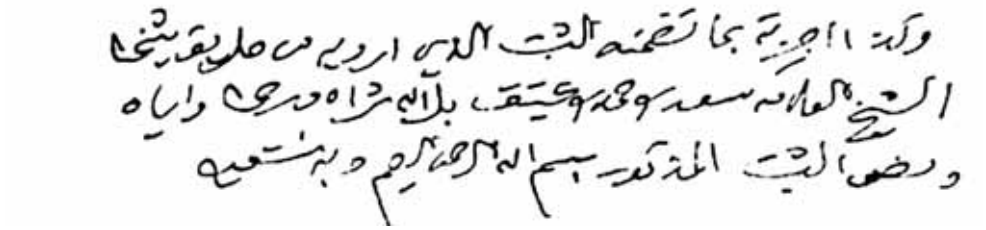

إجازة الشَّيخ عبد الرَّحمن المباركفوريِّ لسماحته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد والد واصحابه اجمعين

اما بعد فيقول العبد الضعيف محمد عبد الرحمن بن الحافظ عبد الرحيم المباركفوري

عفا الله تعالى عنهما انه قد وقع الاتفاق في بلدة لكنؤ بالعلامة الاديب

والفاضل اللبيب مولانا الشيخ تقي الدين بن عبد القادر الهلالي بارك الله

في ايامه ولياليه فذكر الفاضل الجليل الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف

ابن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي وقال انه

قد قرأ كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث واصوله والتفسير

على شيوخه الاعلام ووصف لي علمه وفضله وصلاحه وتقواه وقال لي

انه يريد ان اجيزله برواية الحديث ووصل سندي بسند مولفيها الاجلاء

فاسعفته بمطلوبه تحقيقا لظنه ومرغوبه وان كنت لست اهلا لذلك ولا

ممن يخوض في هذه المسالك ولكن تشبها بالائمة الاعلام السابقين

الكرام ـ واذا اجزت مع القصور فانني ؛ ارجو التشبه بالذين اجازوا

السالكين الى الحقيقة منهجا ؛ سبقوا الى غرف الجنان ففازوا

فاقول وبالله التوفيق اني قد اجزت الشيخ محمد بن ابراهيم المذكور

ان يروي عني كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث واصوله

والتفسير وان يقرأها واني قد حصلت القراءة والسماعة والاجازة

عن شيخنا العلامة السيد محمد نذير حسين المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى

إجازة الرواية: المحدث / الشيخ عبد الرحمن المباركفوري رحمه الله

للشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله (مفتي المملكة السعودية سابقاً)

وهو حصل القراءة والسماعة والاجازة عن الشيخ المكرم الاورع البارع
في الافاق محمد اسحق المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى وهو حصل
القراءة والسماعة والاجازة عن الشيخ الاجل مسند الوقت الشاه
عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى وهو حصل القراءة
والسماعة والاجازة عن الشيخ القرم المعظم بقية السلف وحجة
الخلف الشاه ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى
وباقي السند مكتوب في اوائل تحفة الاحوذي شرح الترمذي
قلت واجزته ايضا ان يروي عني جميع ما حواه اتحاف الاكابر في
اسناد الدفاتر من الكتب الحديثية وغيرها الشيخ شيوخ مشائخنا
الامام الحافظ الرباني القاضي محمد بن علي الشوكاني كما اجازني
برواية جميعه شيخنا العلامة حسين بن محسن الانصاري
الخزرجي اليماني رحمه الله تعالى وهو قد حصل الاجازة برواية
جميعه عن شيخيه العلامة الشريف محمد بن ناصر الحسني الحازمي
والقاضي العلامة احمد بن محمد بن علي الشوكاني كلاهما عن الامام
القاضي محمد بن علي الشوكاني مولف اتحاف الاكابر
وباقي السند مكتوب فيه واوصيه بتقوى الله في السر و
العلانية واشاعة السنة السنية بلا خوف
لومة لائم وان يلزم على نفسه الاتباع

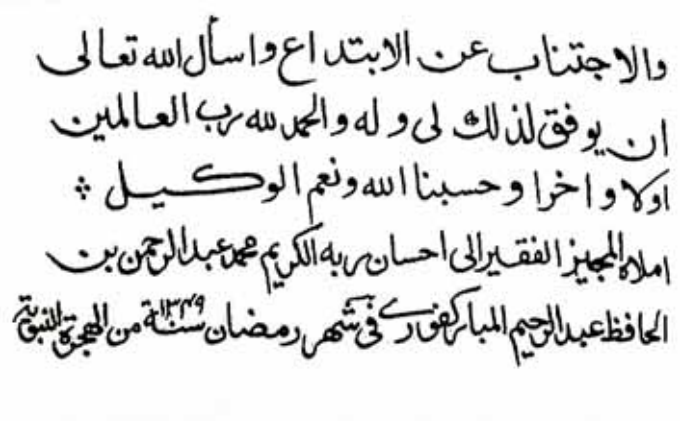
والاجتناب عن الابتداع واسأل الله تعالى
ان يوفق لذلك لي وله والحمد لله رب العالمين
اولا واخرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛
املاه المجيز الفقير الى احسان ربه الكريم محمد عبد الرحمن بن
الحافظ عبد الرحيم المباركفوري في شهر رمضان سنة ١٣٤٩ من الهجرة النبوية

اشتغالُه بالتَّدريس

لَمَس فيه العلماء الذَّكاء المُتَوقِّد، والنَّجابة الظَّاهرة، فأدركوا أنَّه خَلَفُهم الذي يُمكن أن يُطمأنَّ إليه في مجالس العِلم، فأوصى عمُّه الشَّيخُ عبدُ اللَّه الملكَ عبدَ العزيز بابن أخيه خيراً، وذكر له ما يتمتَّع به من المزايا النَّادرة التي لا تَكاد تتوفَّر إلَّا في قليلٍ مِن الرِّجال الذين وَهَبهم اللَّه ذكاءً وفطنةً وجَلَداً وإخلاصاً.

ولمَّا توفِّي عمُّه الشَّيخ عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٣٩هـ)؛ أخذ سماحة الشَّيخ مَجلسَه وعمره ثمانيةٌ وعشرون (٢٨) عاماً؛ فبدأ بالتَّدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالوا على قيد الحياة.

ولمَّا توفِّي الشَّيخ حمد بن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٥هـ)، ثمَّ الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٩هـ)؛ توسَّع سماحته في مجالس التَّدريس، واستقلَّ بأكثرها إلى جانب أعمامه وغيرهم من أفاضل العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ الذين كانوا يقومون بالتَّدريس على فتراتٍ متعاقبةٍ في بعض العلوم.

فكان له النَّصيب الأوفر في كثرة المجالس وكثرة القاصدين له من طلبة العِلم، فكان يَعمُر نهاره بالتَّدريس؛ ويجلس أربع جلسات:

الأُولى: بعد صلاة الفجر إلى شروق الشَّمس.

الثَّانية: بعد ارتفاع الشَّمس مدَّةً تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

الثَّالثة: بعد صلاة الظُّهر.

الرَّابعة: بعد صلاة العصر.

وكلُّ هذه الجلسات كانت تُعقَد في جامع الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب في الرِّياض - في حيِّ دُخْنة شَمال الميدان - ما عدا جلسة الضُّحى؛ فقد كانت في أوَّل الأمر في هذا الجامع، ثمَّ نقَلها إلى بيته.

وكان سماحته ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد، فيقرأ عليه الوالد في بيته شروح الكتب؛ ومنها: «الرَّوض المُرْبِع»، و«سُبُل السَّلام»، و«شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك»، وما يُعِين عليها من المراجع.

الكُتُب التي يَشرَحُها

كان موسوعة في مختلف العلوم، فكان يعمر يومه بشرح العلوم المُتنوِّعة؛ ومِنَ الكتب التي كان يَشرَحُها:

أوَّلاً: بعد صلاة الفجر:

١ - ألفيَّة ابن مالك، مع شرح ابن عَقِيلٍ عليها.

٢ - زاد المستقنع، مع شرحه الرَّوض المُرْبع.

٣ - بُلوغ المَرام.

وهذه الثَّلاثة يُدَرِّسها باستمرار على ترتيبها المذكور.

ثمَّ يدرِّس بعدها بالتَّعاقب في أزمنة مُتَفَرِّقة الكتب الآتية:

٤ - الآجُرُّومِيَّة.

٥ - مُلْحَة الإعراب.

٦ - قَطْر النَّدى.

٧ - عُمدة الأحكام.

٨ - أصول الأحكام.

٩ - الحَمَويَّة.

١٠ - التَّدمريَّة.

١١ - نُخبة الفِكَر.

ثانياً: بعد شروق الشَّمس:

أ - في عِلم «**العقائد**»:

١ - كتاب التَّوحيد.

٢ - كشف الشُّبهات.

٣ - ثلاثة الأصول.

٤ - العقيدة الواسطيَّة.

ب - في عِلم «**الحديث**»:

٥ - الأربعون النَّوويَّة.

٦ - عمدة الأحكام.

ج - في عِلم «**الفقه**»:

٧ - آداب المشي إلى الصَّلاة.

وهذه الكتب يُدَرِّسها باستمرار على ترتيبها المذكور.

ثمَّ يدرِّس بعدها بالتَّعاقب في أزمنة مُتَفَرِّقة الكتب الآتية:

٨ - مسائل التَّوحيد.

٩ - مسائل الجاهليَّة.

١٠ - لُمْعة الاعتقاد.

١١ - أصول الإيمان.

وقد يُدَرِّس غيرها؛ لكنَّه نادر.

وكانت تُقرَأ عليه بعضُ الشُّروح في أزمنةٍ مُتفرِّقةٍ، يتراوح ما يُقرَأ عليه منها في اليوم ما بين خمسة كتب إلى عشرة غالباً؛ ومِنْ تلك الشُّروح:

١ - فتح المجيد.

٢ - شرح الطَّحاويَّة.

٣ - شرح الأربعين النَّوويَّة.

وبعد الانتهاء من هذه المختصرات تُقرَأ عليه المُطَوَّلات؛ ومنها:

١ - صحيح البخاريِّ.

٢ - صحيح مسلم.

٣ - السُّنن الأربعة.

٤ - مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٥ - مؤلَّفات ابن القيِّم.

٦ - مؤلَّفات ابن كثير.

وكلُّ ما جَدَّ من كُتب السَّلَف والمُحَقِّقين من العلماء.

ثالثاً: بعد صلاة الظُّهر:

١ - زاد المستقنع، مع شرحه الرَّوض المُرْبع.

٢ - بُلوغ المَرام.

رابعاً: بعد صلاة العصر:

١ - كتاب التَّوحيد، وشرحه فتح المجيد.

وقد يُقرَأ عليه:

٢ - مسند الإمام أحمد.

٣ - مسند ابن أبي شيبة.

٤ - الجواب الصَّحيح لمَنْ بدَّل دين المسيح.

وغيرها.

وكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي يقرأ عليه الكتب السَّابقة في الدَّرس، ويُدوِّن جميع شروحات سماحته.

وقد استمرَّ يُزاول التَّدريس اثنين وأربعين (٤٢) عاماً، بنشاطٍ لا يَفتُر، وهِمَّةٍ لا تَكِلُّ.

قال لي الشَّيخ صالح اللُّحيدان رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٤٣هـ): «الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم عبارة عن جامعة».

مَنهجُه في مجالس العِلْم

كان مَنهجُه في مجلس العِلْم كمجالس علماء السَّلف؛ ومِنْ ذلك:

١ - كان حريصاً على نَفْعِ الطُّلَّاب، فيبذل وسعه في البحث التَّامِّ في المسألة.

٢ - كان يُعطي مجالس العِلم حقَّها مِن الاحترام والتَّقدير، والمكانة والهيبة.

٣ - لا يسمح للطَّالب أن يحضر درسه إلَّا إذا كان حافظاً للقرآن.

٤ - إذا هَمَّ بالجلوس للتَّدريس توضَّأ إن لم يكن على وضوء.

٥ - يستقبل القِبْلَة إذا كان الدَّرس في المسجد.

٦ - يَحرِص جدّاً أنْ يَحفَظ جميعُ الطُّلَّاب المنتظمين المتونَ، ولا يَرضى إلَّا بالحفظ المُتقَن.

٧ - يلتزم اللُّغة العربيَّة في مجالسه العِلْميَّة والعامَّة.

٨ - يلتزم الهدوء أثناء شرحه للمتون، أو تعليقه على المُطَوَّلات؛ فلا تراه يلتفت، أو يشير بيدٍ، أو يعبث بشيء.

٩ - كان يتَّبع الدَّليل فيما يُقَرِّره، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان يعتني بالدَّليل، ويُرَجِّح به ما اختلف فيه العلماء من المسائل»[١].

(١) جوانب من سيرة الإمام ابن باز (ص٤٤٧).

١٠ - يَحرِص على إيصال الفائدة إلى قرارة قلوب الطُّلَّاب، مَعنيّاً بتثبيتها؛ حتى إنَّه ليَكَاد يُغنِي بشرحه عن المُطالَعَة.

١١ - كان ينصح الطُّلَّاب، ويُذَكِّرهم بالإخلاص، ويَحُثُّهم على حفظ الوقت، ويُدَرِّبهم على البحث وإقامة الدَّليل، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان كثيراً ينصح الطَّلبة بالإخلاص للَّه في الطَّلَب، والازدياد في الاطِّلاع، وحفظ الوقت، ويسألهم عن المسائل التي تُدَرِّبهم على البَحْثِ وإقامة الدَّليل»[(١)].

١٢ - كان يُوَجِّه الطُّلَّاب في الدَّرس، ويرشدهم إلى أعالي الأخلاق والآداب، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ذا حكمة في توجيه الطَّلبة وتعليمهم، وكان يرفق بهم في مَحَلِّ الرِّفق، ويَقْوى عليهم في مَحَلِّ القوَّة، ويُوَجِّههم إلى الآداب الصَّالحة والأخلاق المرضيَّة»[(٢)].

١٣ - لا ينتقل الطَّالب عنده من متنٍ إلى متنٍ أطول منه إلَّا بعد حفظ الأوَّل وفَهمِه.

١٤ - يتخرَّج الطَّالب المُجِدُّ عنده في سبعِ (٧) سنوات.

١٥ - قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن منهجه في التَّعليم: «واللَّهِ لا أَعلمُ رأت عيناي قبل ذهاب البصر، ولا وَقَع في قلبي، مَنْ هو أحسن منه تعليماً، وأكثر فقهاً»[(٣)].

---

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).

(٣) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

طَريقتُه في التَّدريس

كانت له طَريقةٌ فريدة في التَّعليم، لتصل الفائدة إلى الطَّالب وترسخ في ذهنه؛ وطَريقتُه في التَّدريس ما يأتي:

١ - يَطلب من بعض الطُّلَّاب أن يبدأ بالبَسْملة، والصَّلاة والسَّلام على رسول اللَّه ﷺ، والتَّرَحُّم على المُؤلِّف، وأن يقرأ حفظاً موضوع الدَّرس إذا كان الكتاب مَتْناً.

٢ - يَقرأُ سماحتُه ما سَمَّعه الطُّلَّاب ممَّا سيشرحه.

٣ - يبدأُ شرحَه بالبَسْملة، والصَّلاة والسَّلام على رَسولِ اللَّه ﷺ، وعلى آلِه وصَحبِه.

٤ - يَشرَع في شرح عبارات المَتْن بدقَّةٍ، جامعاً بين رَصَانَة العبارة ووُضُوحِها.

٥ - يُوَضِّح المسألة بذكرِ مثالٍ قريبٍ مِنْ ذِهنِ الطَّالب إن احتاجت المسألة لذلك، وأحياناً يُكثِر من الأمثلة؛ لزيادة التَّفهيم.

٦ - يَتَوسَّع في عَرْضِ بعض المسائل والتَّكلُّم عليها.

٧ - إذا كانت المسألة مُتشعِّبةً فمِنْ وسائل توضيحها عند سماحته طريقة التَّقْسِيم.

٨ - لا يَعرِض من الخِلَاف إلَّا ما كان ذا جدوى، ولا يذكر من الخِلَاف إلَّا الخِلَاف المشهور الذي له حظٌّ من النَّظر، ولا يُعرِّج على الأقوال الشَّاذَّة أحياناً إلَّا لإبانة خطأ.

٩ - إذا عَرَض لمسألةٍ فيها خِلَافٌ ذَكَر رأي المُؤلِّف أوَّلاً وأدلَّته، ثمَّ ذَكَر رأي المُخالِفِين كُلّاً على حِدَةٍ مع أدلَّتهم، وفي ذلك كلِّه يحترم كلَّ ذي رأيٍ من العلماء، ولا يذكره بما يسوء.

١٠ - قد يُصَحِّح أحد القَولَيْن دون سرد الأدلَّة؛ لقِصَر الوقت أو نظراً لحال الطَّالب.

١١ - يُرجِّح ما يراه؛ معتمِداً في ذلك على الدَّليل وأقوال المُحَقِّقين من أهل العِلْم، وله مع ذلك استنتاجات، وفهمٌ خاصٌّ للعبارات.

١٢ - إذا أطال في شرح مسألة يَذكُر خُلاصَتها فيقول: «المقصود»، أو «الحاصل».

١٣ - لا يخرج عن موضوع الدَّرس، وإن خرج - وهو نادر - بَيَّن السَّبب.

١٤ - لا يَجزِم بأيِّ معلومة إلَّا وهو عالم بها، وإذا لم يتبيَّن له الصَّواب في المسألة يُصرِّح بذلك؛ ومن الأمثلة:

أ - قال عن إحدى المسائل: «تَحتَ البحث».

ب - وفي بعضها قال: «البَحثُ يَحتاجُ إلى تأمُّل؛ ما سَمعتُه مِنْ أَحدٍ».

ج - وفي أخرى قال: «ولا أعرف وجه الجمع».

١٥ - فيما يتعلَّق بالعقائد: لا يحرص على ذِكْر آراء أهل البدع والإشراك، فإذا وَجَد ضرورةً لذلك، أو كان المُؤلِّف ذَكَرها؛ فإنَّه يتكلَّم عليها بتوسُّع، ويشتدُّ في الرَّدِّ عليهم دون إفراط.

١٦ - فيما يتعلَّق بقراءة الكتب المُطَوَّلات: لا يشرحها عبارةً عبارة؛ وإنَّما كان يقف عند المُهمِّ منها، أو ما يَسأل عنه أحدُ الحاضرين.

١٧ - إذا فَرَغ من الدَّرس تلقَّى أسئلة الطُّلَّاب وأجاب عنها.

١٨ - لم يكن يَسمَح بإثارة الأسئلة التي لا فائدة منها، أو الدُّخول في مناقشات عقيمة.

١٩ - إذا سُئِل عن شيء لا يَعلَمُه يقول: «لا أدري»، دون أن يُبرِّر أو يزيد عن كلمة «لا أدري».

٢٠ - يَختَبِر الطُّلَّاب في بعض الأحيان بإلقاء الأسئلة عليهم فيما شَرَح لهم، وقد يُثير بعض الإشكالات العِلْميَّة؛ ليقدح أذهانَ الطُّلَّاب.

٢١ - في درس شرح متن «ألفيَّة ابن مالك» يَطلبُ منهم إعرابَ أبياتِها وشَواهِدِها.

٢٢ - قال الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن طريقة سماحته في التَّدريس: «كان من أَعلمِ النَّاس في زمانه، ومن أَحسنِهم تعليماً، وتفقيهاً، وعنايةً بالطَّالب، وإلقاء الأسئلة، وحرصاً على استنباط ما عند

الطَّالب، وبيان الجواب، والتَّنبيه على الخطأ، وكان مَهِيباً رَحِمَهُ اللَّهُ، قويّاً في التَّعليم»[١].

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

مسجد سماحة الشَّيخ الذي كان يدرِّس فيه

بيت سماحة الشَّيخ الذي كان يعقد فيه درسه وقت الضُّحى آخر حياته

تَلامِيذُه

تتلمذ على سماحته أفواجٌ من الطُّلَّاب، انتشروا في أنحاء المملكة العربيَّة السُّعوديَّة بين عالِمٍ، وقاضٍ، ومُدَرِّسٍ، وخطيبٍ، وواعظٍ؛ ومِنْ أشهرهم:

١ - سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - المفتي العام للمملكة العَربيَّة السُّعوديَّة - (ت ١٤٢٠هـ)، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأرجو أَنْ أَكونَ حسنة مِنْ حسناته»[١].

٢ - سماحة الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن حُمَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٠٢هـ).

٣ - الجَدُّ فضيلة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن مُحمَّد ابن قَاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٩٢هـ)؛ جامع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، وساعَدَه الوالد في جَمْعِها.

٤ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّطيف بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ، مدير المعاهد العِلميَّة والكُلِّيَّات الشَّرعيَّة - (ت ١٣٨٦هـ).

٥ - فضيلة الشَّيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ، رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

المنطقة الغربيَّة - (ت ١٤٠٤هـ).

٦ - فضيلة الشَّيخ عبد العزيز بن مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - نَجْل سماحة الشَّيخ الأكبر، الرَّئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر - (ت ١٤٢٦هـ).

٧ - فضيلة الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - نَجْل سماحة الشَّيخ، وزير العدل، وعضو هيئة كبار العلماء - (ت ١٤٢٧هـ).

٨ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد الرَّحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو لجنة الإفتاء - (ت ١٤٣٠هـ).

٩ - الوالد فضيلة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قَاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو ألزم طُلَّابه به، وجامعُ فتاويه ورسائله في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً - (ت ١٤٢١هـ).

١٠ - فضيلة الشَّيخ صالح بن علي ابن غصون رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤١٩هـ).

١١ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد العزيز ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٣٢هـ).

١٢ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد الرَّحمن ابن غديَّان رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللَّجنة الدَّائمة للإفتاء - (ت ١٤٣١هـ).

ذَكاؤُه

كان يَمتازُ بالذَّكاء الحادِّ، والحافظة القَويَّة؛ ويتبيَّن ذلك في الآتي:

١ - كان يَعقِل أموراً وهو في الثَّالثة مِنْ عمره؛ قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال لي سماحة الشَّيخ: أذكر أحداثاً وعمري ثلاث سنوات».

٢ - كان يحفظ المتن من القراءة الثَّالثة، ورُبَّما الثَّانية.

٣ - استحضاره للأدلَّة وأقوال العلماء أمْرٌ عجَبٌ؛ ففي شروحه المُطَوَّلة يعزو المئات من النُّصوص وأقوالِ العُلَمَاء؛ وأثناء عملي في تحقيقها لم أره يُخطِئ في شيءٍ منها.

٤ - كان يُكرِّر شرح المُتُون، وبعضها بلغ ثمانيَ نُسَخ، وبين أوَّل شرح وآخر شرح لبعضها قرابة ثلاثين (٣٠) عاماً، ولا يَكادُ يختلف شرحه فيها؛ بل بعض الجمل منها بحروفها.

٥ - كان يَدُلُّ طلَّاب العِلم على مواضع المسائل في مظانِّها من الكتب، ذاكراً رقم الصَّفحة أحياناً.

٦ - إدراك محفوظاته العِلميَّة عن فَهْمٍ وبَصيرةٍ.

٧ - كانت تُعرَض عليه القضايا الطَّويلَة التي تبلغ ثلاث مئة (٣٠٠) صفحة تُقرَأ عليه، ثمَّ يُملِي ما يرى، مستحضراً كلَّ ما مَرَّ فيها من الجزئيَّات.

٨ - امتاز بسرعة البديهة والفهم.

٩ - كان يُدرِك حقيقةَ ما يُعرَض عليه من المُشكِلات، فيكشف ما وراءها من الدَّوافع ببَصيرَتِه الثَّاقبة، ولم يكن ينطلي عليه كيدٌ أو احتيالٌ.

١٠ - كان يُدرِك تقدير الوقت بالسَّاعة، ولا يكاد يُخطِئ في دقيقةٍ منها؛ مع العِلم بأنَّه لم يَستعمل السَّاعة في حياته.

١١ - كان يصِفُ في آخر حياته مشاهداتِه قبل أنْ يُكَفَّ بصرُه في صغره، وبينهما أكثر من ستِّين (٦٠) عاماً.

١٢ - قلتُ للشَّيخ صالح اللُّحيدان: «أنت ذكيٌّ، فمَنْ أذكى مَنْ رأيت؟ قال: في سرعة الاستنباط من الأدلَّة ما رأيتُ مثل الشَّيخ ابن باز، وفي سَعَة الاطِّلاع ما رأيتُ مثل الشَّيخ عبد اللَّه ابن حُمَيْد، قلتُ: والشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم؟ قال: ليس أحد مثله في الذَّكاء».

عِبادتُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ سائراً على منهج سَلَف الأُمَّة، عاملاً بالكتاب والسُّنَّة، كثير العبادة؛ ويظهر ذلك في الآتي:

١ - حرصه على إخلاص العمل للَّه؛ فلم يكن يوماً طالبَ شهرةٍ، ولا باحثاً عن سُمعة؛ ولا يُعرَف عنه أنَّه تحدَّث عن أعماله - على جلالتِها وكثرتِها -.

٢ - كان يتحرَّى في جميع تصرُّفاته الظَّاهرة والباطنة التَّأسِّيَ بالنَّبيِّ ﷺ، وصحابتِه، وسَلَفِ هذه الأمَّة رضوان اللَّه عليهم.

٣ - كان مِنْ أكثر النَّاس استحضاراً لعظمة اللَّه والخشية منه.

٤ - كان يُحيي اللَّيل بالصَّلاة، ويُواظِب عليها في إقامته وسَفَره؛ قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صَحبتُه زمناً طويلاً وهو يَقومُ ما يقرب من ساعة ونصف آخرَ اللَّيل، لا يَترك ذلك، وقد لا يَعرفُ هذا كثيرٌ من النَّاس الذين لم يتَّصلُوا به».

٥ - عيناه تَغْرَورِق بالدُّموع حينما يكون في موقف مناجاة اللَّه، أو إذا سمع بعض ما يُحَرِّك القلوب، ويتجلَّى ذلك كثيراً فيما يُحييه من اللَّيل بالصَّلاة.

٦ - كان يُكثر من ذِكْر اللَّه والاستغفار.

أَخلاقُه

نال رَحِمَهُ اللَّهُ مكانةً كبيرةً في قلوب النَّاس بتوفيق اللَّه، ثم بما كان يَتَحلَّى به مِن أخلاقٍ سامية؛ ومن ذلك:

١ - كان من أنصح النَّاس للَّه وَعَجَّلَ وللعباد والتَّلاميذ، قال سماحة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا أَعلمُ أنِّي لقيتُ أحداً أَعلَمَ منه، ولا أَفضلَ منه رضي اللَّه عنه، ولا أَنصحَ منه للأُمَّة والتَّلاميذ»(١).

وقال أيضاً: «فهو فيما عَلِمتُ مِنْ أَنصحِ النَّاس للَّه والعباد، واللَّهِ لا أَعلمُ أنصحَ منه في وقته، ولا أَعلمَ منه في وقته رَحِمَهُ اللَّهُ»(٢).

٢ - كان حريصاً على نشر العلم النَّابع من الكتاب والسُّنَّة؛ فكان يُشير على النَّابغين أن يُظهروا علم السلف؛ ومِنْ أبرز ذلك: أنَّ الجَدَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا فرغ مِنْ جَمْع كتاب «الدُّرر السَّنيَّة» في ستَّة عشر (١٦) مجلَّداً، قال له سماحته: «لعلَّك تجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، فشرع الجَدُّ في جَمْعِها وسَاعَدَه الوَالدُ، وكان سماحته يتابع جمعهما لها، ويُشرف عليها.

٣ - سلامة قلبه؛ فكان لا يَحملُ ضغينةً على مَنْ أَساءَ إليه.

٤ - لا يَنتقمُ مِنْ أحدٍ نَالَه بأذىً؛ بل كان دَيدنُه الصَّفْحَ والتَّجاوز.

---

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ - يتنزَّه عن الغِيبَة والحديث في الآخرين بما يكرهون، ولم يَكنْ يَسمحُ لأَحدٍ أنْ يَتحدَّث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقُّصِهم؛ بل كان يقف دون ذلك، ويزجر مَنْ حاوله؛ عُرِف بذلك منذ حداثة سِنِّه حتى فارق الدُّنيا.

٦ - كراهيتُه الشَّديدةُ للمديح والثَّناء عليه؛ فما كان يرضى مِنْ أحدٍ أن يُثنيَ عليه، أو يبالغَ في مدحه؛ سواء كان ذلك مشافهةً أو كتابةً.

٧ - آتاه اللَّه هيبةً في نفوس النَّاس، ومع ذلك كان أنيساً عند مخالطته، ألوفاً لمعاشريه، لا يتَّصف بشيءٍ من الغِلظة، أو الفظاظة.

٨ - عُرِفَ بالبَذْلِ والسَّخاء؛ وبالأخصِّ ما يتعلَّق بإكرام العلماء والقُضَاة وطلَّاب العِلْم وذوي رَحِمِه، وكان لا يَتركُ مناسبةً مهمَّةً إلَّا أقام لها الوليمةَ الكبيرةَ ودعاهم إليها.

٩ - كَتَب اللَّه له المَحَبَّة والقَبول عند العامَّة والخاصَّة، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو مِنْ أَحبِّ النَّاس إِلَيَّ بعد رسول اللَّه وصحابته»[١].

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

صِفاتُه

كان يَتَحلَّى بصفاتٍ جليلة قَلَّ أنْ تَجتمعَ لأَحدٍ؛ ومِنْ ذلك:

١ - كان يجتهد في تحرِّي الحَقِّ والدِّفاع عنه، ولا يأخذه في ذلك ضعفٌ، ولا يعتريه طَمَعٌ؛ قال عبد اللَّه الصَّانع رَحِمَهُ اللَّهُ[١] -: «سمعتُ الشَّيخ عبد اللَّه العنقريَّ عدَّة مرَّات يدعو للشَّيخ مُحمَّدٍ بعد صلاته آخر اللَّيل، ويقول: إنَّني أَرجُو اللَّه أن يُبقِيَه لنصرة هذا الدِّين، وحِمَاية هذه الدَّعوة السَّلفيَّة، التي قام بها مُجَدِّد القرن الثَّاني عشر شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب»[٢].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنتُ جالساً عند شيخنا - الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ - قبل وفاته بأحدَ عشرَ يوماً، وعلى وجه التَّحديد في السَّاعة الرَّابعة من يوم (٢٣) من المُحرَّم (١٣٧٣هـ)، وقد اشتدَّ به المرض رَحِمَهُ اللَّهُ، فتأوَّه وقال: إنَّ دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ قد كادت تنمحي، ولكن نسأل اللَّه أنْ يُبقيَ لها هذا الكهفَ الظَّليل، وهو الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم لحمايتها والذَّوْد عن حِياضِها، ويَجبُ على المسلمين عامَّةً وعلمائهم خاصَّة أنْ يدعوا له بالتَّثبيت والقوَّة»[٣].

٢ - له حظٌّ وافرٌ مِن الشَّجاعة وقوَّة الشَّكيمة.

---

(١) من تلاميذ الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥).

(٣) المبتدأ والخبر (٥/ ٧٦).

٣ - كان قويّاً في الحَقِّ، لا يخاف في اللَّه لومة لائمٍ، وله في ذلك مواقفُ حَفِظَها التَّاريخ، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ذا غَيْرة عظيمة، وهمَّة عالية رفيعة، وكان كَهفاً مَنِيعاً لأهل الحَقِّ مِنْ دُعاة الهُدَى، وكان ذا حَزْمٍ وصَبرٍ وقوَّةٍ في الحَقِّ، لا تَأخذُه في اللَّه لَوْمَة لَائمٍ»[١].

٤ - كان يُطيل التَّأمُّل والتَّعمُّق، ويُبعِد النَّظَر في عواقب الأمور، وفيما يُعرَض عليه مِن القضايا التي تَجِدُّ تِباعاً، فكان يَصِلُ بعد ذلك إلى الاستنتاج الدَّقيق الذي لا يكاد يختلف، ولا يخالفه فيه ذو إنصاف.

٥ - كان مُهتمّاً بأمر المسلمين؛ فيسأل أهل البلدان والأمصار عن أحوالهم؛ ويأتي أحدهم بالخبر يحسب أنَّه لا يَعلَمُه؛ فيخبره سماحته بأكثر منه في بلاده، أو بلدان أخرى.

٦ - كان يَكرَه المُتَمَلِّقين.

٧ - اتَّصَف بالعِفَّة والتَّورُّع عن أَخْذِ ما ليس له، أو ما يَرى فيه شبهةً؛ ومِنْ أمثلة ذلك:

أ - كان حريصاً على أنْ لا يُدْخِلَ نفسه في مَداخلَ مُشتَبِهة.

ب - لم يُعرَف أنَّه اشتغل بالبيع أو الشِّراء، لا بالاستقلال ولا بالمشاركة؛ بل كان مُقتصِراً على ما يتقاضاه مقابل عمله.

(١) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).

ج - كان يشغل عدَّة أعمال ولا يتقاضى عليها شيئاً إلَّا ما كان يأخذه قبل إحداث هذه الأعمال.

د - كانت الدَّولة تُكَلِّف موظَّفيها للعمل في مدينة الطَّائف صيفاً، وتصرف لهم مبلغاً من المال مقابل ذلك، وسماحته لا يأخذ من ذلك شيئاً.

هـ - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم أعرف عنه أنَّه طَلَبَ مِن المسؤولين شيئاً يَخُصُّه».

الأعمال التي قام بها

كان أُمَّةً في رَجلٍ، عالِماً مباركاً، جَمَع اللَّه له العِلْمَ والعبادةَ ونَفعَ الخَلْقِ، وقد تَقَلَّد أعمالاً كثيرة؛ منها:

١ - التَّدريس، وهو العمل الرَّئيس الذي استغرق أكثر أيَّام حياته.

٢ - الفتوى؛ فقد كان يُشارِك فيها حتى توفي الشَّيخ سعد ابن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٩هـ)، ثمَّ استقلَّ بها حتى تحوَّلت بأَخَرَةٍ إلى عملٍ مُنَظَّم في دار الإفتاء؛ حين أُنشِئت عام (١٣٧٤هـ)، وظَلَّ يفتي حتى وافته المَنِيَّة.

٣ - القضاء، فلَمَّا حُوِّل القضاء - نظراً لاتِّساعه - إلى رئاسة؛ أُسنِدَت إليه رئاسته.

٤ - رئاسة المعاهد العِلميَّة والكُلِّيَّات منذ إنشائها عام (١٣٧٠هـ)، وهو الذي أشار على الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بفتحها.

٥ - الإشراف على مدارس البنات منذ افتتاحها عام (١٣٧٩هـ).

٦ - الإشراف على تأسيس الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المُنوَّرة، وكُلِّف برئاستها عام (١٣٨١هـ).

٧ - رئاسة رابطة العالم الإسلامي منذ إنشائها عام (١٣٨١هـ).

٨ - رئاسة مجلس القضاء الذي شُكِّل عام (١٣٨٨هـ)؛ وعُقِد في حياته مرَّتين.

٩ - تشكيل هيئةٍ تَضُمُّ كبار العلماء.

١٠ - إمامة جامع حيِّ دُخْنة بالرِّياض، وخطابة الجامع الكبير - جامع الإمام تركي بن عبد اللَّه -.

ومثل هذه المناصب والمهامِّ لا يقوم بها كلُّ أَحدٍ، وإنْ قام بها مفردةً لم يقم بها مجتمعة، ولكن سماحة الشَّيخ آتاه اللَّه القُوَّة والجَلَد، وبَذْل الوقت والنَّفس للخلق، والصَّبر وتَحمُّل الأعباء، مع حَصَافَة العقل وسَعَة العِلْم، والمقدرة النَّادرة في معالجة قضايا النَّاس، وقضاء حوائجهم، فأُوكِلَتْ إليه هذه المناصب؛ لثقة ولاة الأمور به، وعلمهم بكفاءته وتأهيله.

آثارُه

سَخَّر رَحِمَهُ اللَّهُ عُمُره لنَفْعِ المسلمين؛ بالتَّدريس والإفتاء والرَّأي السَّديد والنُّصْح لهم، فخَلَّف كنوزاً كثيرةً من العلوم والمعارف، ومِنْ ذلك: ما كَتَبه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ شروح سماحته خلال ملازمته لدروسه، وما جَمَعَه مِنْ فتاواه ورسائله؛ ومنها:

١ - شرح العقيدة الواسطيَّة.

٢ - شرح كشف الشُّبهات.

٣ - شرح ثلاثة الأصول.

٤ - شرح كتاب التَّوحيد؛ في ثلاثة (٣) مجلَّدات.

٥ - شرح الحَمَويَّة؛ في مجلَّدين.

٦ - شرح الأربعين النَّوويَّة.

٧ - شرح شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها.

٨ - شرح آداب المشي إلى الصَّلاة.

٩ - شرح الرَّوض المُرْبع؛ يزيد على عشرين (٢٠) مجلَّداً.

١٠ - فتاواه ورسائله، في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً، ولها فهرس تفصيليٌّ في مجلَّد، وقد جَمَعها الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال عنها: «لو لم يكن له أَثرٌ سواها لكَفَى به فخراً؛ لم يَصِل إليه غيره من أهل عصره».

ومع أنَّ شروحه وفتاواه لم يُحَرِّرها بيده؛ لكونه كفيف البصر، إلَّا أنَّ اللَّه عوَّضه بالوالد، فكان بارّاً به، وفيّاً له، فأخرج علومه حتَّى أصبحت كتب سماحة الشَّيخ أكثر كتب أئمَّة الدَّعوة.

وَفاتُه

بعد عُمُرٍ زَاخرٍ بالعِلْم، وتَعليمِ النَّاس الدِّين، والنُّصحِ للأمَّة، نزل به مرضٌ يشتدُّ عليه يوماً بعد يوم، ومرضه لم يمنعه من ذِكر اللَّه والاستغفار، حتَّى دخل في غيبوبة تامَّة، انتهت به إلى الوفاة في الرَّابع والعشرين من شهر رمضان، عام أَلفٍ وثَلاثِ مئة وتِسعةٍ وثمانين (٢٤/ ٩/ ١٣٨٩هـ)، عن عُمُر يُناهِز ثمانية وسبعين (٧٨) عاماً.

وقد صُلِّيَ عليه في الجامع الكبير في مدينة الرِّياض، وأَمَّ النَّاسَ تلميذُه سماحةُ الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وحَضَر الصَّلاةَ جمعٌ غفيرٌ مِن الأمراء والعلماء والأعيان، يتقدَّمهم الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومِنْ كثرة المُصَلِّين ضاق المَسجدُ على سَعَته، وصَلَّى كثيرٌ منهم خارج المسجد، وأُغلقت الطُّرُق بالسَّيارات والمُشاة، ولم يكن بين وفاته والصَّلاة عليه إلَّا ساعتان، وتَبِعَه المُصَلُّون إلى «مقبرة العود» حيث وُورِيَ هناك.

وقد حَزِن النَّاس لوفاته، ورَثَاه نيِّفٌ وعشرون عالِماً بما يزيد على أربع مئة (٤٠٠) بيت، وبلغت التَّراجم عنه أكثر من خمسين (٥٠) تَرْجَمَة.

قال الوالد: «تغمَّد اللَّه شيخنا برحمته، وسَدَّد خُطَا خلفائه، ونَفَعَ بعلومه، وجعل عملنا خالصاً لوجهه، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ».

بُحوثٌ عِلميَّةٌ عن عِلْم سماحته

اتَّصف سماحة الشَّيخ بالعِلْم الغزير، وانتفع النَّاس به؛ فصُنِّف في «مجموع فتاواه ورسائله» التي جَمَعَها الوالد أبحاثٌ ورسائلُ عِلميَّة؛ ومنها:

١ - الاختيارات الفقهيَّة في مسائل العبادات لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

٢ - القواعد الأصوليَّة والقواعد والضوابط والفوائد الفقهيَّة؛ من فتاوى ورسائل الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - المنهج القضائيُّ لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ «رسالة دكتوراة».

٤ - اختيارات الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ وآراؤه الفقهيَّة في قضايا معاصرة؛ «رسالة دكتوراة».

٥ - فقه الدَّعوة إلى اللَّه في فتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ - دراسة تحليليَّة -؛ «رسالة ماجستير».

٦ - الجهود التَّربويَّة لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ «رسالة ماجستير».

٧ - منهج الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ في الدَّعوة إلى اللَّه؛ «رسالة ماجستير».

٨ - تخريج الفروع على الأصول عند الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ من خلال فتاويه ورسائله - جَمْعاً ودراسة -؛ «رسالة ماجستير».

٩ - جهود سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ في تقرير العقيدة؛ «رسالة ماجستير».

أسأل اللَّه أنْ يَغفرَ له، وأنْ يجزيَه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأنْ يُسكِنَه الفردوس الأعلى بغير حساب.

تَرجَمَةُ الوَالِدِ العَلَّامَةِ

مُحَمَّد ابْن قَاسِم رَحِمَهُ اللهُ (١)

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

---

(١) هذه التَّرجمة من كتابنا: «مختصر ترجمة الوالد العلَّامة مُحمَّد ابن قاسم رَحِمَهُ اللهُ؛ جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ، وفتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: الشَّيخ العلَّامة مُحمَّد بن عبد الرَّحمن بن مُحمَّد بن عبد اللَّه ابن قاسمٍ، من آل عاصم، من قبيلة قحطان.

ولد سنة ألف وثلاث مئة وخمس وأربعين من الهجرة (١٣٤٥هـ) في بلدة «البِير» - تبعد عن الرِّياض مئة وعشرين (١٢٠) كيلومتراً شمالاً -.

نَشأتُه، وطلبُه للعِلم

نَشَأَ نشأة دينيَّة عِلميَّة؛ فوالده الشَّيخ العلَّامة عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ جامع «الدُّرر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجديَّة» - ستة عشر (١٦) مجلَّداً -، ومُصنِّفُ «حاشية الرَّوض المُرْبع» - سبعة (٧) مجلَّدات -، وغير ذلك من المُؤلَّفات النَّافعة.

وكان والده حريصاً عليه؛ فوجَّهه منذ صغره لتعلُّم القراءة والكتابة، ولَمَّا أتقنهما حَضَر والده إليه - وهو في الكُتَّاب - وأخذ بيده وأخرجه منه، وقال له: «أُريدك أن تكون عالِماً، وليس كاتباً فقط».

فقَدِم والدي على سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره ستُّ (٦) سنوات؛ للالتحاق بدروسه، فسأله سماحته: «هل أنت حافظٌ للقرآن؟ فقال: لا، فقال له: لا يحضر عندي أحد في الدَّرس إلَّا وهو حافظ للقرآن»، فعَكَف على حفظ القرآن الكريم، وحفظه في ثمانية أشهر، ثمَّ التحق بدروس سماحة الشَّيخ وغيره.

شُيوخُه

طَلَبَ العِلم على كبار العلماء في عصره، ومِنْ أولئك:

١ - سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - مفتي المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ورئيس القضاة والشُّؤون الإسلاميَّة - (ت ١٣٨٩هـ)؛ قرأ عليه في التَّفسير، والعقيدة، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والفرائض، والنَّحو والصَّرف، والعَرُوض، والتَّاريخ، وغيرها من العلوم.

٢ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّطيف بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم، ومدير المعاهد العلمية والكليَّات - (ت ١٣٨٦هـ)؛ قرأ عليه الفرائض.

٣ - سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - مفتي عام المملكة العربيَّة السُّعوديَّة - (ت ١٤٢٠هـ)؛ قرأ عليه في الحديث وعلومه: «نُخبَة الفِكَر» و«بلوغ المرام»، وفي الفقه: «زاد المستقنع».

٤ - سماحة الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن حُمَيد رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس المجلس الأعلى للقضاء - (ت ١٤٠٢هـ)؛ قرأ عليه في النَّحو: «الآجُرُّومِيَّة».

٥ - والده العلَّامة عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ - صاحب المُؤلَّفات النَّافعة - (ت ١٣٩٢هـ)؛ قرأ عليه في الفقه.

وكانت حصيلته العِلميَّة واستفادته الكبرى من سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ما اختُصَّ به الوالد في دروس سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ

اختُصَّ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن أقرانه في دروس سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعدَّة أمور؛ منها:

١ - أنَّه أكثر الطُّلَّاب ملازمة لسماحة الشَّيخ؛ فقد بدأ في ملازمته وعُمُره سبع (٧) سنوات، وامتدَّت ملازمته له سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً - من عام (١٣٥٢هـ) إلى عام (١٣٨٩هـ) -.

٢ - أنَّه كان يجلس مُلاصِقاً لسماحة الشَّيخ في الدَّرس.

٣ - أنَّه هو الذي يقرأ الدَّرس على سماحته.

٤ - أنَّه الوحيد من طلَّاب سماحة الشَّيخ الذي يُدَوِّن جميع شروح سماحته، ولا يُعرف في التَّاريخ أنَّ تلميذاً كرَّر تدوينَ شرحِ شيخِه لكتابٍ ثمانيَ مرَّات.

٥ - أنَّ سماحة الشَّيخ كان يُمثِّل باسمه في درسه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الرَّوض المُرْبِع: «الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام؛ هذه الدَّار وُقِفتْ على مُحمَّد ابن قاسم، وجُعِل له النَّظَر فيها».

٦ - كان سريع الكتابة جدّاً، لا يَفوتُه من شروح سماحة الشَّيخ شيءٌ.

٧ - مَكَثَ الوالد سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً يُدَوِّن ما يسمعه من سماحة الشَّيخ.

٨ - الدُّروس الأخيرة لسماحته لم يحضرها من طلَّاب العِلم الكبار سواه، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن آخرِ شرحٍ لسماحته للرَّوض المُرْبع: «أكثر طلَّاب العِلم عليه قد تخرَّجوا ولم يُدرِكوا هذه القراءة، كما أنَّه قد استوفى كلَّ ما لديه فيها؛ لِمَا يرى من العناية بما يُقَرِّر، ولأنَّه يجزم بأنَّه ليس عنده وقت ولا طلَّاب؛ لأنَّ الأكثريَّة دخلوا المعاهد والكُلِّيَّة».

وقال أيضاً: «والَّذين درَسوا عليه قبلُ لم يُدرِكوا أكثر هذا الشَّرح والتَّفصيلِ والتَّصويرِ والتَّرجيحِ واختياراتِه، حتى الَّذين نقلوا عنه».

طَريقةُ تدوين الوالد لشروح سماحته رَحِمَهُمَا اللهُ

كان رَحِمَهُ اللهُ حريصاً على نَفْعِ نفسه وغيره من عِلم سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ، أميناً فيما يسمعه من سماحته، دقيقاً في تدوينه، ويظهر ذلك في الآتي:

١ - أنَّه يُدَوِّن كلَّ ما سمعه من سماحة الشَّيخ بحروفه مِنْ فِيه في حِينِه، قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «أكتب لفظَه مِنْ فِيه في حِينِه؛ حِرْصاً على تقييد الفوائد، ومحافظةً على أمانة النَّقْل»[١].

وقال أيضاً: «كتابتي عن سماعٍ في الحال، لا أُسقط حرفاً ولا أزيد».

٢ - إذا كان يكتب ونَفِدَ الورق كَتَبَ على ذراعه؛ لئلا يفوته شيء، قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «بعض الأحيان أكتب الفائدة أو بَقيَّتها في ذراعي إذا نَفِد الورق».

٣ - أنَّه لا يُغَيِّر ما سمعه ولو كان في ضبط حركات الكلمة، قال سماحته رَحِمَهُ اللهُ: «أما لو كان مربوط، أو مُحَرول[٢]، أو مريض لا يقدر».

قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ مُعَلِّقاً على هذا: «هذه الكلمات كتبتها هكذا، لأنَّه وَقَف عليها بالسُّكون»[٣].

---

(١) (ص١٦٥) من هذا الشرح.
(٢) أي: مُقعَد.
(٣) شرح آداب المشي إلى الصَّلاة لسماحته (ص١٩).

٤ - أنَّه يكتب جميع شروح سماحته للكتب، حتى ولو كان سماحته قد كرَّر شرحه، فقد كَتَب شرح الواسطيَّة ثمانيَ (٨) مرَّات، وشرح كشف الشُّبهات ستَّ (٦) مرَّات، وشرح الأربعين النَّوويَّة أربع (٤) مرَّات، وشرح الرَّوض المُرْبِع ثلاث (٣) مرَّات، وشرح آداب المشي إلى الصَّلاة مرَّتين.

٥ - إذا لم يُدَوِّن شرح الدَّرس؛ يترك صفحة فارغة من الدَّفتر أو جزءاً منها في موضع شرح الدَّرس، ويُبَيِّن سبب عدم تدوينه للشَّرح في ذلك اليوم، ومن الأسباب التي ذكرها: «لم أجد سيارة توصلني للدَّرس، انتهى الحبر، طَفَى السِّراج، طَفَى الكهرب، طَفَت اللَّمبات».

وما فاته يستدركه من شروحات سماحة الشَّيخ المتكرِّرة للكتاب نفسِه.

المَشقَّة التي لاقاها الوالد في تدوين شروح سماحته رحمهما الله

لَقِي الوالد رحمه الله مشقَّةً شديدةً في التَّدوين، وبيان ذلك في الآتي:

١ - طُولُ زمن الكتابة التي امتدَّت سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً، يُدَوِّن فيها ما يسمعه من سماحة الشَّيخ.

٢ - أنَّ درس سماحة الشَّيخ يستغرق أكثر من ثماني (٨) ساعات يوميّاً، فقد كان لسماحته أربع جلسات يُدرِّس فيها، وهي:

أ - بعد صلاة الفجر إلى شروق الشَّمس.

ب - بعد ارتفاع الشَّمس مدَّةً تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

ج - بعد صلاة الظُّهر.

د - بعد صلاة العصر.

وكان الوالد يدوِّن جميع الشُّروح في تلك الجلسات.

٣ - استرسال سماحة الشَّيخ في الشَّرح الذي يفوق سرعة الكتابة المعتادة.

٤ - كانت كتابة الوالد في بداية صناعة الأقلام، وكانت بدائية لا تُعِين على سرعة الكتابة.

٥ - قِلَّة الأوراق زمن كتابة الوالد.

٦ - انعدام الأمور المُعِينة على الكتابة - كالطَّاولة ونحوها -.

٧ - كانت كتابته على ضَوْء السِّراج أكثر من خمسة عشر (١٥) عاماً، وكان ضَوْء السِّراج ضعيفاً[١]، ثم لَمَّا دخلت الكهرباء في الرِّياض كانت كثيرة الانقطاع.

٨ - كانت جِلسته في الدَّرس: يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها، ويثني قدمه اليمنى مرفوعة جهة بطنه، ويضع الدَّفتر على فخذه الأيمن، ويكتب ما يسمعه من سماحته قرابة أربع ساعات وهو على هذه الهيئة لا يغيرها.

٩ - كانت للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ طريقةٌ في مَسْكِ القلم أثناء الكتابة؛ فقد كان يُمسك القلم بين إصبعيه السَّبَّابة والوسطى مع إبهامه، خلافاً لما هو معتاد مِن النَّاس مِن مَسْكِ القلم برأس أنملة السَّبَّابة مع الوسطى والإبهام؛ ومن كثرة كتابته لشروح سماحته وغيره سنين طويلة؛ رأيتُ جانب إصبعيه السَّبَّابة والوسطى محفورتين من أثر مَسْكِ القلم.

(١) الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عَمِيَ بصرُه من وميض السِّراج وهو يُدَوِّن كتابه: «جامع المسانيد». المصعد الأحمد (ص٢٣).

هيئة جلوس الوالد في درس سماحة الشَّيخ وتدوينه للشَّرح السَّاعات الطِّوال

طَريقةُ مسك الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ للقَلَم

المَشقَّة التي لاقاها الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في قراءة ما كَتَبَه

وكما كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يَجِدُ مَشَقَّة في الكتابة، يَجِدُ مَشَقَّة أخرى وهي قراءة ما كَتَبَه بسرعة، وقد بيَّن ذلك في الآتي:

١ - قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كم أنا أُلاقي في صعوبةِ التَّلقِّي والكتابة أوَّلاً، وصعوبة قراءة المكتوب الآن أخيراً؟!».

٢ - كان صابراً على هذه المَشَقَّة رجاء ثواب اللَّه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنا أتعب في الكتابة لاستقبال ما يقول وكتابتِه بسرعة؛ أخشى أن تفوت الفائدة، أو أن أكتبها بطريقة الشَّكِّ فيها، وكذلك في هذا النَّسخ، وأرجو اللَّه المَثوبَة».

٣ - كان يجد العون من اللَّه في قراءة ما انغلق عليه ممَّا كتبه، وقد وَصَفَ ذلك بقوله: «كلَّما اشتبه عليَّ شيء من الكتابة أجد عوناً على فهمه».

٤ - فَهمُه لدروس سماحة الشَّيخ ومعرفته بمعانيها ساعدته بعد عون اللَّه في قراءة ما كتبه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «معرفتي بالمعاني ساعدتني على قراءة ما كتبته بهذه السُّرعة».

خطُّ الوالد أثناء كتابته لشروح سماحة الشَّيخ

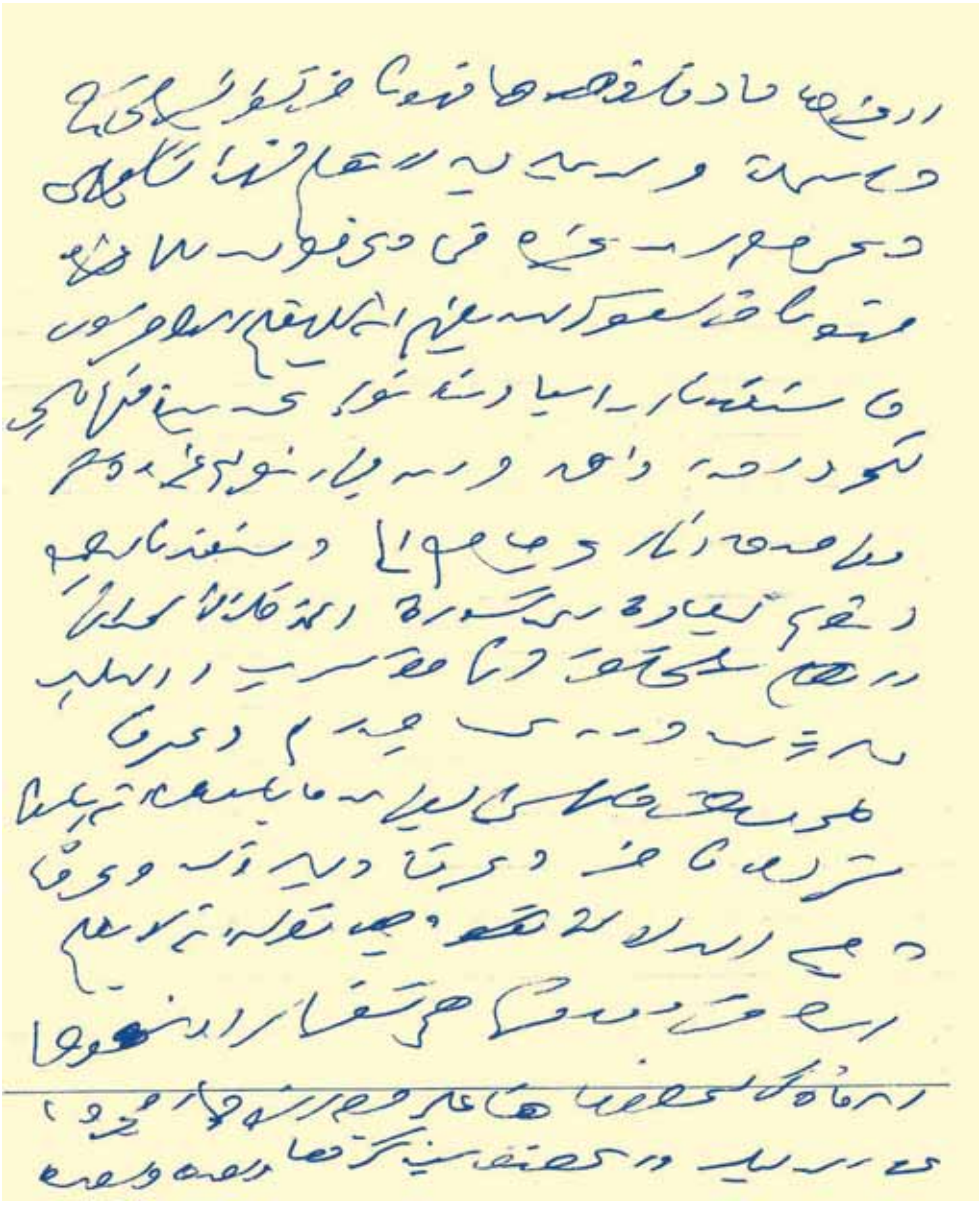

عِلْمُ سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بكتابة الوالد رحمهما الله

كان سماحة الشَّيخ على عِلمٍ بتقييد الوالد لكلِّ ما يقوله، ومطمئنّاً لأمانته، ودِقَّته، وحِرْصِه في كلِّ ما يُدَوِّنه عنه في شروحه وغيرها، ويدلُّ على ذلك الآتي:

١ - قال الوالد رحمه الله: «لا يَخفَى عليه اهتمامي بالكتابة عنه».

٢ - قال الوالد رحمه الله: «كنتُ القارئ عليه، وكان ينتظر أحياناً حتى أكمل الكتابة، وهو يسمع صريخ - صوت - القلم، ويقول: انتهيتَ يا مُحمَّد؟ وأنا أيضاً أُشغِله بقول: أحسن اللَّه إليك، وكانت عادتنا بعد كلِّ جملة يشرحها إذا أنهاها أقرأ ما بعدها وهكذا».

٣ - كان سماحته يدلُّه على مواطن تحتاج إلى تلخيصِ شَرْحِها ممَّا كتبه الوالد، قال رحمه الله في شرح ثلاثة الأصول[1]: «لا بُدَّ من تلخيصٍ للكتابة».

٤ - كان سماحته يُحِيل على ما كتبه الوالد، قال رحمه الله في شرح شروط الصَّلاة: «تقدَّم لنا معنى شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه بآخِرِ كتابة».

(١) (ص١٣٨).

٥ - شَهِد له أقرانه بأمانته فيما نَقَلَه ودَوَّنه ممَّا سَمِعه من سماحة الشَّيخ، حدَّثني الشَّيخ صالح ابن غصون رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - أنَّه قال في اجتماعٍ لهيئة كبار العلماء، وبحضور سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكفينا من الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسمٍ أمانته في تدوين ما يسمعه من سماحة الشَّيخ».

أَثَرُ ملازمة الوالد وكتابته لشروح سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ

قُرْب الوالد من سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وتقييد شروحه وغيرها كان له أثرٌ كبيرٌ في حِفظ ونَشْرِ عِلم سماحة الشَّيخ، ويتبيَّن هذا بالآتي:

١ - رَزَقَ اللَّه سماحة الشَّيخ عِلماً غزيراً، وقد سَخَّر اللَّه له الوالد لحِفْظِ عِلمه، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولمَحَبَّتي لحِفْظِ العِلم ونَشْرِه، حرصتُ على تسجيل هذه التَّقريرات في دفاتري، وظَلَّت محفوظةً عندي كغيرها من شروحات الشَّيخ وتقريراته وفوائده، ولولا لُطْفُ اللَّه بي وبها وبشيخنا لطارت في الهواء، أو نَدَّت في الصَّحراء؛ فلم يكن أحد يحفظها حرفيّاً أو يُقَيِّدها ويمتلك زمامها»[(١)].

٢ - أنَّه الوحيد الذي أخرج عِلم سماحة الشَّيخ، فجميع شروح وفتاوى ورسائل سماحته لم يُخرِجها إلَّا الوالد.

٣ - اختاره الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ لجمع فتاوى ورسائل سماحته والإشراف على طباعتها[(٢)]، فطُبِعت في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً، ووَضَع لها فهرساً تفصيليّاً في مجلَّدٍ.

---

(١) شرح آداب المشي إلى الصَّلاة لسماحته (ص٧).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٤).

٤ - بفَضْلِ اللَّه ثمَّ الوالد أصبحت كتب سماحة الشَّيخ أكثر كتب أئمَّة الدَّعوة.

٥ - عَرَف العلماءُ للوالد قَدْرَه في حِفْظِ عِلم سماحته ونَشْرِه، وشَهِدوا له بذلك، فقال الشَّيخ صالح ابن غصون، والشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان - عضو هيئة كبار العلماء -، والشَّيخ عبد الرَّحمن البرَّاك - عضو هيئة التَّدريس بجامعة الإمام -، وغيرهم من العلماء، قالوا جُمْلَةً واحدةً: «إنَّ اللَّه حَفِظ بالشَّيخ مُحمَّد ابن قاسمٍ عِلم سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم».

مَكانةُ الوالد عند سماحة الشَّيخ رَحِمَهُمَا اللهُ

كان سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ يعتني بطلَّابه، ويَخُصُّ الوالد رَحِمَهُ اللهُ بعناية خاصَّة، ومنزلة عالية، ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - حدَّثني الوالد وكتب بخَطِّ يده: «أصابني الجُدَريُّ[١] ولم يكن لي أحد في الرِّياض، فاستدعاني الشَّيخ إلى بيته، وجعلني في مكتبته، وخَصَّصَ لي مَنْ يداويني ويقوم برعايتي، وخَشِيَ الشَّيخ أن يُكَفَّ بَصَري، فقال: ضَعُوا في عينه عسلاً؛ فلم يُكَفَّ بَصَري».

قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «فأرجو أن يكون ما كتبته عنه وفاءً له».

٢ - كان سماحة الشَّيخ يطلب من الوالد أن يقرأ عليه لتحضير درس الغد، قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «لمَّا كنتُ أطالِع على الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ كعادته كتحضيرٍ لقراءة الغد، وقلتُ: كتاب الوقف؛ قال: الوقف يوقِف قارئاً أن يَقْحما[٢]».

٣ - كان سماحة الشَّيخ يتوقَّف عن الشَّرح يسيراً كي يُكمِل الوالد الكتابة.

٤ - كان الوالد في بعض الأحيان يستأذن للخروج من الدَّرس لحاجة، فإذا رجع، أعاد سماحته ما فات الوالد من الشَّرح.

---

(١) الجُدَريُّ: قروحٌ في البَدَن تَنَفَّطُ عن الجلد، مُمْتَلِئَة ماءً، وتَقَيَّحُ. لسان العرب (٤/ ١٢٠).

(٢) أي: قف في قراءة هذا اليوم إلى هنا - كتاب الوقف -.

٥ - رفع سماحة الشَّيخ للملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ قائمة بأسماء الطُّلَّاب النَّوابغ لديه لتكريمهم، وكان من ضِمنهم الوالد، وكان أصغرَهم.

٦ - حَرَص سماحته أنْ يقوم الوالد بطَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام؛ فكتب للوالد: «نُعمِّدك بسرعة السَّفَر إلى مكَّة المكرمة لتلك المُهِمَّة».

٧ - فرَّغ سماحتُه الوالدَ من التَّدريس وجميعِ أعماله لطَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام، فكتب له: «عَمَلُك في التَّدريس بمعهد الرِّياض محفوظٌ لك بعد عودتك من هذه المهمَّة - إن شاء اللَّه -، وتُعفَى من التَّدريس بمكَّة، أو أيِّ عمل خلاف ما انتُدِبتَ له».

٨ - كان سماحته يَثِقُ بالوالد، فكتب له بخصوص طَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام: «المُصَحِّحون والنُّسَّاخ على حسب اختيارك».

٩ - كان يُتابع عمل الوالد في طباعة مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ويدعو له بالتَّوفيق، فكتب له: «عليك بالمبادرة بالسَّفَر على هذه الأُسُسِ، والاجتهاد في إنجاز ما وُكِّل إليك من عمل، وإخبارنا دائماً بمراحل العمل وتطوُّراته، والتَّعقيب على المطبعة دائماً وأبداً في إنجازه، واللَّه يُوَفِّقُك».

١٠ - كان سماحته يفرح بما يُقَدِّمه الوالد من نَفْعٍ للمسلمين؛ حدَّثني الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «لمَّا فرغتُ من تحقيق وتكميل كتاب (نقض تأسيس الجَهميَّة) لشيخ الإسلام، قال لي الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم: سنذهب معاً للملك فيصل لطباعته، فوافق الملك على طباعته».

١١ - سماحة الشَّيخ والجَدُّ عبد الرَّحمن ابن قاسم ﷺ أقرانٌ في السِّنِّ، فسماحته أسنُّ من الجَدِّ بعامٍ واحدٍ، وقد طَلَبا العِلم معاً على العلماء منذ عام (١٣١٥هـ)، وبينهما أُخوَّة وصداقة ومراسلات، وكان الجَدُّ يُلَقِّب سماحته بـ«الشَّيخ الوالد» تقديراً له، وسماحته يُجِلُّ الجَدَّ، ويقرأ مؤلَّفاته في دروسه كـ«أصول الأحكام»؛ بل كان سماحته يطلب مُسَوَّدة حاشية الجَدِّ على الرَّوض المُرْبِع لتُقرَأ عليه حين تحضيره لدرس الغد.

وزادت العلاقة متانةً بقُرْبِ الوالد من سماحته، فبلغ زمن العلاقة بينهما أربعة وسبعين (٧٤) عاماً - من عام (١٣١٥هـ) إلى حين وفاة سماحته عام (١٣٨٩هـ) -، لذا كان سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ يقول مراراً: «نحن وابن قاسم شيءٌ واحدٌ».

ولا تزال العلاقة مُستمرَّة بين الأسرتين منذ مئة وثلاثين (١٣٠) عاماً إلى اليوم، محفوفةً بالمَودَّة والتَّقدير.

١٢ - بَعَثَ سماحة الشَّيخ للجَدِّ رسالةً، كتب في آخرها: «وسلِّم على ابنكم مُحمَّد كثيراً».

١٣ - لمَّا عَيَّنَ سماحةُ الشَّيخ طُلَّابَه في مناصب، قال للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم نَنْسَك يا مُحمَّد، نريدُك في مكانٍ لائق»، فقال له الوالد: «أريد أن أتفرَّغ لمساعدة والدي في جمع الفتاوى، ولإخراج تقريراتكم».

مَكانةُ سماحة الشَّيخ عند الوالد رَحِمَهُمَا اللَّهُ

نَشَأ الوالد منذ صغره في كَنَفِ سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، ولِمَا يتَّصِفُ به سماحته من أخلاق عالية وعِلميَّة فريدة؛ أحبَّه الوالد حُبّاً جَمّاً، وكانت له منزلة عالية عنده، ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - سألتُ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كيف كان حبُّك لسماحة الشَّيخ؟» فقال: «كُنَّا في الطَّريق من الرِّياض إلى مكَّة للحَجِّ في سيارة قبل سيارة الشَّيخ بمسافة، فتأخَّرَت سيارة الشَّيخ كثيراً، فتوقَّفنا لانتظاره، وجلستُ أبكي؛ خشِيتُ أنَّ الشَّيخ أُصيبَ بشيء، فلمَّا قَدِم الشَّيخُ فرحت فرحاً شديداً، وذهبتُ للسَّلام عليه»، فقلتُ للوالد: «هل عَرَفَ الشَّيخ أنَّك كنتَ تبكي عليه؟» قال: «نعم، عَرَفَ ذلك من صوتي».

٢ - مِنْ حبِّ الوالد لسماحته: أنَّه كتب بخطِّه وصْف لباسه وَصْفاً دقيقاً فقال: «جَيْبُ شيخنا على صدره وهو مخفيٌّ تحت الثَّوب - لا فوقه، ولا في جنب الثَّوب كما هو الآن -، فيه الخَتْم، والعُود (الطِّيب)، والمفاتيح، والمِسواك».

٣ - كنتُ إذا أَردْتُ أن يُسَرَّ الوالد، أقول له: «حدِّثني عن سماحة الشَّيخ»؛ فيدخله السُّرور سريعاً، ويسترسل في الحديث عنه.

٤ - كان الوالد يُوصِي بقراءة كتب سماحته، فكتب الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ فاتته القراءة على شخصه فليستمع إلى ما قرَّره».

وكتب أيضاً: «مَنْ لم يُدرِك هذا الشَّيخ ليُسمِّع عليه، ويَسمَع شرحه، فليقرأ هذا الشَّرح[١]».

٥ - كان يُسافِر أسبوعيّاً بالسَّيَّارة من الرِّياض إلى مكَّة ذهاباً وإياباً - ألفاً وثمان مئة (١٨٠٠) كيلومتر -، لطَبْعِ فتاوى سماحته، وقد استمرَّ على ذلك ثمانيَ (٨) سنوات.

٦ - أكبر برهان على مَحَبَّة الوالد لسماحة الشَّيخ؛ أنَّه أفنى جُلَّ عُمُره في حِفظ عِلم سماحته ونَشْرِه.

(١) أي: شرح الرَّوض المُرْبع.

ذَكاؤُه

مَنَحَهُ اللَّه ذكاءً حادّاً، ونبوغاً مُبَكِّراً، ويتَّضِح ذلك فيما يأتي:

١ - كان يَعقِلُ أموراً وعُمُره أربع (٤) سنوات، فقد سألتُه يوماً: «كم مَكَثَ الجَدُّ في تأليف (حاشية الرَّوض)؟» قال: «كنتُ أراه يكتب فيها وعُمُري أربع (٤) سنوات».

٢ - ظَهَرت عليه علامات النُّبوغ منذ صغره، قال لي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان والدي يأمرني أن أطابقَ معه المطبوع من كتاب (الدُّرر السَّنيَّة) مع الأصل، فكان يتجاوزُ بعضَ الأسطر ليختبرني هل أنا متابعٌ معه أم لا؟»، وكان ذلك قبل بلوغه السَّادسة من عُمُره.

٣ - حَفِظ القرآن الكريم في ثمانية (٨) أشهر، وهو في السَّادسة من عُمُره.

٤ - كان يحفظ المتن من قراءته له مرَّة واحدة، وأحياناً مرَّتين؛ كما ذَكَر ذلك عنه الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو الإفتاء بدار الإفتاء -، وهو من أقرانه في طَلَب العِلم.

٥ - التحق بدروس سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره سبع (٧) سنوات.

٦ - كان درسُ سماحة الشَّيخ مُقَسَّماً ثلاثة صفوف؛ الصَّف الأوَّل وهو الصَّف القريب منه، وفيه كبار طلَّاب العِلم أمثال سماحة الشَّيخ

عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، ويليه الصَّف الثَّاني للمتوسِّطين، ثمَّ الصَّف الثَّالث لصغار السِّنِّ وكان الوالد معهم، فلمَّا رأى سماحة الشَّيخ نبوغَه قَدَّمَه إلى الصَّف الأوَّل القريب منه.

قال الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسم أبرز مَن في الحلقة الذين قرأنا معهم على سماحة العلَّامة مُحمَّد بن إبراهيم، فكان هو الذي يقرأ على الشَّيخ المتن والشَّرح، حيث كان يهتمُّ بحِفظ المتون مع أنَّ في زملائه مَن هو أكبر منه سِنّاً، وأقدم منه تعلُّماً».

وقد حدَّثني الشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان بمثل ما قاله الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

٧ - كان مُلِمّاً بالنَّحو، لا يَلْحَن في القراءة؛ لذا اتَّخذه سماحة الشَّيخ قارئاً له في الدَّرس وهو صغير، مع وجود كبار طلَّاب العِلم.

٨ - بدأ في تدوين شروح وفتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره سبع (٧) سنوات.

٩ - كان يفهم كلَّ ما يكتبه عن سماحة الشَّيخ من تقريراتٍ وفتاوى ويَعِي معانيَها، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلُّ ما كتبتُه عن الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ فقد فَهِمْتُه بحمد اللَّه».

١٠ - لَمَّا لَمَحَ الجَدُّ منه الذَّكاء والعِلم، كَتَبَ في وصيَّته: «والمجلَّد الأخير من شرح أصول الأحكام، والأخير من حاشية الزَّاد[١]، يُكمِلُها مُحمَّد»، وكان الوالد آنذاك في العشرين من عُمُره.

(١) طبع باسم: «حاشية الرَّوض المُرْبِع».

١١ - بدأ مع والده بجَمْعِ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة وهو في العشرين من عُمُره.

١٢ - سَعَة علومه في مختلف الفنون، ويظهر ذلك في فهرسته لفتاوى شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣ - قدرته على تمييز كلام شيخ الإسلام من غيره، ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

أ - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكلام متَّصل، ويحتمل أنَّه من كلام شيخ الإسلام، أو شرحٌ له من كلام ابن القيِّم»[١].

ب - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل أن كلام ابن تيميَّة انتهى عند قوله: (في هذه الحال)، وأنَّ البقيَّة شرحٌ من ابن القيِّم»[٢].

ج - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يُبَيِّن ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ متى انتهى كلام شيخه، ويحتمل أنَّه انتهى قبل قوله: (ولهذا...) إلخ»[٣].

(١) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٨١).
(٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٨٢).
(٣) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٥٤).

د - شهادة العلماء له بذلك، قال الشَّيخ حَمَّاد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة التَّدريس بالجامعة الإسلامية -: «لو اجتمع النَّاسُ كلُّهم فتنفَّس ابن تيميَّة، لعَرَف مُحمَّد ابن قاسم نَفَسَه مِن بينهم».

١٤ - قُدرته على تلخيص الكُتُب من غير إخلالٍ بالمعنى، فقد لَخَّص بخطِّ يده جميع كتب ابن القيِّم وعُمُره اثنا عشر (١٢) عاماً.

١٥ - لنبوغه المُبَكِّر كُلِّف بالتَّدريس في معهد إمام الدَّعوة العِلميِّ بالرِّياض وهو طالبٌ في كُلِّيَّة الشَّريعة، وقد سألتُ الشَّيخ داود العلواني - أحد طلَّابه في المعهد -: كيف استطاع أن يجمع بين الدِّراسة والتَّدريس؟ فقال: «هو عالِمٌ كبيرٌ، أعلى عِلميّاً مِن بعض مَنْ يُدَرِّسونَه في الكُلِّيَّة».

١٦ - كان يُلقي دروسه في المعهد والكُلِّيَّة والمسجد عن ظهر قلب.

١٧ - عُرِفَ عنه سرعة بديهته، واستحضاره للجواب الدَّامغ.

عِبادتُه

علماء الأُمَّة الرَّبَّانيُّون يجمعون بين العِلم والعَمَل، وهي سُنَّة توارثها العلماء قرناً بعد قرنٍ، وقد انتظم الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مع أولئك الرَّكب، ويتبيَّن هذا بالآتي:

١ - كان محافظاً على إخلاصه مع اللَّه، ويخشى ممَّا يُكَدِّره برياء أو سُمعة، فكان لا يُحِبُّ الظُّهور، أو إبراز أعماله، ولم تكن له أيُّ صورة سوى ما في أوراقه الرَّسميَّة.

٢ - بَدَا للنَّاس علاماتُ إخلاصه للَّه، قال سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشهد باللَّه أنَّ الشَّيخَ مُحمَّد ابنَ قاسم مُوحِّدٌ».

٣ - كان كثير الخشية للَّه، جاعلاً ربَّه نُصْبَ عَيْنَيه.

٤ - كان حريصاً على التَّأسِّي بالنَّبيِّ ﷺ، وصحابتِه، وسَلَفِ هذه الأمَّة، قال عنه المُحدِّث الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّيخ الفاضل».

٥ - كان كثير التِّلاوة لكتاب اللَّه تعالى في سَفَرِه وحَضَرِه.

٦ - كان يذهب إلى المسجد لأداء الصَّلاة مُبَكِّراً، فيخرج قبل الأذان بربع ساعة، ومعه مفاتيح المسجد، وهو آخر مَنْ يخرج من المسجد.

٧ - كان كثيرَ العبادة؛ يستيقظ قبل الفجر بساعتين ويُصَلِّي إلى أذان الفجر، ثمَّ يذهب للمسجد لصلاة الفجر، وبعد الصَّلاة يجلس في مُصَلَّاه يقرأ القرآن الكريم إلى ارتفاع الشَّمس، ثمَّ يُصَلِّي ركعتين.

٨ - لا يَدَع قيام اللَّيل ولو في سفَرٍ في ليلةٍ شاتية، وإذا وافقت قيادته للسَّيَّارة ليلاً صَلَّى قيام اللَّيل وهو يقود السَّيَّارة.

٩ - كان ينقطع للعبادة في المسجد الحرام كلَّ عامٍ في شهر رمضان.

١٠ - كان شديد الوَرَع، قال الشَّيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «العالِمُ الوَرِعُ، التَّقِيُّ، الخفيُّ».

١١ - كان يغضب غَضَباً شديداً إذا تَخَلَّف أحد أبنائه عن صلاة الجماعة حتَّى وهم كبار.

أَخلاقُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ مُتَّبِعاً للكتاب والسُّنَّة، سائراً في ذلك على هَدْي السَّلَف، وكان هذا ظاهراً عليه في أخلاقه، وسَمْتِه، ووَقَاره، وسلوكه، ومعاملته مع ربِّه ومع النَّاس؛ ويتبيَّن هذا بما يأتي:

١ - نُصْحُه للمسلمين في معتقدهم وأخلاقهم، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدِّمة كتابه - «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»[1] -: «وأنا أَودُّ أن يكون هذا الكتاب أو مثله في بيت كلِّ مُسلمٍ؛ تكميلاً لمَحبَّتنا، وتَحصيناً لذرِّيَّتِنا».

٢ - كان يُحِبُّ الصَّالحين ولو كانوا من الأبعدين، ويُبغِض العاصين ولو كانوا من الأقربين.

٣ - كان بارّاً بوالِدَيْه، لا يدع زيارتهما، ولمَّا كان في مكَّة كان يُسافِر لزيارتهما ثمَّ يعود، ولمَّا مَرِضَ والده، سافر به إلى الخارج للعلاج، ومَكَثَ معه عِدَّة أشهر.

٤ - كان والده رَحِمَهُ اللَّهُ يُحبُّه كثيراً؛ لمَّا سافر الوالد إلى مكَّة لطبع فتاوى شيخ الإسلام بَعَثَ له والده رسالةً بخَطِّه، فيها: «ونرجو بِرَّكم ودعاءكم لنا بعد الوفاة وفي الحياة، كما هو مبذول لكم».

---

(١) (ص٩٧).

٥ - كان واصلاً لرَحِمِه؛ ولا يتخلَّف عن مناسبة لهم.

٦ - كان كثيرَ الصَّدَقة والبَذْلِ للفقراء والمحتاجين.

٧ - كان زاهداً في الدُّنيا، مُقبِلاً على الآخرة، فلم يكن يوماً طالباً لشُهْرَة أو منصب، قال الشَّيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء -: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ عابداً زاهداً».

٨ - صادقُ الحديث، لا يُعرَف أنَّه كَذَبَ كَذْبة قط.

٩ - عَفُّ اللِّسان؛ لا يُعرَف أنَّه اغتاب أحداً.

١٠ - لا ينشغل بما لا يعنيه؛ لمَّا ضعف سَمْعُه قليلاً آخرَ عمره، عرضت عليه الذَّهاب للمستشفى، فقال لي: «أكثر كلام النَّاس لا حاجة لي بسماعه».

١١ - شديدُ التَّواضع مع النَّاس.

١٢ - اشتُهِرَ بالأمانة.

١٣ - عُرِفَ بالوفاء وردِّ الجميل لأهله.

١٤ - حريصٌ على الكَسْبِ الحلال، بعيد عن المشتبهات فَضْلاً عن المُحَرَّمات.

١٥ - عُرِفَ بالكرم والسَّخاء.

صِفاتُه

كان يَتَحَلَّى بصفات خُلُقيَّة حميدة، ومِنْ ذلك:

١ - حبُّه للعِلْم - طلباً، وقراءةً، وتأليفاً، ودلالة عليه -؛ لمَّا ضعُف بصره قليلاً آخرَ عمره، كان يقرأ ويكتب وعدسة تكبير الحروف بيده اليسرى.

٢ - شديدُ الصَّبر في طَلَبِ العِلم ونَشْرِه - جمعاً وتأليفاً -.

٣ - كان يعكف على القراءة السَّاعات الطِّوال، حدَّثني رَحِمَهُ اللَّهُ يوماً فقال: «صلَّيتُ العشاء، ثمَّ قرأت في (منهاج السُّنَّة) لشيخ الإسلام، فلم أشعر إلَّا والمؤذِّن يُؤَذِّن الفجر».

٤ - كان حريصاً على وقته في الجمع والتَّصنيف، كتب للمطبعة: «بعض الصَّفحات من هذا الكتاب كمُسَوَّدة، لم يكن عندي وقتٌ أُحسِّن فيه الخَطَّ وأتأنَّى».

٥ - تَعلُوه الهيبة والوَقَار، وعليه سَمْتُ العلماء.

٦ - كان مُتَعَفِّفاً عمَّا في أيدي النَّاس؛ أعطيته يوماً سِواكاً فقال: «لو كان مِنْ أَحدٍ غيرك ما قَبِلتُه».

٧ - دَمِثُ الخُلُق، متأثِّرٌ بأخلاق كبار العلماء.

٨ - كثيرُ الصَّمْتِ، ينتقي في حديثه أطايب القول.

٩ - جميلُ العِشْرة، حَسَن المعاملة؛ لا يُؤذي أحداً بقولٍ أو فعل.

١٠ - واسع الحِلْم؛ لا يُعرَف عنه الغضب.

١١ - كان حَيِيّاً وقوراً، لم أَرَهُ كاشفاً عن رأسه حتى في البيت، ولم أُشاهِد شعر رأسه إلَّا وهو مُحرِم بالحجِّ أو العمرة.

١٢ - كان قليلَ النَّوم، فاغتنَمَ حياته بالعبادة والعِلم.

١٣ - كان يستمع لمَن يُسدِي له نُصْحاً أو إشارةً له بخير؛ كان يصلي آخر اللَّيل مُدَّة ساعة، فقلتُ له: «ساعة قليل»، فرأيته يقوم بعدها ساعتين، وأشرتُ عليه أن يَضَع له وقفاً، فوقف عقاراً للفقراء.

وأمَّا صفاته الخَلْقِيَّة: فكان طويل القامة، متوسِّط البُنْيَة، قمحيَّ اللَّون، على وجهه أثر الجُدَريِّ، لحيته ليست بالكثيفة، شعره أسود وخَطَّ الشَّيْبُ نِصفَه.

مَواهِبُه

وَهَبَه اللَّه مواهب فريدة سَخَّرَها لخدمة الإسلام والمسلمين؛ ومِنْ مواهبه رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ - كان جَهْوَرِيَّ الصَّوت، فصيحاً في القراءة.

٢ - سرعة قراءته للكُتُب، فكان يقرأ الصَّفحاتِ الكثيرةَ في وقتٍ وَجيزٍ.

٣ - يسَّر اللَّه له قراءة المخطوطات المُتعذِّر قراءتها على أربابها المختصِّين، وهذه الموهبة سَهَّلَتْ له إخراج كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة المخطوطة رغم صعوبتها.

٤ - أثناء متابعته لطباعة فتاوى شيخ الإسلام وفتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بالآلات القديمة، كانت تُعرَض عليه الصَّفحة مقلوبةً لمراجعتها، فكان يَقرؤُها بكل سهولةٍ ويُسْرٍ.

٥ - مَنَحَه اللَّه سرعة الكتابة بشكلٍ عجيب، وقد شَهِد له بذلك أقرانه، أمثال: الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين، والشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان، والشَّيخ عبد اللَّه ابن عقيل - رئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - وغيرهم.

وقد رأيتُه رَحِمَهُ اللَّهُ عِدَّة مرَّات يكتبُ ما يتكلَّم به الشَّخص بكلامٍ سريعٍ، ولا يفوتُه منه شيءٌ.

٦ - الجَلَدُ في الكتابة، فقد كَتَبَ بنفسه المجلَّدات الكثيرة، ومن ذلك ما يأتي:

أ - كَتَبَ عن سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم في درسه أكثر من ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) ورقة، في أكثر من ألف (١,٠٠٠) دفتر.

ب - كَتَبَ بيده فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم، وأخرجها في مجموع حافل، بَلَغَ ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً.

ج - كَتَبَ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة البالغة سبعة وثلاثين (٣٧) مجلَّداً.

د - كَتَبَ بيده «المُستدرَك على فتاوى شيخ الإسلام» البالغ خمسة (٥) مجلَّدات أكثر من مرَّة.

هـ - لَخَّصَ جميع كتب ابن القيِّم في عِدَّة مجلَّدات.

٧ - كان ذا فراسة قويَّة لا تكاد تُخطِئ، وله في ذلك مواقف كثيرة.

خطُّ شيخِ الإسلام الَّذي قرأه الوالد وطَبَعَه

حُسْنُ جَمْعِه وتَأْلِيفِه

امتاز رَحِمَهُ اللَّهُ بتحصيل الفنون المُتَعَدِّدة، ودِقَّة الجَمْعِ، وجَوْدَة التَّأليف، وحُسْنِ التَّرتيب والإعداد والإخراج في المُصَنَّفات، وقد نال ذلك بفَضْلِ اللَّه ثمَّ بما مَنَحَهُ من الذَّكاء، وسَعَة الفَهْم، ويَظهرُ ذلك في الآتي:

١ - جَمْعُه مع والده لـ«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة وثلاثين (٣٥) مجلَّداً، وكانت مُدَّة جَمْعِها وطَبْعِها أربعين (٤٠) عاماً، ومِنْ عَملِ الوالد فيها:

أ - سافر إلى الشَّام والعراق ومصر وباريس لجمع مخطوطات فتاوى شيخ الإسلام.

ب - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عمَّا وَجدَه هناك من مخطوطات لشيخ الإسلام: «وفيها من خَطِّ شيخ الإسلام بيده ما يزيد على ثمان مئة وخمسين صحيفة لم يَسبِق لأحدٍ العثور عليها».

ج - تصفَّح خلال سِتَّة أشهر من رحلته تسع مئة (٩٠٠) مجلَّد من اثني عشر ألف (١٢٠٠٠) مجلَّد مخطوط.

د - شاهَدَ المحدِّثُ الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ الوالدَ في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق وهو في العشرين مِنْ عُمُره يُفَتِّش في مئات المخطوطات والمجلَّدات؛ بحثاً عن فتاوى لشيخ الإسلام، فعَجِب مِنْ صنيع الوالد،

فدَوَّن شهادة بخَطِّه، هذا نَصُّها:

«فبياناً لِمَا رأيتُ بنفسي، أشهد بما يأتي: لقد رأيتُ الشَّيخ الفاضل مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قَاسم في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق سنة (١٣٧٢هـ)، وهو مُهتمٌّ اهتماماً بالغاً بدراسة مئات المخطوطات - من رسائلَ ومجلَّدات - المحفوظة في المكتبة؛ لاستخراج ما قد يكون فيها من فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه اللَّه تعالى...».

هـ - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ واصفاً مَشَقَّة قراءة مخطوطات شيخ الإسلام، وأمانته في نَسْخِها وإخراجها للنَّاس: «ومَنْ عَثر على بعضها لا يستطيع قراءتها؛ لصعوبة الخَطِّ، أو عدم حفظ المعاني التي يبحثها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فمن ثمان مئة سنة لم يقرأها، ولم يتحمَّل نَسْخها ومسؤوليتها إلَّا أنا».

٢ - «فهرس مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في مجلَّدين.

وهو فهرسٌ لا نظير له في المُصَنَّفات، يُوحِي بقوَّة عِلمه، وذكائه، وفَهْمِه، ورسوخِه في مختلف العلوم، فلا توجد مسألة أو بحث مقصود أو مستطرد إلَّا ذكره في الفهرس، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما لم يكن موجوداً في هذين المجلَّدين فليس موجوداً في الخمسة والثَّلاثين».

ومثل هذا العمل يَتعسَّر على مجاميع عِلميَّة أن يعملوا مثلَه، وقد تَتَبَّعتُ فهرسته مراراً مُستعيناً بالتقنية الحديثة، فلم أجده فاته منها شيءٌ.

٣ - «المُستدرَك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة (٥) مجلَّدات.

جَمَع فيه جميع أقوال شيخ الإسلام مِنْ كتب طلَّابه وغيرهم، كما أضاف إليه مخطوطات لشيخ الإسلام ليست في «مجموع الفتاوى»، وقد مَكَثَ في جمعه ثلاثة عشر (١٣) عاماً، وقرأ الوالد لجمع هذا الكتاب أكثر من مئة (١٠٠) مجلَّد.

٤ - تصحيح وتكميل وتعليق على كتاب «بيان تلبيس الجهميَّة» لشيخ الإسلام الذي قال عنه ابنُ عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كتابٌ جليلُ القَدْرِ معدومُ النَّظير، كَشَفَ فيه الشَّيخ أسرار الجهميَّة، وهَتَكَ أستارَهم، ولو رَحَلَ طالبُ العِلم لأجل تحصيله إلى الصِّين ما ضاعت رحلتُه»[١].

وهو قطعة مخطوطة حَقَّقَها، وأكمل ما نقص منها من كُتُب شيخ الإسلام المخطوطة والمطبوعة.

٥ - تَبَحُّره في كُتُب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، وقدرته على اختيار العِلم الدَّقيق منها، ويظهر ذلك في الآتي:

أ - كتابه: «آل رسول اللَّه ﷺ وأولياؤه»، وقد انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»، ومَنْ طَالَعه رأى فيه العجب.

ب - كتابه: «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»، والذي انتقاه أيضاً من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»،

(١) العقود الدُّرِّيَّة (ص٤٤).

قال في مُقَدِّمتِه[١]: «مُفَرَّقٌ في ثنايا (المِنْهَاجِ)، لا يُحْصَلُ عليه كاملاً إلَّا بمُطالعةِ الكتاب كلِّه، وفي ذلك مَشَقَّةٌ، ويحتاج إلى وقتٍ».

٦ - إلمامه بمؤلَّفات ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد استخرج مِنْ كتبه كتابَ خُطَبٍ سمَّاه: «موضوعات صالحة للخُطَب والوعظ».

٧ - مِنْ حُسْنِ سَبْكِه، وعجيب تصنيفه للكُتُب الثَّلاثة «آل رسول اللَّه ﷺ، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وموضوعات صالحة للخُطَب والوعظ»: أنَّ كلَّ جملة فيها انتقاها من موضع، حتى إنَّ القارئ يَظُنُّ أنَّ شيخ الإسلام وابنَ القيِّم رَحِمَهُمَا اللَّهُ صَنَّفا هذه الكتب مُفْرَدَة في هذا الموضوع؛ ولا أظنُّ أنَّ أحداً في هذا العصر يصنع مثل ذلك.

٨ - جَمْعُه لـ«فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ» في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً من تسع جهات مُتَفَرِّقة[٢]، وقد مَكَثَ في جمعها ثلاثة عشر (١٣) عاماً.

٩ - فهرسته لـ«فتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم» فهرسة تفصيليَّة بديعة.

---

(١) (ص٩٨).

(٢) وهي: الشُّروح التي كان يُدَوِّنها من دروس سماحة الشَّيخ من عام (١٣٥٧هـ) إلى عام (١٣٨١هـ)، ودار الإفتاء، ورئاسة القضاة سابقاً (وزارة العدل حاليّاً)، والمكتب الخاص لسماحة المفتي، والدِّيوان الملكي، وديوان رئاسة مجلس الوزراء، ومكتبة سماحته، ومن الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة، وممَّا جمعه من أيدي بعض طلَّاب العِلم. فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٥).

شهادة الألبانيِّ للوالد رحمهما الله

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله، وصلاة وسلاماً على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد، فبياناً لما رأيت بنفسي أشهد بما يأتي:

لقد رأيت الشيخ الفاضل محمد بن عبد الرحمن بن قاسم في المكتبة الظاهرية بدمشق سنة (١٣٧٢) وهو مهتم اهتماماً بالغاً بدراسة مئات المخطوطات من رسائل ومجلدات المحفوظة في المكتبة، لاستخراج ما قد يكون فيها من فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ولقد وفق في ذلك توفيقاً بالغاً الغاية في الجمع، وقرب به ما كان بعيداً عن أيدي العلماء والطلاب من فتاوى الشيخ رحمه الله وعلمه، فجزاه الله خيراً.

ولقد كان من ثمرة طبع تلك الفتاوى تحت عنوان «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» في خمس وثلاثين مجلداً، وفي آخرها مجلدان فيهما يسر الله على المراجع استخراج ما يصبو إليه من الأحاديث والعقائد والأحكام والأخلاق وغيرها من أبواب الشريعة، وذلك من أقرب طريق. أقول: ولقد كان من ثمرة طبعها توثيق كثير من الكتب والرسائل التي كانت مطبوعة من قبل مثل كتاب: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» وغيرها مما هو مذكور في مقدمة الشيخ لـ«المجموع» (ص م و ن)، أثابه الله، وزاده توفيقاً في خدمة العلم.

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني

عمان - الأردن، ٢ ذي القعدة سنة ١٤١٠هـ

تَلامِيذُه

سَخَّر الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ حياته في طلب العِلم والتَّدريس والجمع والتَّأليف، وقد كانت مسيرته في ذلك ما يأتي:

١ - كان يُدَرِّس في معهد إمام الدَّعوة العِلمي بالرِّياض، فدَرَس عليه كبار طلَّاب العِلم، ومِنْ أبرز طلَّابه فيه: سماحة مفتي عام المملكة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه آل الشَّيخ حفظه اللَّه.

٢ - دَرَس عليه كثيرٌ من طلبة العِلم في كُلِّيَّة أصول الدِّين في جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض.

٣ - كان له طلَّاب في درسه في جامع أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمَلَز بالرِّياض، وكنتُ مِنْ ضِمْنِهم، وقد دَرَسْنا عليه كتاب التَّوحيد والواسطيَّة وغيرهما.

مَكانَتُه العِلميَّة

لِمَا امتاز به الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ عِلمٍ رَاسخٍ، ومُصَنَّفات فريدة، وأَعمالٍ جليلةٍ نَفَعَت المسلمين، تبوَّأ مكانةً عِلميَّة؛ ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - كان سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يُكَلِّفه بالإفتاء في دار الإفتاء بالرِّياض، إضافة إلى ما كَلَّفَه به الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ من جمع «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ».

٢ - كان سماحة الشَّيخ ابن باز يسأله عن كلامٍ لشيخ الإسلام في الفتاوى.

٣ - طَلَبَ منه الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ صورةً من مخطوط كتاب «الضُّعفاء» للذَّهبيِّ.

٤ - كان العلماء يراسلونه عمَّا يُشكِل عليهم من مسائل عِلميَّة، فوجدتُ رسائل من مشايخ بخَطِّهم؛ أمثال الشَّيخ بكر أبو زيد، والشَّيخ حَمَّاد الأنصاريِّ، والشَّيخ إسماعيل الأنصاريِّ - الباحث في دار الإفتاء - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٥ - قال الشَّيخ ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُحمَّد ابن قاسم خَيرٌ مِنِّي وأَعلمُ».

٦ - كانت عِلميَّته تفوق الشَّهادات العالميَّة العَالِيَة، فكان يُكَلَّف بمناقشة الرَّسائل العِلميَّة العَالِيَة في الجامعات.

٧ - كان المشايخ يُجِلُّونه ويُوَقِّرونه، فكان سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم يزوره في بيته، وكذا بقيَّة المشايخ؛ أمثال الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رحمهم الله.

علاقتي بالوالد رَحِمَهُ اللَّهُ

كنتُ مِنْ أقرب النَّاس للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، وأحبِّهم إليه، وكان يأنسُ بي كثيراً، ويثق بي؛ ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

١ - كان يُوكِل إليَّ تدبير أمور البيت الماليَّة وأنا في سنِّ العاشرة.

٢ - كان يُكَلِّفني بالذَّهاب إلى المشايخ وغيرهم في كثيرٍ من شؤونه.

٣ - كنتُ الوحيد من أقاربه الذي تتلمذ عليه في المسجد.

٤ - كان فرحاً بالتحاقي بدروس المشايخ، وكان إذا خرج من المسجد بعد شروق الشَّمس لا يصعد إلى مكتبته حتَّى أعود من درس الشَّيخ عبد العزيز ابن باز ويسألني: «ماذا قال الشَّيخ من فوائد؟» وأُخبِرُه بها.

٥ - كان يأنسُ بي كثيراً، وعندما صَدَرَ قرار تعييني قاضياً في «البَدْع» - محافظة في منطقة تبوك - وسافرتُ إليها؛ بَكَى بكاءً شديداً.

٦ - كان ناصحاً مُرشِداً لي، ومِنْ نصائحه لي:

أ - كان يأمرني بقيام اللَّيل وعُمُري اثنا عشر (١٢) عاماً، وكان يَقولُ لي: «بعض أهل العِلم يرى وجوب قيام اللَّيل لحافظ القرآن».

ب - لَمَّا عُيِّنت إماماً وخطيباً للمسجد النَّبويِّ، وعند وداعي له للذَّهاب إلى «المدينة المنوَّرة» قال لي: «إذا صَلَّيتَ بالنَّاس راقب مَنْ هو فوقك - يعني: الرَّبَّ ﷻ -، واتَّبع الذي على يسارك - يعني: النَّبيَّ ﷺ؛ لأنَّ قَبرَه يسار محراب المسجد النَّبويِّ -»؛ ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ: حَثُّه لي على الإخلاص للَّه، واتِّباع النَّبيِّ ﷺ.

٧ - كنتُ إذا وَدَّعتُه وهو في البيت كي أسافر إلى «البَدْع» أو «المدينة المنوَّرة» يُشَيِّعني إلى باب البيت، وإذا غِبْتُ عنه مُدَّةً يفاجئني بقدومه إليَّ، ويقول: «أنا أحسب لك إذا غِبْتَ عنِّي ثلاثة أشهر أزورك».

٨ - أقامني ناظراً ووصيّاً على جميع ما يَخُصُّه منذ أن كان عمري ثمانية عشر (١٨) عاماً، وقد أكَّد ذلك ووَثَّقَه تحريريّاً تسعَ مرَّات، وبيان ذلك:

أ - أقامني ناظراً على جميع أوقافه، ووَثَّق ذلك في صَكٍّ من المحكمة، ونصُّه: «والنَّاظر على هذا الوقف بعد الوصي: ابنه عبد المُحسِن، ثمَّ الصَّالح من الذُّرِّيَّة الذي يُعَيِّنه هو».

وفي صَكٍّ آخرَ نصُّه: «وجَعَل النّظارة على هذا الوقف بعده لابنه عبد المُحسِن».

وكَتَبَ بخَطِّه: «والنَّاظر على هذا الوقف وذاك: ابني الشَّيخ عبد المُحسِن».

ب - أقامني وصيّاً على جميع وصاياه، ووَثَّق ذلك في صَكٍّ من المحكمة، ونصُّه: «والنَّاظر على تنفيذ هذه الوصيَّة: ابني عبد المُحسِن».

وكَتَبَ بخَطِّه آمراً بذلك: «والوكيلُ على الوصايا: ابني عبد المُحسِن؛ مقرّاً به آمراً».

وكَتَبَ بخَطِّه أيضاً: «والوكيل على تنفيذ هذه الوصيَّة ابني عبد المُحسِن».

٩ - آخر حَجَّة حَجَّها طَلَبَ منِّي أن أحجَّ معه، ولمَّا كنَّا في الطَّريق قال: «أريدك أن تَحُجَّ معي كلَّ سنة».

١٠ - قبل موته بعشرة أيام قال لي: «منذ أن مات والدي وأنا أعتمرُ عنه كلَّ عام في رمضان»؛ إشارةً منه لي أن أفعل له مثل ذلك بعد موته؛ فأصبحت أعتمر عنه كلَّ شهر.

١١ - قبل وفاته بثلاثة أيَّام قال: «عبد المُحسِن سواد عيوني، وما ضَيَّقَ صدري في شيء من يوم طَلَعَ على الدُّنيا».

١٢ - قبل وفاته بيومين قال لي: «إذا متُّ فزُرْنِي».

١٣ - آخر صلاةٍ صَلَّاها صلاة الفجر، وكنتُ إماماً له؛ فقد كنتُ بجانبه قبل الإقامة، ثمَّ قَدَّمني للصَّلاة نيابةً عنه، فقرأتُ فيها سورة الواقعة، ثمَّ توفِّي بعدها بساعات.

وَصيَّة الوالد لي بإخراج كُتُبِه

كما أوصاني الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بجميع ما يَخُصُّه بعد وفاته مشافهة وكتابة، أوصاني أيضاً بإخراج كُتُبِه، وبيان ذلك ما يأتي:

١ - كان يُخبِرني بتفصيل ما يعمله من كُتُبِه، ومراحل عمله فيها.

٢ - أوصاني شفويّاً وتحريريّاً مراراً بتحقيق كُتُبِه وطبعها، وبيان ذلك:

أ - بَيَّنَ في وصيَّتِه لي بخَطِّه مواضعَ كُتُبِه التي شَرَعَ فيها فقال: «شرح التَّوحيد والواسطيَّة في شَنْطة في الدُّكَّان - مستودع كُتُبِه -، وشرح الرَّوض بقيَّته في الصُّندوق الأخضر».

ب - حين زيارتي له في الرِّياض، وبعد خروجي من المسجد بعد صلاة العشاء قال لي: «سأقول لك كلاماً ضَعْهُ في سِرِّك، أخشى أنِّي أموت قريباً، وقد وضعتُ لك مُسَوَّدة كتاب (المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيميَّة)، وهو في خمسة مجلَّدات، في الشَّنْطة، في الدَّالوب الثَّاني على اليسار، لو متُّ اطبعه».

ج - أوصاني بإخراج كتابه «المستدرك على فتاوى ابن تيميَّة»، وكَتَبَ بخَطِّه: «الابنُ عبد المُحسِن حفظه الله:

(المستدرك على فتاوى ابن تيميَّة) في الشَّنْطة، في الدَّالوب الثَّاني على اليسار، إنْ قُدِّر عَلَيَّ بشيءٍ قبل تبييضه، بَيِّضْهُ واطبَعْهُ على حسابي، وحقوقه له - لعبد المُحسِن -، أثابك اللَّه».

د - أوصاني وأَمَرَنِي في الوصيَّة بتحقيق وطَبْع جميع كُتُبِه بعد وفاته، فكتب بخَطِّه: «إن أراد عبد المُحسِن يُحَقِّقها فبعد - أي: بعد وفاته -؛ مُقِرّاً به آمِراً».

٣ - قبل وفاته بخمسة أيَّام، وَضَعَ في يدي مُسَوَّدة «شرح الرَّوض المُرْبِع»، وفتَح على آخرِ صفحةٍ عَمِلَ عليها، وقال: «وصلتُ في العمل إلى هذه الصَّفحة».

٤ - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «دعوتُ اللَّه عند المُلْتَزَم أنْ يرزقني ولداً بارّاً بي ينفعني»؛ ولعلَّ اللَّهَ استجاب دعوته بما أوصاني به من تحقيقِ وطبع كُتُبِه، وبما جعلني ناظراً لأوقافه، ووصيّاً على وصاياه.

٥ - رأيتُ فيه رؤى كثيرة جدّاً، كلُّها تَدُلُّ على سروره بالعمل على تحقيق كُتُبِه وإخراجها.

وَصايَاه لي، وإقامتي ناظراً على أوقافه

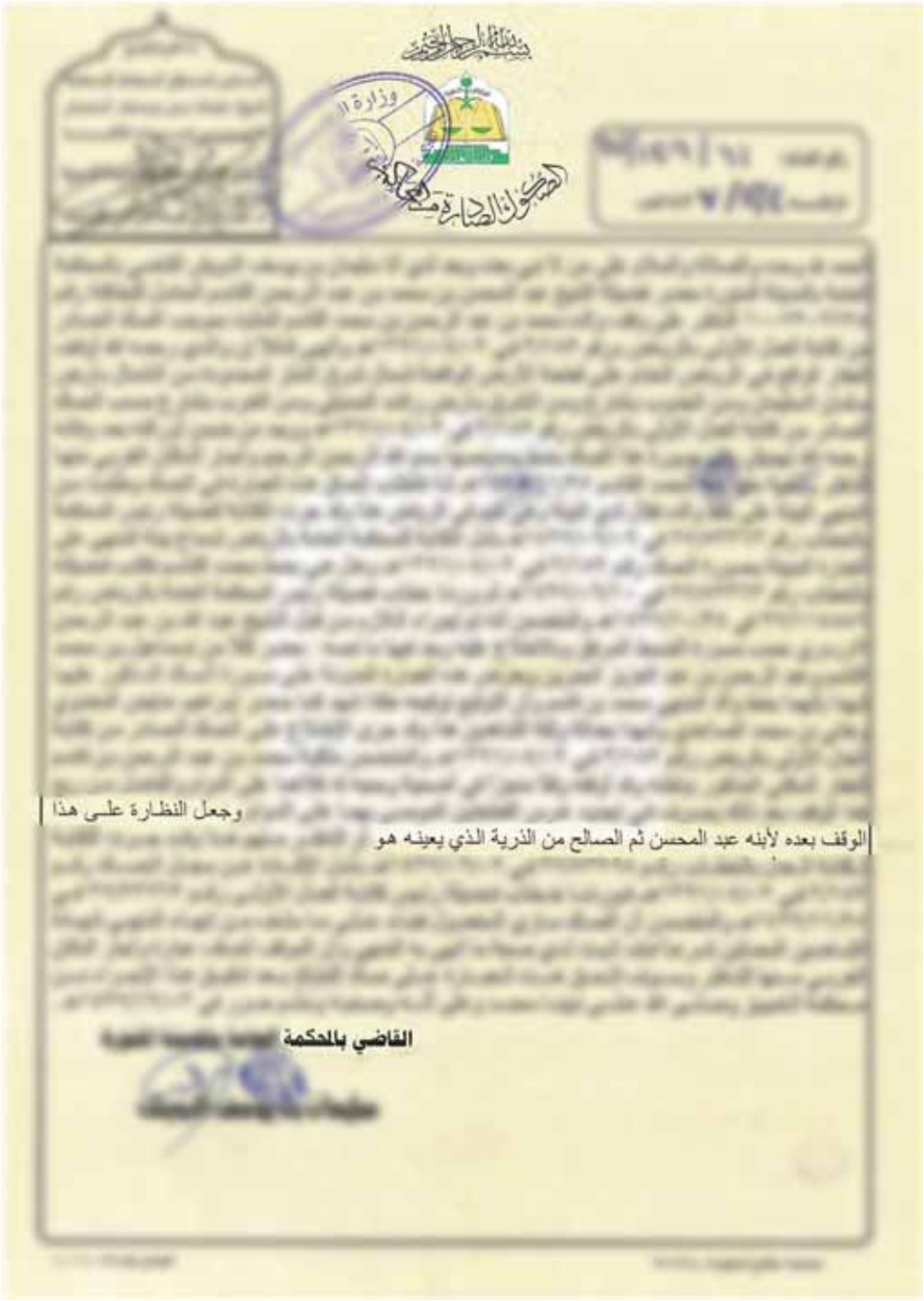
وجعل النظارة على هذا
الوقف بعده لأبنه عبد المحسن ثم الصالح من الذرية الذي يعينه هو
القاضي بالمحكمة

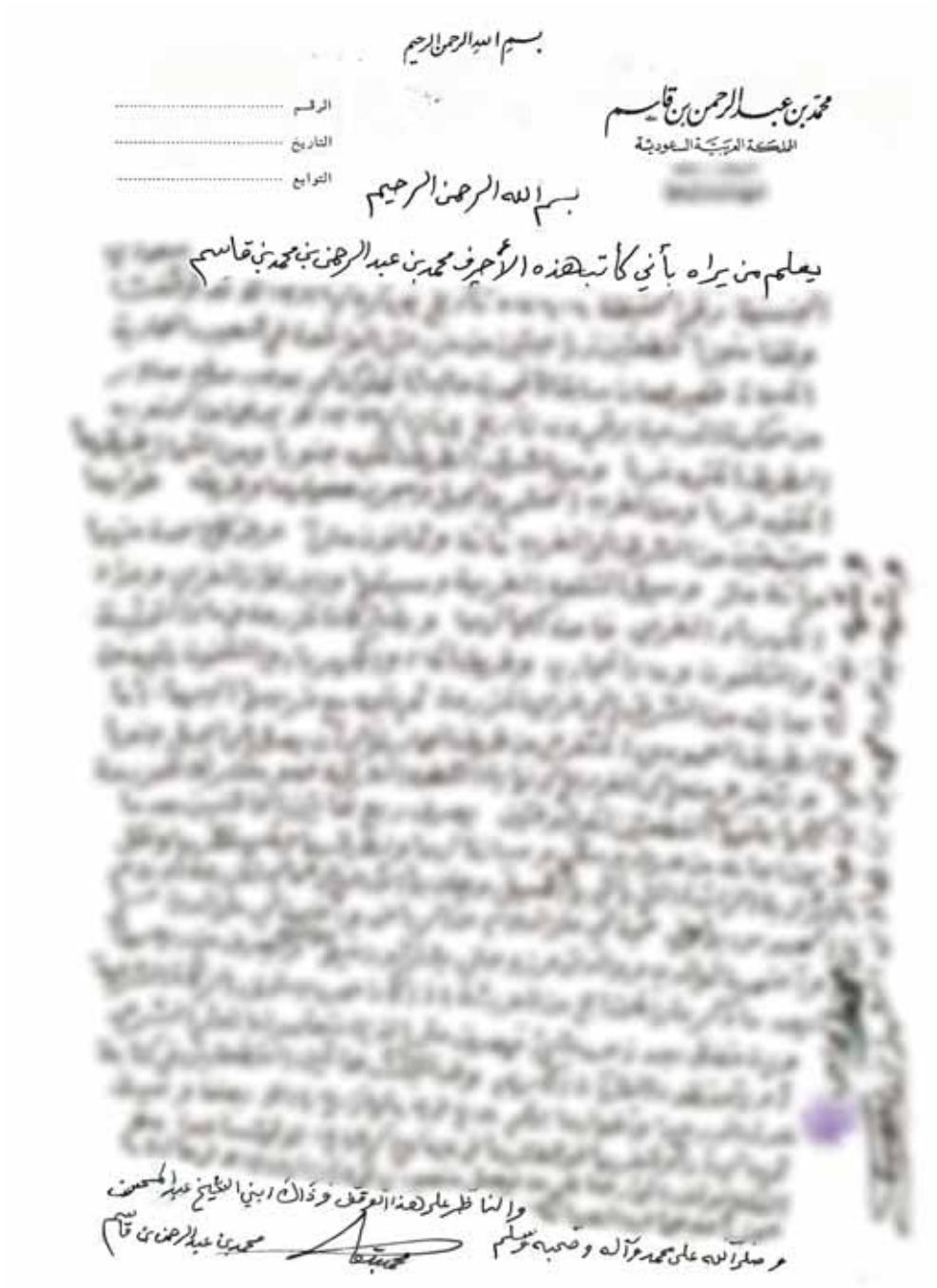

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

الرقم .....
التاريخ .....
التوابع .....

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بأني كاتب هذه الأحرف محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

وإنا نظر على هذا الوقف وذلك ابني الشيخ عبد المحسن

صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

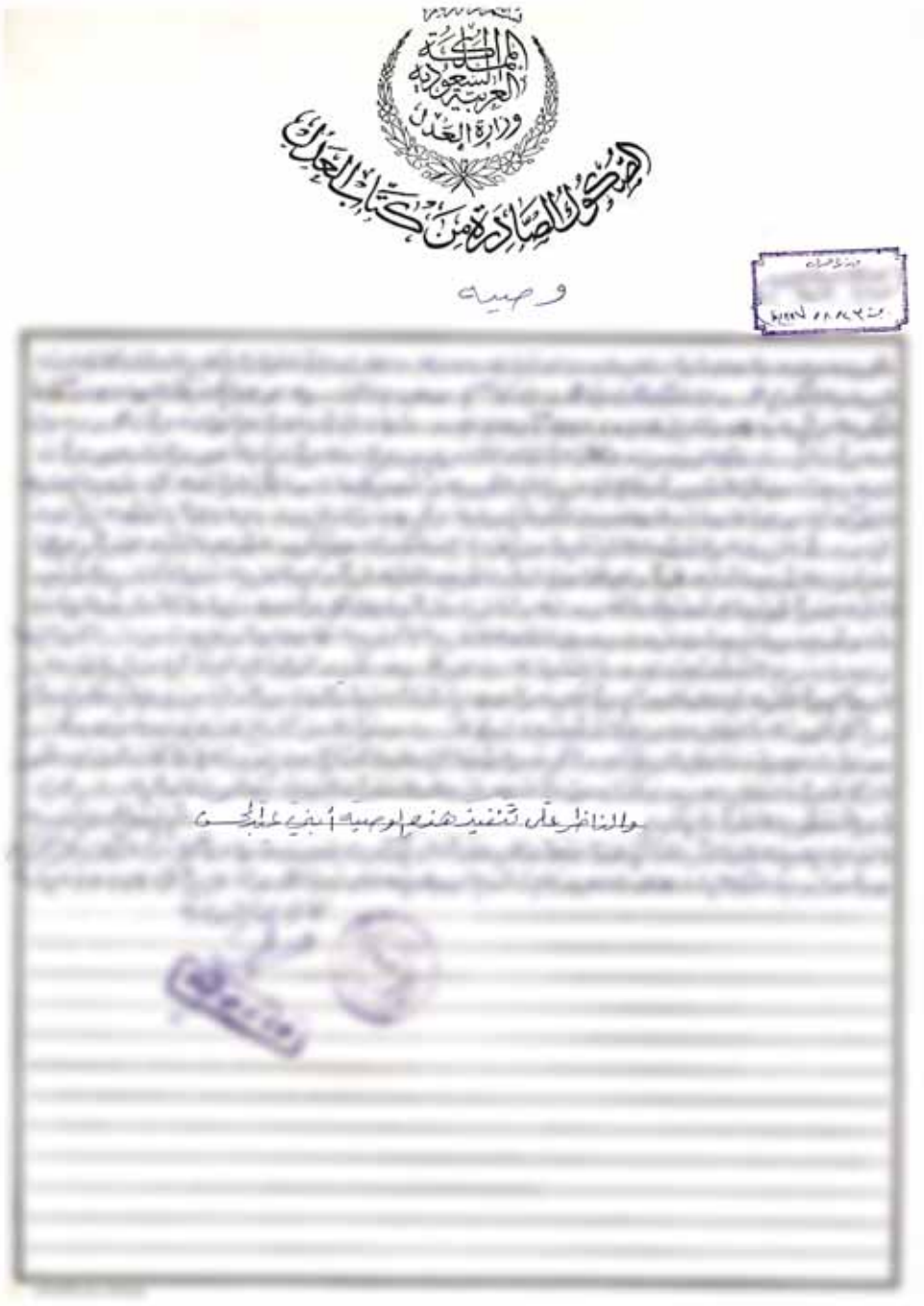
المملكة العربية السعودية
وزارة العدل
الصكوك الصادرة من كتاب العدل
وصية

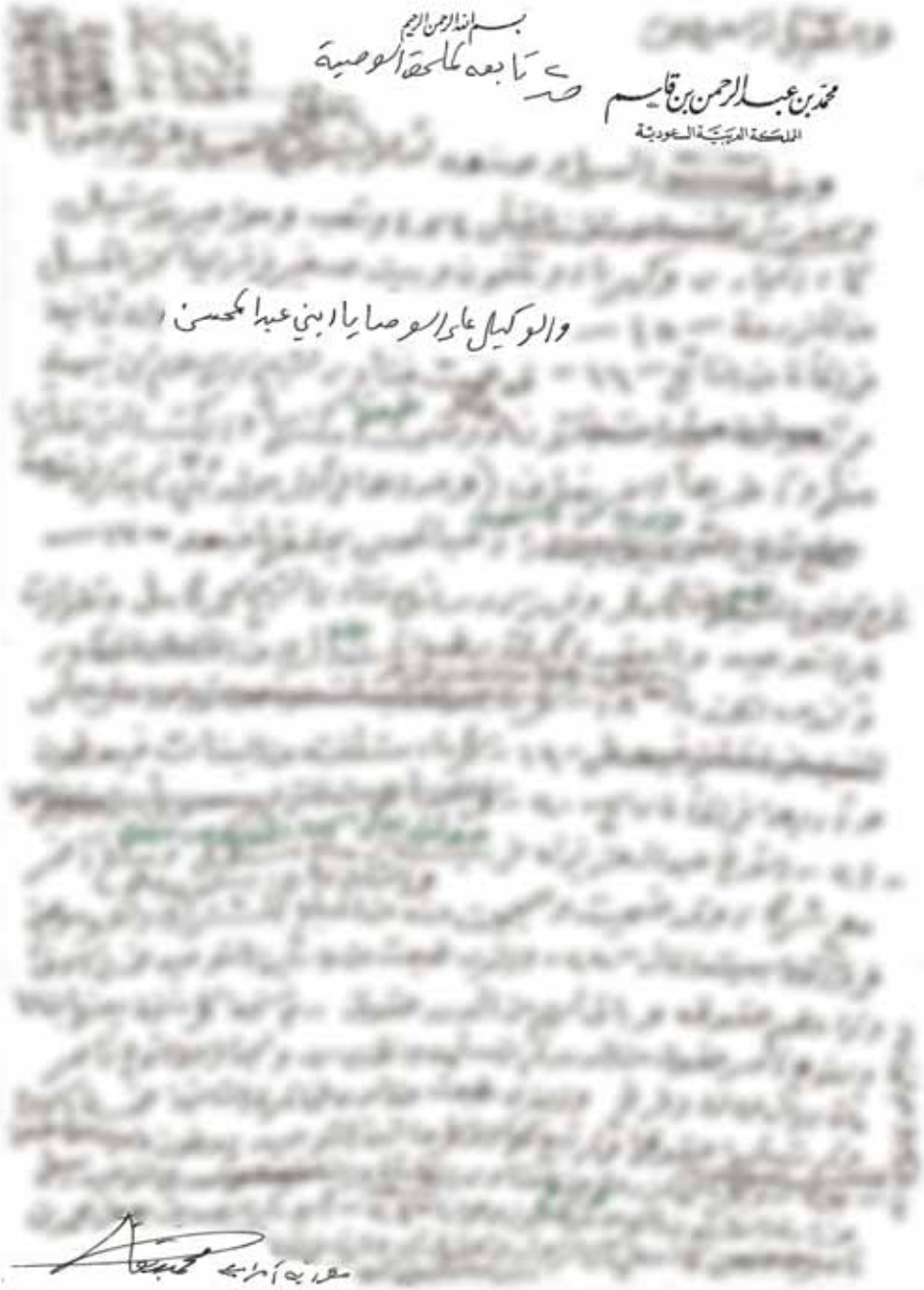
بسم الله الرحمن الرحيم
تابعه لملحق الوصية
محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية
والوكيل على الوصايا ابني عبد المحسن

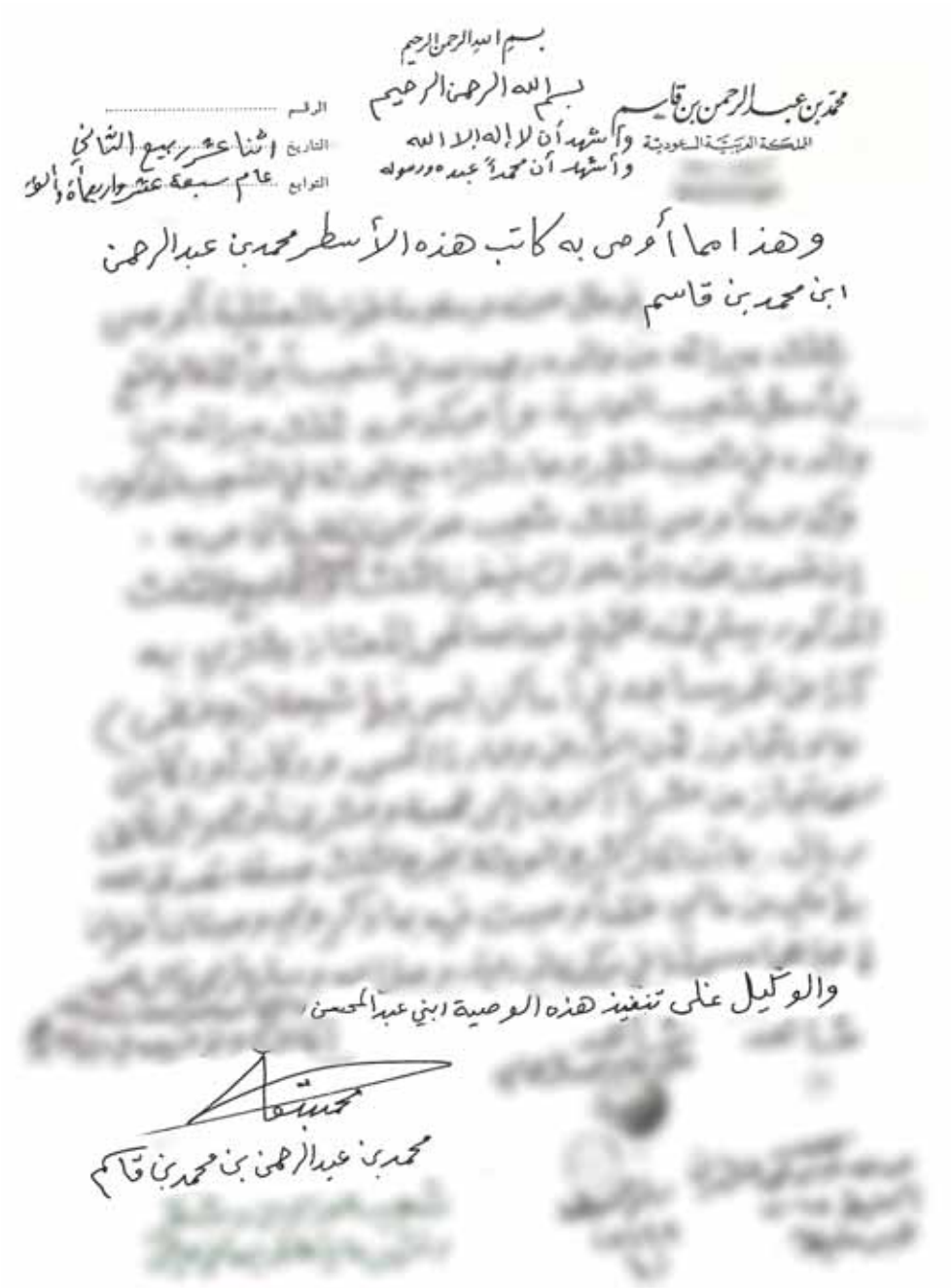

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

المملكة العربية السعودية

الرقم .....

التاريخ اثنا عشر ربيع الثاني

التوابع عام سبعة عشر واربعماة والالف

بسم الله الرحمن الرحيم

وأشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

وهذا مما أوصى به كاتب هذه الأسطر محمد بن عبد الرحمن

ابن محمد بن قاسم

والوكيل على تنفيذ هذه الوصية ابني عبد المحسن

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

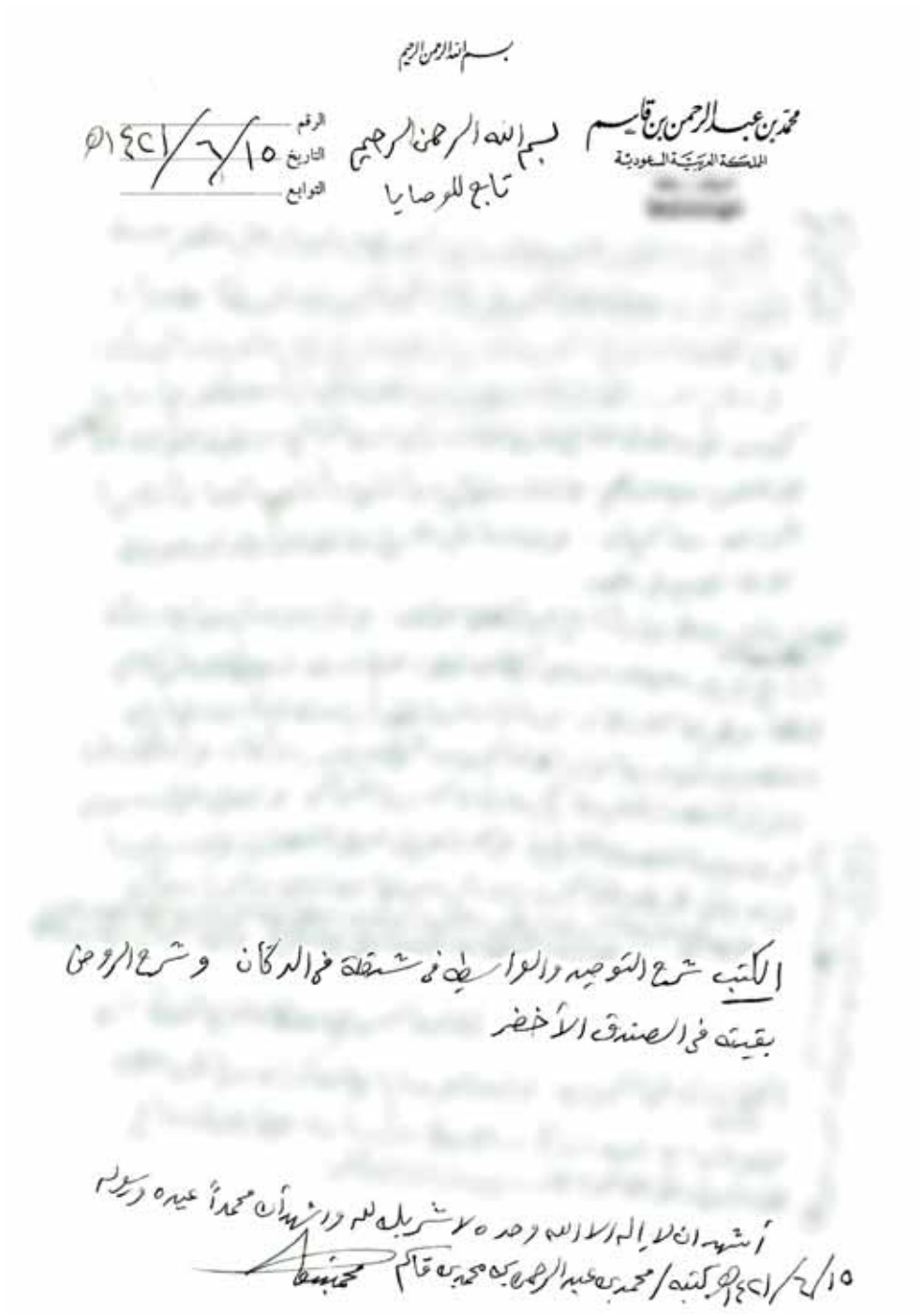

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم
تابع للوصايا

الرقم
التاريخ ١٥/٦/١٤٢١هـ
التوابع

الكتب شرح التوحيد والواسطية في شنطة في الدكان وشرح الروض
بقيته في الصندوق الأخضر

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

١٥/٦/١٤٢١هـ كتبه / محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

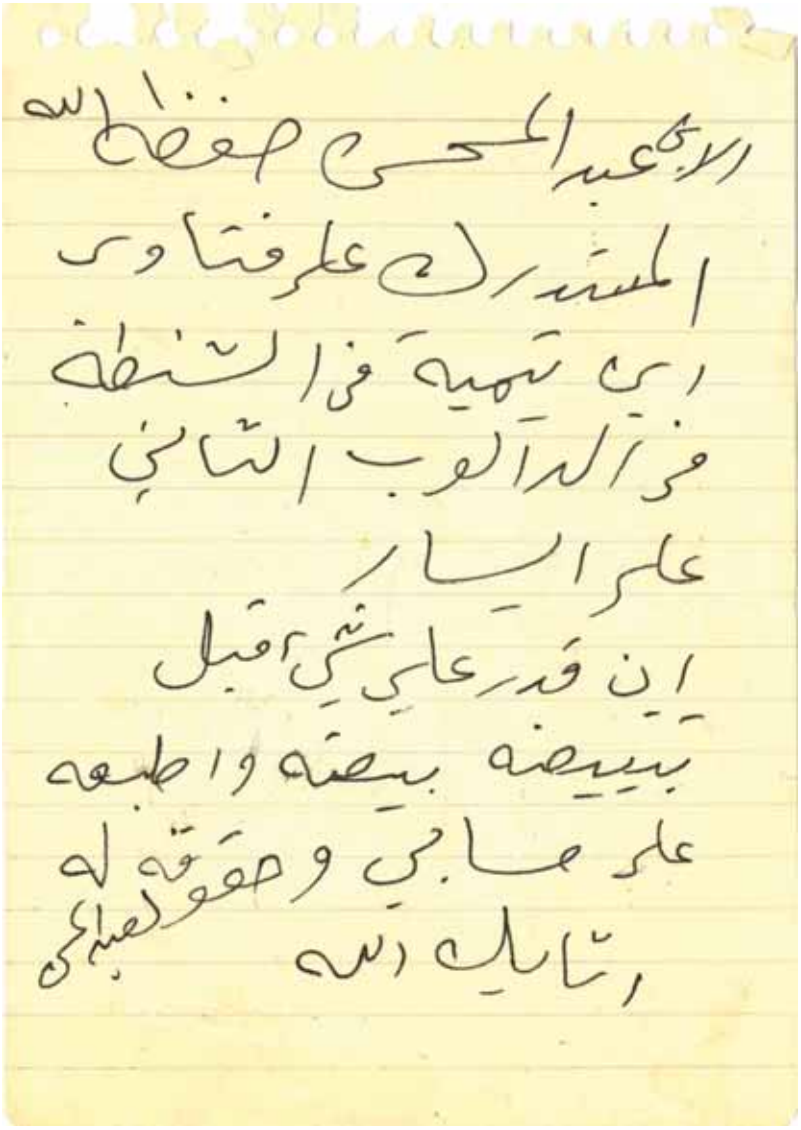

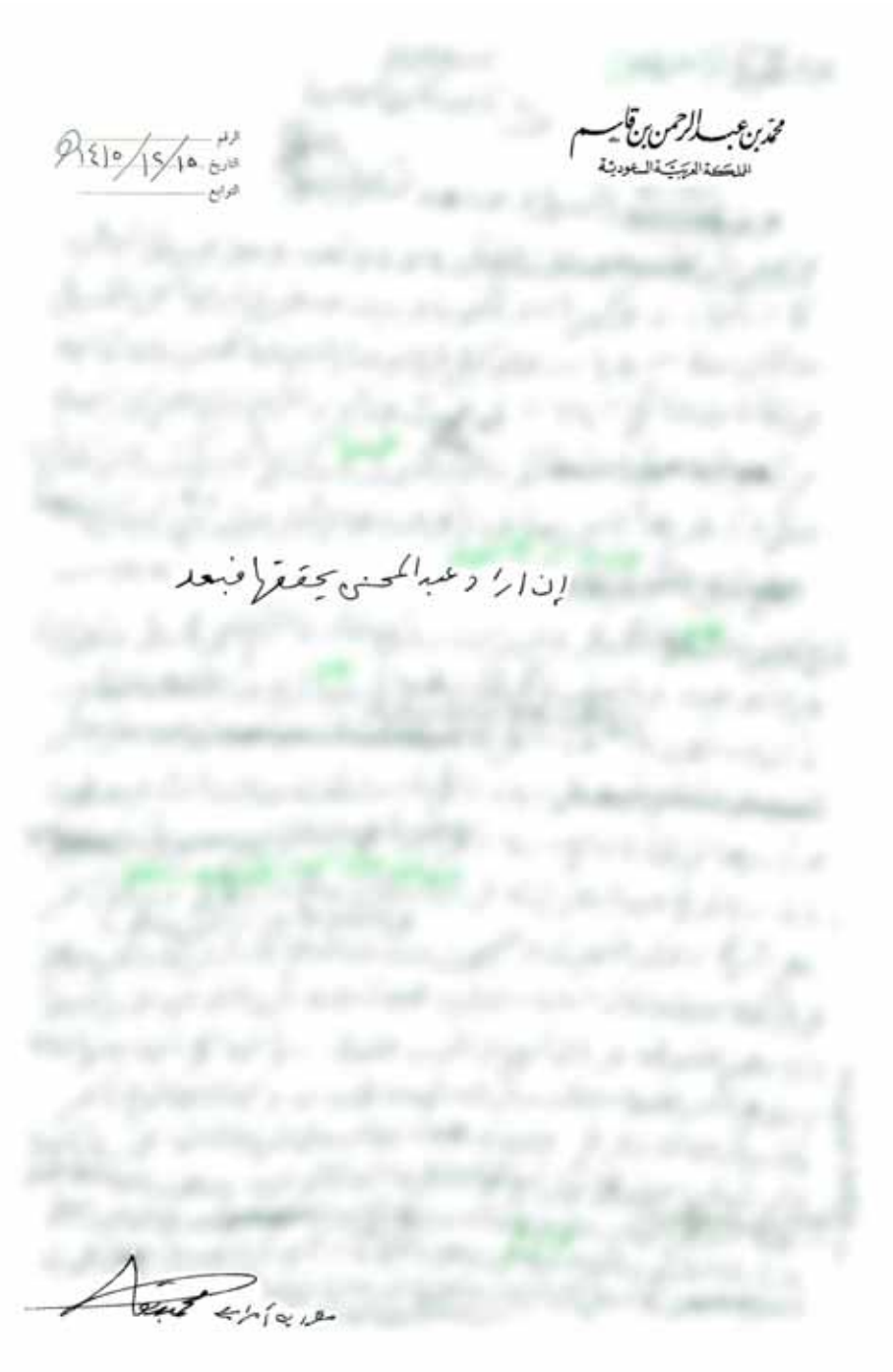
محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية
الرقم
التاريخ ١٤١٥/١٢/١٥
المرفق
إن أراد عبد المحسن يحققها فبعد

الأعمال الَّتي قام بها

لِمَا امتاز به الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من العِلم والنُّبوغ؛ قام بعدَّة أعمال، منها:

١ - في عام (١٣٧٤هـ) عُيِّن مُعلِّماً في معهد إمام الدَّعوة العِلميِّ بالرِّياض، وهو طالب في كُلِّيَّة الشَّريعَة.

٢ - في عام (١٣٨٦هـ) كُلِّف بالعمل في مكَّة المكرَّمة لطبع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة» في مطابع الحكومة بمكَّة، بالإضافة إلى التَّدريس في معهد مكَّة العِلميِّ.

٣ - في عام (١٣٩٠هـ) صَدَر أمر الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ بأَنْ يُفرَّغ الوالد لجمع «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ».

٤ - في عام (١٤٠٣هـ)، درَّس في كُلِّيَّة أصول الدِّين بجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض.

٥ - في عام (١٤٠٥هـ) اعتذر عن التَّدريس في الجامعة؛ ليتفرَّغ لإخراج شروحات سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ - في عام (١٤٠٥هـ) أقام دروساً في العقيدة والفقه وغيرهما، في المسجد المُجاوِر لمنزله بالمَلَز بالرِّياض - جامع أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

٧ - كان خطيباً للجمعة تسعة وعشرين (٢٩) عاماً، خَلَفاً لوالده من عام (١٣٩٢هـ) إلى وفاته عام (١٤٢١هـ)، في جامع أبي الكِباش في طريق العمارية شمال الرِّياض.

٨ - لحِرْصِه على التَّفرُّغ للعِلم، وزهده في المناصب اعتذر عن أعمالٍ كثيرةٍ؛ منها:

أ - عضويَّة هيئة كبار العلماء.

ب - القَضَاء.

ج - إدارة الدَّعوة في الخارج التَّابعة لدار الإفتاء سابقاً.

آثَارُه ومُصنَّفاتُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ مُحِبّاً للعلماء، شديد الحُبِّ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه ابن القيِّم، وسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُمُ اللَّهُ، بارّاً بهم، وَفِيّاً لهم، فقَضَى عُمُره في إخراج عِلْمِهم للمسلمين، ويظهر ذلك فيما يأتي:

١ - «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، جَمَعَها مع والده في خمسة وثلاثين (٣٥) مجلَّداً.

٢ - فهرس «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في مجلَّدين.

٣ - «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة (٥) مجلَّدات.

٤ - «بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بِدَعِهم الكلاميَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ تصحيح وتكميل وتعليق في مجلَّدين.

٥ - «آل رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأولياؤه»، انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٦ - «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»، انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٧ - «موضوعات صالحة للخُطَب والوعظ»، منتقاة من كتب ابن القيِّم.

٨ - «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ»؛ في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً.

٩ - فهرس تفصيلي لـ«فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ».

١٠ - «شرح العقيدة الواسطيَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١١ - «شرح كشف الشُّبهات» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٢ - «شرح ثلاثة الأصول» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٣ - «شرح كتاب التَّوحيد» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ في ثلاثة (٣) مجلَّدات.

١٤ - «شرح الحمويَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ في مجلَّدين.

١٥ - «شرح الأربعين النَّوويَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٦ - «شرح شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٧ - «شرح آداب المشي إلى الصَّلاة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٨ - «شرح الرَّوض المُرْبِع» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ يزيد على عشرين (٢٠) مجلَّداً.

وغيرها من شروح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَفاتُه

بعد عُمُرٍ زاخرٍ بالعِلم وخدمة الدِّين، رأى الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاث رؤى تُشير بقُرْبِ أَجَلِه، وفي السَّاعة الثَّامنة صباحاً من يوم الاثنين في السَّابع والعشرين من شهر جُمَادى الآخرة لعام ألف وأربع مئة وواحد وعشرين (٢٧/٦/١٤٢١هـ) كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يَسِيرُ على قدميه في مدينة الرِّياض، فصدمته سيَّارةٌ مُسْرِعة، وأُصيبَ بإصاباتٍ بَالغةٍ في رأسه وجسده، ثمَّ نُقِل إلى مدينة الملك سعود الطِّبِّيَّة بالرِّياض - المعروفة قديماً بـ«مستشفى الشميسي» - وتوفِّي فيها؛ وهو المستشفى نفسه الذي توفِّي فيه والده رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

ومنذ وقوع الحادث إلى أنْ فارق الحياة وهو يتلفَّظ بالشَّهادة، مع أنَّه فاقدٌ وَعْيَه، وقد فارق الحياة عن ستَّةٍ وسبعين (٧٦) عاماً.

وصُلِّي عليه عصر الثُّلاثاء في الجامع الكبير بالرِّياض، في الثَّامن والعشرين من شهر جُمَادى الآخرة، عام ألف وأربع مئة وواحد وعشرين (٢٨/٦/١٤٢١هـ)، وقد أَمَّ المصلِّين سماحة مفتي المملكة العربيَّة السُّعوديَّة الشَّيخ عبد العزيز آل الشَّيخ، وحَضَرَ الصَّلاة عليه الأمير سلطان بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلِيُّ العهد -، وسماحة الشَّيخ صالح بن مُحمَّد اللُّحيدان رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس مجلس القضاء الأعلى -، وجَمْع من العلماء والأعيان، وعامَّة النَّاس، وقد حزن الجميع لوفاته؛ لِمَا قَدَّم من خِدمة عظيمة للدِّين.

وقد قال لي الشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّه شَهيدٌ بإذن اللَّه؛ لأنَّ الصَّدْمَ بالسَّيَّارة كالهَدْمِ، والنَّبيُّ ﷺ قال: (وَصَاحِبُ الهَدَمِ شَهِيدٌ)[1]».

أسأل اللَّه أنْ يغفر له، وأنْ يجزيَه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأنْ يُسكِنَه الفردوس الأعلى بغير حساب.

(١) رواه النَّسائي، كتاب الجنائز، النَّهي عن البكاء على الميت، رقم (١٨٤٦)، من حديث جابر بن عَتِيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَهَمِّيَّةُ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

من الكتب المُهمَّة المُؤَلَّفة في العقيدة: «**كَشْف الشُّبُهات**»، وتَظهَر أهمِّيَّتُه في الآتي:

١ - إمامة مُصَنِّفه؛ فهو مُجَدِّدُ القرنِ الثَّاني عشر، جَمَع اللَّه له بين خَلَّتين يَندُر اجتماعهما في عبدٍ؛ وهما: العِلْم والدَّعوة.

٢ - أنَّه ألَّفه عن خِبرة ومشاهدة للواقع.

٣ - عظيم موضوعه؛ فهو مجرَّدٌ في التَّقرير الكلِّيِّ لتوحيد الأُلوهيَّة، والدَّفع الإجماليِّ والتَّفصيليِّ لشُبُهات المناوئين والمبطِلين فيه.

٤ - أنَّه مِن أحسن وأعظم وأنفع الكتب المفيدة في العقيدة، ومِن أجلِّ ما ينبغي لطالب العلم الظَّفر والعناية به[١].

٥ - أوَّل مؤلَّفٍ أُفرِد في موضوعه، ولا يُعرَف له مثيل في بابه ولا سابق، فقد كشف وأظهر فيه بطلان كلِّ ما يتشبَّثُ به أهلُ الزَّيْغ والخِذلان؛ ممَّنْ حاد عن طريق المرسَلين، وقَطَع دابر شُبهاتهم، وانتصر بالحجج الظَّاهرة لأهل الحَقِّ وتوحيد ربِّ العالمين.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٥/ ٦٩)، (٨/ ٢٣٣)، فتاوى نور على الدَّرب لابن باز (١/ ٢٨، ٣١، ٣٢)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٦/ ٣٤١)، فتاوى اللَّجنة الدَّائمة - المجموعة الأولى - (٢/ ٢٥٧، ٣٦٠)، (٦/ ٢٢٤)، (١٢/ ١٢٢).

٦ - أنَّه كتاب قائم على الكتاب والسُّنَّة، ولم يذكر فيه المؤلِّف شيئاً من عند نفسه، قال الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «وذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في (كتاب التَّوحيد) - على اختصاره - كثيراً من الأدلَّة المُعَرِّفة بأصل الدِّين، كذلك كتاب (كَشْف الشُّبُهات)، و(أربع القواعد)، و(معنى شهادة: أن لا إله إلَّا اللَّه)، فأوصيك بالاشتغال والمطالعة في كتبه، وتأمُّل ما فيها من الأدلَّة»[٢].

٧ - سلك فيه أسلوباً بديعاً يأخذ بيد قارئه إلى الحَقِّ دون خصام، فهو قائم على الحوار العلميِّ والجدالِ بالتي هي أحسن، كما أنَّه دَرْسٌ عمليٌّ في كيفيَّة مناظرة أهل الباطل.

٨ - ثناء أهل العلم عليه وتلقِّيهم له بالقَبول؛ قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «وقد تكلَّم شيخنا في كتابه (كَشْف الشُّبُهات) على أكثرها، فراجِعْه إن شئتَ؛ فإنَّه مفيد مع اختصاره ولطافة حجمه»[٤].

---

(١) هو: عبد الرَّحمن بن حسن بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب التَّميميُّ، النَّجديُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (١١٩٣هـ)، كان عالماً فقيهاً، له مؤلَّفات مفيدة نافعة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٢٨٥هـ). الأعلام للزِّركلي (٣/ ٣٠٤)، تسهيل السَّابلة (٣/ ١٧٠٤).

(٢) المطلب الحميد في بيان مقاصد التَّوحيد (ص٢٩٠).

(٣) هو: عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب التَّميميُّ، النَّجديُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (١٢٢٥هـ)، له جهود كبيرة في الدَّعوة إلى التَّوحيد، من مؤلَّفاته: «منهاج التَّأسيس والتقديس، في كشف شبهات داود بن جرجيس»، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٢٩٣هـ). معجم المؤلِّفين (٦/ ١٠)، تسهيل السَّابلة (٣/ ١٧١٣).

(٤) منهاج التَّأسيس والتَّقديس (ص٢٧).

وقال الآلوسيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «وهي على اختصارها نافعة جدّاً لطالب الحَقِّ»[٢].

وقال الشَّيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «صَنَّف الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى (كَشْف الشُّبُهات)، وذكر الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة على بطلان ما أورده أعداءُ اللَّه ورسولِه من الشُّبُهات، فأدحض حُجَجَهم، وبَيَّن تهافتَهم، وكان كتاباً عظيم النَّفْع على صِغَر حجمه، جليل القَدْر، انقمع به أعداءُ اللَّه، وانتفع به أولياءُ اللَّه، فصار عَلَماً يقتدي به المُوَحِّدون، وسلسبيلاً يَرِده المهتدون، ومن كوثره يشربون، وبه على أعداء اللَّه يَصولون، فللَّه ما أنفعه من كتاب، وما أوضح حُجَجَه من خطاب؛ لكن لِمَن كان ذا قلبٍ سليمٍ، وعقلٍ راجحٍ مستقيمٍ»[٤].

٩ - لا يزال أئمَّة أهل العلم يوصُون بحِفْظِه والاعتناء به؛ أمثال سماحة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[٥].

---

(١) هو: أبو المعالي محمود شكري بن عبد اللَّه بن محمود الآلوسيُّ الحسينيُّ، ولد سنة (١٢٧٢هـ)، كان عالماً مؤرِّخاً، من دعاة الإصلاح، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٢هـ). الأعلام للزِّركلي (٧/ ١٧٢)، مشاهير علماء نجد (٢٨٦).

(٢) غاية الأماني في الرَّدِّ على النَّبهاني (١/ ٣٧٩).

(٣) هو: سليمان بن سُحمان بن مصلح النَّجديُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (١٢٦٨هـ)، من علماء نجد، كان كاتباً فقيهاً، وله نظمٌ على اختيارات شيخ الإسلام ابن تيميَّة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٩هـ). الأعلام للزِّركلي (٣/ ١٢٦)، تسهيل السَّابلة (٣/ ١٧٨٨).

(٤) الضِّياء الشَّارق (ص٩٣).

(٥) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٥/ ٤٠٤)، فتاوى نور على الدَّرب لابن باز (١/ ١٠٣).
وابن باز هو: سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز، ولد سنة (١٣٣٠هـ)، مفتي عام المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ورئيس هيئة كبار العلماء فيها، له مؤلَّفات كثيرة نافعة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٤٢٠هـ).

١٠ - اعتناء أهل العلم به شرحاً ونظماً، وتعليقاً وتحقيقاً، وحِفْظاً ومدارسةً؛ ولأهمِّيَّته كان سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يُدَرِّسه صباح كلِّ يوم باستمرار[١].

١١ - يُعَدُّ هذا الكتاب خُلاصة وعُصارة دعوة الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي جَدَّد اللَّهُ به الدِّين، وقَمَع به باطلَ المشركين، وقد أُوذِي في سبيل ذلك كثيراً، وأَكْثَرَ أعداؤه من رميه بالباطل والتَّشغيب عليه، فكان في هذا الكتاب خلاصة الحَقِّ الذي يدعو إليه، وخلاصة باطلهم ونقضه وبيان عواره.

١٢ - ما امتاز به من جهة اللَّفظ والمعنى، فقد «أورد فيه المؤلِّف بضع عشرة شبهةً لأهل الشِّرك، وأجاب عنها بأحسن إجابة؛ مُدَعَّمةً بالدَّليل، مع سهولة المعنى، ووضوح العبارة»[٢].

١٣ - لعُمُوم نفعه وما امتاز به؛ حقَّقتُه، وجَعلتُه ضمن سلسلة «**متون طالب العلم**».

١٤ - لأهمِّيَّة هذا الكتاب يرويه العلماء بأسانيدهم إلى المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأنا أرويه وجميعَ كتب إمام الدَّعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ من طُرُق متعدِّدة، أعلاها: ما أخبرني به مُحمَّد بن عبد الرَّحمن آل الشَّيخ، عن حمد بن فارس ابن رميح، عن عبد الرَّحمن بن حسن آل الشَّيخ، عن الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(١) مقدِّمة فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ١٢).

(٢) شرح كَشْف الشُّبُهات لابن عثيمين (ص١١).

مَزَايَا ٱلشَّرْحِ

امتاز شرح سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعدَّة مزايا؛ منها:

١ - أنَّه شرحُ عالِمٍ راسخٍ، وإمامٍ من أئمَّة الدَّعوة، وهو شيخ كِبار مشايخ عصرنا؛ أمثال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ - أنَّه أوَّلُ شرحٍ وافٍ مُدَوَّنٍ لـ «كَشْف الشُّبُهات» منذ زمن المصنِّف الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فلا يُعرَف شرحٌ للكتاب قبلَه.

٣ - أنَّه النُّسخة الوحيدة لشرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ - أنَّه مجموع شرح سماحته لـ«كشف الشُّبهات» ستَّ مرَّات.

٥ - أنَّه مستمدٌّ من كتاب اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقوال سَلَف الأُمَّة رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٦ - عناية الشَّارح بتقرير العقيدة الصَّحيحة وترسيخها أصالةً؛ مع الحِرْصِ على الرَّدِّ على المخالِفين.

٧- أنَّه يشرح كلَّ جملةٍ من جمل المتن شرحاً وافياً، يقف على كلِّ لفظٍ فيه.

٨ - عناية الشَّارح رَحِمَهُ اللَّهُ بألفاظ المتن ومقاصده، وعدم الاستطراد فيما لم يذكره المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩ - جزالة ألفاظه ودقَّة عباراته، مع أنَّه تقرير لا تحرير، وفي دروسٍ لصغار السِّنِّ من طلبة العلم.

١٠ - وضوح العبارة وسهولة فهمها، قال عنه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «شرحٌ وافٍ بالمقصود، موجَزٌ، سهلُ العبارة»[١].

١١ - تأكيد المسائل بأساليب مختلفة؛ لترسخ في ذهن وقلب المُتَلَقِّي.

١٢ - فيه من التَّعريف والتَّقسيم والتَّعليل ما يُعين على تقريب العلم وتيسيره.

١٣ - إعادة تصوير الشُّبهة أو الجواب؛ حتى يتحقَّق المراد من ذلك.

١٤ - فيه عناية ظاهرة بالخلاصة وحاصل المسائل.

١٥ - في ثنايا الشَّرح تحقيقاتٌ علميَّة دقيقة.

١٦ - التَّأكيد على التَّوحيد وحُسْنِه بأساليب متعدِّدة، والتَّنفير عن الشِّرك وبيان قُبْحِه بصور مختلفة.

١٧ - يُعَدُّ كتاباً علميّاً دعويّاً، لا يستغني عنه المسلم فضلاً عن طالب العلم.

---

(١) مقدِّمة الوالد لهذا الشَّرح (ص١٦٦).

١٨ - «كَشْف الشُّبُهات» كتاب جَزْلٌ؛ إلَّا أنَّ الشَّرح حقَّق التَّقريب لمعانيه والتَّيسير لألفاظه، مع الحفاظ على قوَّة الأصل ودقَّته.

١٩ - أنَّه كاشِفٌ لحُسْنِ المتن وجمالِه ورصانتِه.

٢٠ - يتجلَّى في هذا الشَّرح نَصَاعة الحَقِّ وقوَّة حُجَّة أهله، واضمحلال الباطل وضعف شُبَه أتباعه.

٢١ - أنَّه جاء وافياً؛ بعيداً عن التَّطويل المُمِلِّ، وعن التَّقصير المُخِلِّ.

٢٢ - أنَّ هذا الشَّرح - وأمثاله من شروح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ - أخرج أئمَّةً في العلم والدِّين؛ أمثال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مَنْهَجِي فِي التَّحْقِيقِ

سِرتُ في تحقيق الشَّرح وَفْق الآتي:

١ - بَيَّض الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بعض النُّسخ التي كتبها مع سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ اخترمته المَنِيَّة قبل فراغه من تكميل بعضها ببعض، فأعدتُ قراءة جميع النُّسخ التي كتبها الوالد أثناء شرح سماحته ونَسَختُها، وأضفتُ ما فات الوالدَ منها ممَّا بَيَّضه.

وقد أخذ ذلك جهداً كبيراً وزمناً طويلاً؛ لكتابة الوالد شرحَ سماحته بخَطٍّ سريعٍ جدّاً، يَصِلُ فيها الحروفَ بعضها ببعضٍ، فتتعسَّر قراءتها جدّاً.

٢ - كَمَّلْتُ النُّسخ بعضها ببعض، مع مراعاة المعاني فيها، سائراً في ذلك على منهج الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح سماحته لـ«آداب المشي إلى الصَّلاة»، وراجعتُ ذلك مرَّات عديدة؛ فخرج شرحاً وافياً كأنَّما حَرَّره سماحته بيده.

٣ - نقلتُ عَزْوَ الآيات التي وضعها الوالد في الهامش إلى المتن بعد الآية؛ تخفيفاً من حواشي الكتاب.

٤ - ضبطتُ بالشَّكْل جميعَ الأحاديث والآثار الواردة، وكذا أبيات الشِّعر.

٥ - ضبطتُ بالشَّكْل ما يحتاج إلى ضبط.

٦ - كلُّ جُملةٍ لها معنىً مستقلٌّ جعلتُها مرتبطةً بنَسَقٍ واحدٍ، وإذا تجدَّد المعنى في الشَّرح جعلتُه في فقرةٍ جديدةٍ.

٧ - وَضعتُ علامات التَّرقيم بدِقَّة؛ ليَسْهُلَ فَهْمُ الكِتاب.

٨ - وضع الوالدُ رحمه الله عناوين للشُّبَه وأجوبتها جانب الشَّرح، وزدتُ عليها؛ ليَسْهُلَ فَهْمُه، فبَلَغَتْ ثلاث مئة وأربعة عشر (٣١٤) عنواناً.

٩ - أثبتُّ تعليقات الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في الهامش، وصَدَّرتُها بلفظ: «قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ»، وعَزَوْتُ ما يحتاج منها إلى عَزْوٍ.

١٠ - علَّقتُ في الهامش على ما يحتاج إلى بيانٍ وإيضاحٍ.

١١ - خرَّجتُ الأحاديث الواردة في المتن والشَّرح من مصادرها؛ فإن كان الحديث في الصَّحيحَيْن أو أحدهما اكتفيتُ بذلك، وإن كان في غيرهما ذكرتُ مَنْ رواه من كتب السُّنَّة.

وقد أنقل نصَّ الحديث في الحاشية عند الحاجة لذلك، وإذا تكرَّر الحديث أُشير إلى موضع تخريجه السَّابق.

١٢ - وثَّقتُ الآثار والأقوال والأبيات الشِّعريَّة من مصادرها عند أوَّل ورودها.

١٣ - بيَّنتُ معاني الكلمات الغريبة عند أوَّل ورودها، معتمداً على معاجم اللُّغة وكتب الشُّروح.

١٤ - تَرْجَمْتُ الأعلام الوارد ذِكْرُهم عند أوَّل ورودها.

١٥ - عرَّفتُ بالطَّوائف والفِرَق الوارد ذكرها عند أوَّل ورودها.

١٦ - بيَّنتُ مواضع البلدان والأمكنة عند أوَّل ورودها، وربطتُها بمَعْلَمٍ معروف.

١٧ - كلُّ موضع سابق أحال إليه سماحة الشَّيخ أو الوالد، أو أشارا إليه في اللَّاحق؛ بَيَّنتُ موضعه.

١٨ - اعتمدتُ المتنَ الذي أثبته الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بقراءته على سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وصَحَّحتُ منه ما يحتاج إلى تصحيحٍ من متن «كَشْف الشُّبُهات» بتحقيقنا ضمن «متون طالب العلم».

١٩ - ضبطتُ بالشَّكل نَصَّ المتن، ملتزماً بذلك القواعد النَّحْويَّة والصَّرْفيَّة.

٢٠ - وضعتُ متن «كَشْف الشُّبُهات» أعلى الصَّفحة مفصولاً عن الشَّرح، ثم جعلتُه مُدمَجاً مع الشَّرح ومَيَّزتُه بلونٍ أحمر، وإذا تكرَّر شرحه مَيَّزتُه بلونٍ أسودَ ثقيل، وغيَّرتُ علاماتِ إعرابه بما يتوافق مع الشَّرح.

٢١ - وضعتُ فهرساً تفصيليّاً للكتاب.

مُقَدِّمَةُ ٱلْوَالِدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للَّه، والصَّلاة والسَّلام على عَبدِه ورَسُولِه مُحمَّدٍ، وعلى آلِه وصَحْبِه، أمَّا بعد:

فهذا شرحٌ لكتاب: «**كَشْفُ الشُّبُهَاتِ**» للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب - قدَّس اللَّه روحه -، جَمَعتُه من تقريرات شيخنا الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، كتبتُها حَالَ إلقائه الدُّروس في مسجدِه وفي بيتِه من عام ستَّةٍ وستِّين وثلاثِ مئةٍ وألفٍ هجريَّة (١٣٦٦هـ) إلى عام اثنين وسبعين وثلاثِ مئةٍ وألفٍ هجريَّة (١٣٧٢هـ).

وقد تكرَّرت كتاباتي لهذا الشَّرح ستَّ مرات، أَكتبُ لَفْظَه مِنْ فِيهِ في حِينِه؛ حرصاً على تقييد الفوائد، ومحافظةً على أمانة النَّقل، وإن كان الثِّقات من العلماء يقتنعون بالنَّقل عن مشايخهم سماعاً ويُحدِّثون به، كما يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] أحياناً: «وسَمعتُ شَيخَنا - أو شَيخَ الإسلام ابن تَيميَّة[(٢)] -

(١) هو: أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب الزُّرعيُّ الأصل، ثمَّ الدِّمشقيُّ، الحنبليُّ، ابن قيِّم الجوزيَّة، وُلد سنة (٦٩١هـ)، تفقَّه في المذهب، وبرع وأفتى، ولَازَم شيخ الإسلام ابن تَيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، وأخذ عنه، له في كلِّ فنٍّ من الفنون اليد الطُّولى، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٥١هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠)، المقصد الأرشد (٢/ ٣٨٤).

(٢) هو: أبو العبَّاس تقيُّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام، المشهور بـ«شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، الحرَّانيُّ، ثُمَّ الدِّمشقيُّ، الحنبليُّ، وُلد سنة (٦٦١هـ)، كان إماماً مُتبحِّراً في الفنون، فقيهاً أصوليّاً، مُحدِّثاً، مُفسِّراً، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٢٨هـ). طبقات علماء الحديث (٤/ ٢٧٩)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١).

يقول»[(١)]، وكما يذكره الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد العزيز العُنْقَريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)] عن مشايخه بلفظ: «تقرير»[(٣)]، وغيرهما.

وهذه التَّقريرات التي سَمِعتُها منه وسجَّلتُها في دفاتري:

- كمَّلتُ بعضها ببعضٍ ورتَّبتُها، فتَحصَّل منها شرحٌ وافٍ بالمقصود، مُوجَزٌ، سَهلُ العبارة - وللَّه الحمد والمِنَّة -.

- ووَضَعتُ عناوين في الهامش للشُّبَه وأَجوبتِها؛ لتُسهِّل فهم الكتاب.

- وجَعلتُ المَتنَ في أعلى كلِّ صفحة، وفَصَلتُ بين المَتن والشَّرح.

- وأَعدْتُ فقرات المَتنِ مع الشَّرح؛ ليكون أوضح من وضعه بصفة تعليق.

- وذَكَرْتُ بعض مَنْ روى الأحاديث.

- وعَزَوْتُ الآيات.

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٧٥)، إعلام الموقِّعين (٦/ ٧٦)، زاد المعاد (١/ ٧١)، روضة المُحِبِّين (ص٦٣٩).

(٢) هو: عبد اللَّه بن عبد العزيز بن عبد الرحمن العُنْقَريُّ التَّميميُّ النَّجديُّ، ولد سنة (١٢٩٠هـ)، قاضٍ حنبليٌّ، يُلقَّب بـ «الحافظ»؛ لِما رزقه اللَّه من سرعة الفهم، وشدَّة الحفظ، وقوَّة الإدراك، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٧٢هـ). الأعلام للزِّركلي (٤/ ٩٩)، تسهيل السَّابلة (٣/ ١٨٢٥).

(٣) حاشية العُنْقَريِّ على الرَّوْض المُربع (١/ ٧، ١١، ٢٥).

- ونبَّهتُ على ما يُشكِل، أو يحتاج إلى توضيح.

- وقدَّمتُ للكتاب بمُقدِّمة: وصفتُ فيها طريقة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ في افتتاح الدُّروس، وبيَّنتُ حِرصَه على تعليم التَّوحيد، وحثِّ الطُّلَّاب على تعلُّمه.

- وذَكَرْتُ الفَرْقَ بين دين قريشٍ ودين مُحمَّدٍ ﷺ.

- ثمَّ ذَكَرْتُ موضوعَ الكتاب، ثمَّ نصَّ الشُّبَه ومُلخَّصَ الجواب عنها.

طريقةُ الشَّيخ في افتتاح الدُّروس

«الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آله وأَصحابِه أجمعين، قال رحمه اللَّه تعالى: ...».

كان شيخُنا الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يستفتح الدُّروس في هذا الكتاب وغيره بهذه العبارة التي فيها الثَّناء على اللَّه سبحانه، والصَّلاة والسَّلام على رسولِه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ثمَّ يَترحَّم على المُؤلِّفين.

وكذلك الطُّلَّاب يَسْتَفْتِحُون قراءتَهم عليه في المُخْتَصَرَات - المُتُون -، والمُطوَّلات - كتب الحديث، والتَّفسير، والعقائد، والفقه، والنَّحو، وغيرها - بهذه العبارة، يَجْمَعُون بين الصَّلاة والسَّلام على آلِه وأَصحابِه، تبعاً للصَّلاة والسَّلام عليه؛ لا يقتصرون على الصَّلاة والسَّلام على «آلِه» دون «أَصحابِه»، وإذا تَلَوْا نصَّ الأحاديث اقتصروا على الصَّلاة والسَّلام على الرَّسولِ ﷺ كما هما موجودان في كتب الحديث ومُؤلَّفات العلماء المعروفين باتِّباع طريقة أهل السُّنَّة والجماعة.

وقد نبَّهَنا شيخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في تقريراته - وكما يذكر ذلك غيرُه - على سرِّ الجمع بين الصَّلاة والسَّلام على آلِه وأَصحابِه؛ بأنَّ ذلك تأكيدٌ لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في معرفةِ حقوقِهم وفضائِلِهم ومَحبَّتِهم،

وبراءةٌ من البِدعَتَيْن الذَّمِيمَتَيْن؛ بدعة «النَّواصِب»[١]، وبدعة «الرَّوَافِض»[٢]، حيث كان الاقتصار على الصَّلاة والسَّلام على «آلِه» دون «أَصحابِه» شعاراً للرَّوَافِض ودعايةً لعقيدتهم، هذا بقطع النَّظر عمَّا يعنون «بآلِه».

ولم نسمع منه رَحِمَهُ اللَّهُ في الدُّروس ولا في الخطب ولا غيرهما بعد ذكر «آلِه» عبارة: «الطَّيِّبين الطَّاهِرين»؛ لأنَّ هذه العبارة خبرٌ عن طهارتِهم، والآية والحديث الواردان في ذلك فيهما الأمر لهم، وفَرْقٌ بين الأمر والخبر.

قال شيخ الإسلام ابن تَيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السُّنَّة»[٣]: «واللَّهُ لم يخبر أنَّه طهَّر جميع أهل البيت وأذهب عنهم الرِّجْس؛ فإنَّ هذا من الكذب على اللَّه، كيف ونحن نعلم أنَّ مِنْ بني هاشم مَنْ ليس بمُطهَّر، ولأنَّه قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

(١) النَّواصِب: لقبٌ يُطلَق على الخَوَارِج وغيرهم؛ لمُبالَغَتِهم في نَصْبِ العِدَاء لعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويُطلِقُه الرَّافِضَة على أهل السُّنَّة زُوراً وبُهْتاناً، وطَريقَة أهل السُّنَّة: التَّبرُّؤ من الرَّوَافِض الذين يُبغِضون الصَّحابة ويَسبُّونهم، ومن النَّواصِب الذين يُؤْذُون أهل البيت بقولٍ أو عَملٍ. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٥٤)، (٤/ ٤٦٨)، منهاج السُّنَّة النبوية (٤/ ٣٨٦)، فرق معاصرة (١/ ١١٤، ٢٣١)، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (١/ ١٥١)، (٤/ ٣٣٩).

(٢) هم: طائفة زعمت أنَّ عليّاً هو الأحقُّ بالخلافة ممَّنْ قبله، وغلا فيه بعضهم وادَّعَوْا فيه الألوهيَّة؛ ومِنْ مُعتقداتِهم: الإمامة، والبراءة من الخلفاء الثَّلاثة، وعصمة أئمَّتهم من الخطأ، والتَّقِيَّة، وليس في الطَّوائف المُنتسِبَة إلى القِبْلَة أعظم افتراء للكذب على اللَّه وتكذيباً بالحقِّ منهم. مقالات الإسلاميين (ص٥)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ٢٠، ٢٧، ٣٨، ٣٠٦، ٤٨٦)، (٢/ ٣٤)، (٤/ ٣٤٥).

(٣) (٤/ ٢٥٩-٢٦٠).

﴿تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، ففيه أنَّه يُحبُّ ذلك ويرضاه لكم ويأمركم به، فمَنْ فعله حصل له هذا المراد المَحْبُوب، ومَنْ لم يَفْعَلْه لم يحصل له ذلك».

وقال في موضعٍ آخَر: «قوله ﷺ: (اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً)[(١)]، دليل على أنَّه لم يخبر بوقوع ذلك، فإنَّه لو كان وقع، لكان يُثنِي على اللَّه بوقوعه ويشكره على ذلك، لا يقتصر على مُجرَّد الدُّعاء»[(٢)].

ولأنَّه قال في الدُّعاء لنَفسِه - والأُمَّة تبع له -: «اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا»[(٣)(٤)].

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب، رقم (٣٢٠٥)، من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٤/ ٢٢-٢٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، رقم (٤٧٦)، من حديث عبد اللَّه بن أبي أوفى رضي الله عنهما.

(٤) منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٨٣).

قال الوالد رحمه الله: «ولبعض مَنْ لا أثق به عبارة أستريب منها في الصَّلاة والسَّلام على الرَّسول؛ وهي: (والصَّلاة والسَّلام عليك يا سَيِّدي يا رسول اللَّه) وقد يرفع صوته بالجملة الأخيرة، أو: (حبيبي حبيبي يا رسول اللَّه).

ولم أكن أَسْمعُ شيخَنا يقول في خُطَبِه ودُرُوسِه: (سيِّدنا)، وله في ذلك فتوى مطبوعة - مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (٢/ ٢٢٠-٢٢١) -.

ولا: (شفيعنا) بهذا الإطلاق؛ بل يقول: (الشَّافع المُشفَّع في المَحْشَر)، والمراد: الشَّفاعة العُظْمَى، وأمَّا شفاعاتُه الخَاصَّة: فلا يجزم بها لكلِّ شخص.

ولا: (ورسوله أعلم)؛ فهذه تقال في حياته، أمَّا الآن فيُقَال: (اللَّه أعلم).

(يقول اللَّه تعالى) قليلاً ما يستعمل هذه العبارة في حال استدلاله بآية؛ بل يقول: (قال اللَّه =

حِرصُه على تعليم التَّوحيد، وحثِّ الطُّلَّاب على تَعلُّمِه

قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «لا يُزهَد في التَّوحيد، فإنَّ بالزُّهد فيه يوقَع في ضدِّه، وما هلك مَنْ هلك ممَّن يدَّعي الإسلام إلَّا بعدم إعطائِه حقَّه ومعرفتِه حقَّ المعرفة، وظنُّوا أنَّه يكفي الاسم والشَّهادتان لفظاً، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله: هل هو موجود أو مفقود؟»[٢].

وقال: «وممَّا يُذكَر عن المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال يوماً: يذكر البارحة أنَّه وُجِد رجلٌ على أُمِّه يُجَامِعُها، فاستعظم المَحْضَر ذلك، وضَجُّوا منه، رأوا أنَّه منكر كبير - وهو كبير -.

ثمَّ قال لهم مرَّة أخرى: إنَّ واحداً أصيب بمرضٍ شديدٍ، فقيل له: اذبح دُيَيْكاً[٣] لفلانٍ - وَلِيٍّ - فلم يستعظموه.

ثمَّ بيَّن لهم أنَّ الأوَّل فاحشة يبقى معها التَّوحيد، والآخر ينافي

= تعالى)، فاللَّه قالها وقت إنزالها، لا الآن والمستقبل.
ولا: (يقول القرآن)؛ فالقرآن لا يتكلَّم، وليس هو القائل؛ بل هو المَقُول.
ومثلها: (يقول الحديث الشَّريف)؛ بل يقول: (قال رسول اللَّه ﷺ).
ولا: (اسمعوا اللَّه يقول)؛ لأنَّ هذه العبارة توهم أَمْرَيْن مَحْذُورَيْن:
الأوَّل: أنَّ الحاضرين يكونون بمنزلة موسى عليه السلام حين كلَّمه ربُّه.
الثَّاني: أنَّ اللَّه يتكلَّم الآن بما يتلوه من القرآن.
ورحم اللَّه ابن مالك حيث قال في ألفيَّته (ص٤٧) - بتحقيقنا -، البيت رقم (١٥٤):
كَـ«مَا ..... كَـانَ أَصَـحَّ عِـلْـمَ مَـنْ تَـقَـدَّمَـا!».

(١) أي: سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) (ص٣٣٢) من هذا الشَّرح.
(٣) تَصْغِيرُ كلمة «دِيك»؛ أي: اذْبَح دِيكاً صَغِيراً.

التَّوحيد كلَّه، وهذا لم يستعظموه مثل ذاك.

وهذا هو الواقع من أكثر النَّاس، فإنَّ النُّفوس تستبشع أشياء أعظم من استبشاعها ما هو من ضدِّ التَّوحيد»[(١)].

ولمَّا ذكر المُؤلِّف قصَّة بني إسرائيل الذين قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقصَّة الذين سألوا النَّبيَّ ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط[(٢)]؛ قال: «ولكنَّ هذه القصَّة تفيد أنَّ المُسلمَ؛ بل العالِمَ، قد يقع في أنواع من الشِّرك وهو لا يدري، وتفيد أنَّ قولَ الجاهل: (التَّوحيدُ فَهِمْنَاه) أنَّ هذا من أكبر الجهل ومكائد الشَّيطان»[(٣)].

قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان السَّائلُ في القصَّة الأولى مع نبيٍّ وهو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم[(٤)] أَوْسَعُ عِلْماً، والسَّائلُ في القصَّة الثَّانية مع نبيٍّ، وهم[(٥)] أَعلمُ وأَقدمُ فَضيلَة، استحسنوا ذلك؛ ظنّاً منهم أنَّ اللَّهَ يُحبُّه، وأنَّه من العبادات التي يُتقرَّب بها إلى اللَّه.

وهذه الكلمة: (التَّوحيدُ فَهِمْنَاه)؛ قد صَدَرَتْ مِن بعض الطَّلبة لمَّا كَثُر التَّدريس في التَّوحيد - متنِه أو كتبٍ نحوه -؛ سَئِمُوا وأرادوا القراءة في كُتُبٍ أخرى، وقيل: إنَّها صَدَرَتْ من المُرَاسِلِين[(٦)]»[(٧)].

---

(١) (ص٣٣٣) من هذا الشَّرح.

(٢) هي: شجرة كانت للمشركين يَنُوطُونَ بها سلاحَهم، أي: يُعَلِّقُونَهُ بها. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٨).

(٣) (ص٣٣١-٣٣٢) من هذا الشَّرح.

(٤) أي: بنو إسرائيل.

(٥) أي: الصَّحابة.

(٦) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذين يُكاتِبون الشَّيخ، واللَّه أعلم».

(٧) (ص٣٣١-٣٣٢) من هذا الشَّرح.

دينُ قريشٍ ودينُ مُحمَّدٍ ﷺ

عقيدةُ المُشْرِكِين ودينُهم:

قريشٌ أُناسٌ يَتعبَّدون ويَحجُّون ويَعتمرون، ويَتصدَّقون ويَصِلُون الرَّحم، ويُكرِمُون الضَّيف، ويَذكُرُون اللَّه كثيراً، ويَعترِفُون أنَّ اللَّه وحده هو المُتفرِّد بالخلق والتَّدبير، ويُخْلِصون للَّه العبادة في الشَّدائد، ولكنَّهم يَتَّخذون وسائط بينهم وبين اللَّه، يَدعونهم، ويَذبحون لهم، وينذرون لهم، ويستغيثون بهم؛ ليشفعوا لهم ويسألوا اللَّه لهم؛ زعماً منهم أنهم أقرب منهم إلى اللَّه وسيلة.

فبَعَثَ اللَّه مُحمَّداً ﷺ يُجَدِّد لهم دينَ أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويُخبرُهم أنَّ هذا التَّقرُّبَ والاعتقادَ مَحضُ حقِّ اللَّه، وأنَّ فعلَهم هذا أَفْسَد جميع ما هم عليه من العبادات، وصاروا بذلك كُفَّاراً مُرتدِّين، حلال الدَّم والمال، وقاتلهم رسول اللَّه ﷺ ليكون الدُّعاء كلُّه للَّه، والذَّبح كلُّه للَّه، والنَّذر كلُّه للَّه، والاستغاثة كلُّها باللَّه، وجميع أنواع العبادة كلُّها للَّه.

وانتقد المُؤلِّف والشَّارح رحمهما الله مَنْ يدَّعي الإسلام[1]؛ بل يدَّعي العلم؛ بل يدَّعي الإمامة في الدِّين وهو لا يعرف مِنْ كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إلَّا مُجرَّد التَّلفُّظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيءٍ من المعاني، وأنَّ

(١) (ص٢١٦) من هذا الشَّرح.

الحَاذِقَ منهم الذي يرى أنَّ المُرادَ شيء آخر غير اللَّفظ - يُخطِئ المعنى المراد، ولا يعرفه -، يظنُّ أنَّ معناها: لا يخلق ولا يرزق إلَّا اللَّه، ولا يدبِّر الأمر إلَّا اللَّه، فلا خير في رجلٍ جُهَّالُ الكُفَّار أعلم منه بأصل الإسلام، هذا أَجهلُ من أبي جَهلٍ وأَضرابِه.

وسَمعتُ أحد هؤلاء يشرح حديثاً يُروى في فضل ليلة النِّصف من شعبان، ونَصُّه: «إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ؛ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»(١).

ففسَّر المُشرِك: بأنَّه الشَّخص إذا أتى إلى صاحب القبر وسجد له، وسأله جَلْب نفْعٍ أو كَشْف ضرٍّ؛ فهذا هو الشِّرك(٢).

وقال الشَّارح أيضاً(٣): «كثير ممَّن ينتسب إلى الإسلام من هذه الأمَّة ليسوا على الدِّين؛ إنَّما معهم اسمه فقط، ولا يعرفون شركَ الأوَّلين، وشركَ أهل هذا الزَّمان، ولو عرفوه لوجدوه هو هو؛ بل شرك مُشْرِكِي هذه الأزمنة أعظم بكثيرٍ(٤)».

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصَّلاة، والسُّنَّة فيها، باب ما جاء في ليلة النِّصف من شعبان، رقم (١٣٩٠)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أي: قَصَر الشِّرك على هذا فقط.

(٣) (ص٢٨٧) من هذا الشَّرح.

(٤) قال الوالد رحمه الله: «لأنَّ الأوَّلين يُشرِكون في الرَّخاء، وفي الشِّدَّة يُخلِصون، في الشَّدائد لا يدعون إلَّا اللَّه وحده لا شريك له.
وأمَّا في زماننا فشركهم في الحَالَيْن جميعاً؛ بل إذا كانوا في الشِّدَّة نسوا اللَّه بالكلِّيَّة ولَهِجُوا بمعبوداتهم من دون اللَّه؛ هذا يقول: يا متبولي، يا عيدروس، يا بدوي، يا عبد القادر، يا عليُّ، يا حسين، يا رسول اللَّه، يا فلان. اهـ. الشَّارح. =

وقال المُؤلِّف والشَّارح في آخر الكتاب: «كثيرٌ من النَّاس إذا بُيِّن له أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل قالوا: هذا حقٌّ، وهذا الذي ندين اللَّه به؛ ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلَّا مَنْ وافقهم، وغيرَ ذلك من الأعذار، ما جهلوا ذلك ولا جحدوه، لكن آثروا العاجل والحطام على الآجل - والعياذ باللَّه -»[(١)].

هذا من أسباب بقاء كثيرٍ على الشِّرك.

ومن أسباب بقاء عامَّتهم على الشِّرك: أنَّ كثيراً ممَّن يدَّعي العلم والإمامة في الدِّين منهم يشارك عبَّاد القبور في عباداتهم واحتفالاتهم ويأكل من نذورهم[(٢)].

= ومن القصص الحيَّة: أنَّ بعض نسائهم إذا أخذهن الطَّلْق نادت: يا عليُّ، يا حسين، وأنَّ بعض الرِّجال إذا أَيْقَن أحدهم بموتٍ في بئرٍ أو نفقٍ، استغاث بعَليٍّ أو بالنَّبيِّ أو بالخمسة[(أ)] أو غيرهم ممَّن يعتقد فيه.

وآخر يَصرُخ: مَنْ لبلادنا غيرك يا رسول اللَّه؟!

وآخر وعظنا يوماً في أحد مساجد مَنْ ينتسب إلى السُّنَّة، وذكر أنَّ وفاة النَّبيِّ ﷺ أشكلت على بعض الصَّحابة حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن وجهه، وقال: (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيّاً وَمَيِّتاً، اذْكُرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَ رَبِّكَ) اهـ، وهذه الجملة الأخيرة لا تصحُّ نسبتها إلى أبي بكر، ولا يُصَدَّق أنَّ الصِّدِّيق يقول مثل ذلك، وهو الذي تلا على المنبر: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال: (مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ...) إلخ. رواه البيهقيُّ في السُّنن الكبرى، رقم (١٦٥٣٦)».

(١) (ص٣٦٤-٣٦٥) من هذا الشَّرح.

(٢) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد بلغ عدد النُّقود المنذورة في إحدى هذه البلدان أكثر من ستِّ مئة مليون ريال. جريدة الشَّرق الأوسط عام (١٤١٧هـ) شهر شعبان».

(أ) قلتُ: «أي: مجتمعين؛ وهم: النَّبيُّ ﷺ، وعليٌّ، وفاطمة، والحسن، والحسين رضي الله عنهم» مقالات الإسلاميين (ص١٤).

وإذا شُدِّد الإنكار عليه وانقطعت حجَّتُه قال: «هذه مظاهر الكفر»، وهذه الكلمة تُخفي تحتها أنَّ عقائدَهم في التَّوحيد صحيحة سليمة.

ويَعتذر بعضُهم عن عامَّتهم: بأنَّهم جُهَّالٌ جُهَّال، أو خرافيُّون، أو صوفيَّة، أو ما قصدوا بعبادة أصحاب القبور إلَّا اللَّه، فلا يَخْرجون من دائرة الإسلام بهذه الأفعال، وأشباه هذه العبارات التي فيها التَّهوين من شأن الشِّرك أو تسويغه.

لم يُصَرِّح لهم بالتَّوحيد الذي بعث اللَّه به الرُّسُل، ولا بأنَّ ما يفعلونه مثل ما كان يُفعل عند اللَّات والعُزَّى وهُبَل؛ بل أعظم، حتى إنَّ بعضهم يحلف باللَّه كاذباً، ولا يحلف بمعبوده إن كان كاذباً[1]؛ بل إنَّ بعض مَنْ ينتسب إلى الإسلام بدلاً من أن يقول: «أشهد أن لا إله إلَّا اللَّه»؛ يُنشِدون:

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا حَيْدَرَةُ الأَنْزَعُ البَطِينُ[2]

وإذا أضيف إلى ذلك الشَّهادة لهم بالإسلام بموجب البطاقة - الهويَّة -، أو بأنَّ آباءهم كانوا مسلمين، أو أنَّ بلدانهم كانت إسلاميَّة

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا دليل على أنَّ عظمة محلوفه أعظم في قلبه من عظمة اللَّه، ثمَّ كيف أعمال القلوب الأخرى من الحبِّ والخوف والرَّجاء؟! ومن الأناشيد والأشعار التي فيها الغُلُوُّ والشِّرك بالنَّبيِّ ﷺ ما لا يزال يُسمَع؛ كالهمزية والبردة وغيرهما».

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ١٦١).
والأَنْزَعُ هو: مَن انْحَسَر الشَّعَر عن جانبي جَبْهَتِه. الصِّحاح (٣/ ١٢٨٩)، المصباح المنير (٢/ ٦٠٠).
والبَطِين أي: عظيم البطن. الصِّحاح (٥/ ٢٠٨٠).

وأُدخلوا في تعداد المسلمين، فمتى يُقلِع هؤلاء عن دعاء الأموات، والطَّواف بقبورهم، والعكوف عندها، وبناء المساجد عليها، والذَّبح والنَّذر لها، وسؤال أصحابها العون والمَدَد، وغير ذلك من الشِّركيَّات والبِدعيَّات التي الإسلام والمسلمون حقّاً بُرآءُ منها ومن أهلها؟!(١).

ومتى يدخلون في الإسلام المَبْنِيِّ على خمسة أركان، ويَسْلَم البعض الآخر من الإلحاد في الدِّين، واتِّباع طريقة العلمانيِّين اللَّادينيِّين؟!(٢).

ومتى تُصَحَّحُ عقائدُ النَّاشئين، ويعرفون الفرق بين دين المُرْسَلِين ودين المُشْرِكِين؟!

ومَنْ يَتَحَمَّل إثم الأَرِيسِيِّين(٣)؟!

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكيف يُنْصَرون؟!».

(٢) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأولئك - عبَّاد القُبور - في طرف، وهؤلاء في طرف».

(٣) الأَرِيسِيُّون: الضُّعَفَاء والأَتْبَاع. غريب الحديث للخطَّابي (١/ ٤٩٩)، النِّهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٨).
والمراد بهم هنا: عَوامُّ النَّاس الذين يُقلِّدون غيرهم جهلاً منهم بكون ذلك شركاً.

موضوع كتاب كَشْف الشُّبُهات
(للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب - قدَّس اللَّه روحه -)

أمَّا موضوعه: فقد عبَّر عنه سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «هذا الكتاب جوابٌ لشُبَهٍ اعتَرَض بها بعضُ المُنْتَسِبين للعلم في زمانه عليه؛ فإنَّ الشَّيخ الإمام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا تصدَّى لبيان التَّوحيد والدَّعوة إليه، وتفصيل أنواعه، والمُوالَاة والمُعَادَاة فيه، ومُصَادَمَة مَنْ ضادَّه وكَشْفِ شُبَه مَنْ شَبَّه عليه[١] - وإن كانت أَوْهَى مِنْ خَيْط العنكبوت -، وبيَّن ما عليه الكثير من الشِّرك الأكبر؛ اعترض عليه بعض الجهلة المُتَمَعْلِمِين، أَزَّهم[٢] إبليس، فجمعوا شُبهاً شبَّهوا بها على النَّاس، وزعموا أنَّ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يكفِّر المسلمين وحاشاه ذلك؛ بل لا يكفِّر إلَّا مَنْ عمل مُكفِّراً[٣] وقامت عليه الحُجَّة.

فأجابهم المُصنِّف بهذا الكتاب، وكشف شُبَههم بما تطمئنُّ به الألباب، من نصوص السُّنَّة والكتاب، وما يُميِّز به المُنْصِفُ ما عليه الشَّيخُ وأَتباعُه وما عليه أولئك.

---

(١) أي: على التَّوحيد.

(٢) أي: أَغْرَاهُم. الصِّحاح (٣/ ٨٦٤).

(٣) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويأتي قوله: (ليس المراد اللَّفظ؛ بل اللَّفظ وإقرار وعمل)، لكن لَمَّا كان العمل هو الأظهر للنَّاس اكتفى به هنا» (ص٣٣٨).

وقدَّم مُقدِّمة في بيان حقيقةِ دين المُرْسَلِين وما دَعَوا إليه، وحقيقةِ دين المُشْرِكِين وما كانوا عليه، وبيَّن أنَّ مُشْرِكِي زمانِه هم أتباع دين المُشْرِكِين» اهـ[1].

(١) (ص٢٣٦) من هذا الشَّرح.

مُلخَّصُ الشُّبُهات وأَجْوِبتِها

هذه «الشُّبَه» أجاب المُصنِّف عنها بجوابٍ مُجمَلٍ، ومَثَّل لذلك بآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وأنَّ الشَّفاعة حقٌّ، والأنبياء لهم جاه عند اللَّه.

ثمَّ أجاب عن كلِّ شبهة بجوابٍ يخصُّها، أو جوابين، أو أكثر.

الشُّبهة الأُولى: أنَّ مَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة - أنَّه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبِّر الأمر إلَّا اللَّه -، وأنَّ مُحمَّداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً - فضلاً عن عبد القادر أو غيره -، وإنَّما قصد من الصَّالحين الجاه والشَّفاعة؛ فليس بمُشركٍ.

والجواب: أنَّ الذين قَاتَلَهُم رسول اللَّه ﷺ مُقرُّون بما ذَكرْتَ، وإنَّما أرادوا مثل ما أَردْتَ.

الشُّبهة الثَّانية: قوله: إنَّ الآيات نزلت فيمَنْ يَعبدُ الأصنام، ونحن لا نَعبدُ الأصنام.

الجواب: أنَّ الكُفَّارَ منهم مَنْ يَعبدُ الأصنام، ومنهم مَنْ يَعبدُ الأولياء، ومنهم مَنْ يدعو عيسى ابن مريم وأُمَّه عليهما السلام، ومنهم مَنْ يَعبدُ الملائكة، ولا فرق بين المعبودات[1]، فالكلُّ شرك، والكلُّ مُشْرِكُون،

(١) قال الوالد رحمه الله: «في أنَّ شيئاً منها لا يَصلُح للإلهيَّة».

كفَّر اللَّه مَنْ يَعبدُ الأصنام، وكفَّر مَنْ يَعبدُ الصَّالحين والملائكة.

الشُّبهة الثَّالثة: أنَّ طلب الشَّفاعة منهم ليس بشِركٍ.

والجواب: أنَّ هذا هو قول الكُفَّار سواء بسواء: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمر:٣]، ليس لهم قَصْدٌ إلَّا شيء واحد؛ وهو طلب الشَّفاعة من ربِّ الجميع، وأنَّه كفَّرهم بذلك.

الشُّبهة الرَّابعة: نفيهم عبادة الصَّالحين، مع أنَّهم يدعونهم أو يذبحون لهم، ويُقِرُّون بأنَّ هذا عبادة، وأنَّ المُشْرِكين الأوَّلين هكذا كانت عبادتهم.

وإن أنكروا أنَّ هذا عبادة، أو جهلوا، فهذه الآيات والأحاديث تُبيِّن ذلك[1].

الشُّبهة الخامسة: أنَّ مَنْ يُنكِر طلب الشَّفاعة من الرَّسولِ والصَّالحينَ، فهو مُنكِرٌ لشفاعةِ الرَّسولِ، ومُنتقِصٌ للأولياء.

والجواب: أنَّ الأمرَ بالعكس؛ فإنَّ الشَّفاعة مِلْك للَّه، ولا تكون إلَّا من بعد إذنه، ولا يأذن اللَّه إلَّا لأهل التَّوحيد، وأنَّ طلَبها من غير اللَّه شرك، وهو سبب حرمانها.

الشُّبهة السَّادسة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُعطيَ الشَّفاعة، وأنَّها تُطلَب منه.

والجواب: أنَّ إعطاءَه الشَّفاعة إعطاءٌ مُقيَّدٌ لا مُطلَقٌ، وشفاعته

(١) أي: الآيات والأحاديث الواردة في جواب الشُّبهة الرَّابعة (ص٢٦٣-٢٦٥).

للعُصَاة لا للمُشْرِكِين.

وأيضاً: الشَّفاعة أُعطِيَها غيرُ الرَّسول ﷺ؛ فلا يدلُّ على أنَّه يُعطِيها مَنْ سألها، ولا أنَّها تُطلَب منه.

الشُّبهة السَّابعة: أنَّ الالتجاءَ إلى الصَّالحين ليس بشِركٍ؛ فليس المُلتجِئُ مُشْرِكاً بذلك.

الجواب بالتَّحدِّي: يُسأَل عن الشِّرك، ما هو؟ وعن عبادة اللَّه، ما هي؟ فإنَّه لا يدري ما هو التَّوحيد، ولا ما هو الشِّرك الذي وقع فيه.

الشُّبهة الثَّامنة: قوله: الشِّرك عبادة الأصنام، ونحن لا نَعبدُ الأصنام.

فيُقالُ له: هل هم يعتقدون أنَّها تَخْلُق وتَرْزُق؟

فإن قال: نعم، فقل: هذا يُكَذِّبه القرآن.

وإن قال: هو مَنْ قَصد خشبة أو حجراً أو بِنْيَة على قبر أو غيره، يدعونه ويذبحون له يقولون: إنَّه يُقرِّبُنا إلى اللَّه زُلْفى ويَدْفَعُ اللَّه عنَّا ببركته، فهذا تفسير صحيح لعبادة الأصنام، وهو فِعْلُكم بعَيْنِه، مع أنَّ الشِّركَ ليس مخصوصاً بعبادة الأصنام.

الشُّبهة التَّاسعة: قولهم: إنَّكم تُكَفِّرون المسلمين - تجعلوننا مثل المُشْرِكِين الأوَّلين - ونحن نشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، وأنَّ مُحمَّداً رسول اللَّه، ونُصدِّق بالبعث، ونُصلِّي، ونَصوم، ونَحجُّ ونَعتَمر - وهم بالعكس -، كيف تجعلون مَنْ كان معه هذه الخصال وهذه الفروق كمَنْ ليس فيه منها شيء؟!

وقد أجاب عنها بتسعة أجوبة، بيَّن فيها أنَّ هذه الفروق غير مؤثِّرة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع؛ بل هذه الخصال والفروق ممَّا يتغلَّظ بها كفرهم.

مَنْ وُجِد منه مُكفِّر؛ بأن صدَّق الرَّسول ﷺ في شيء وكذَّبه في شيء، أو رفع المخلوق في رتبة الخالق، أو غلا في أحد من الصَّالحين فادَّعى فيه الألوهيَّة، أو خالف الشَّرِيعَة في أشياء؛ مثل: استحلال نكاح الأختين، أو وُجِد منه نوع من أنواع الرِّدَّة، أو استهزأ باللَّه أو آياته؛ فهو مرتد؛ ليس من شرط الرِّدَّة أن يجمع أطراف الرِّدَّة، أو يجمع الشِّركيَّات، أو أنَّ ربَّ العالمين ومعبوده واحد في جميع ما يستحقُّ؛ فإنَّ الرِّدَّة ردَّتان:

ردَّة مُطلَقة: وهي الرُّجوع عمَّا جاء به الرَّسول ﷺ جملة.

والثَّانية: أن يكفُر ببعض ما جاء به الرَّسول ﷺ.

الشُّبهة العاشرة: أنَّ مَن قال: «لا إله إلَّا اللَّه»؛ لا يُكفَّر، ولا يُقتَل، ولو فعل ما فعل، واستدلُّوا بأحاديث.

والجواب: أنَّها لا تدلُّ على ما زعم المُشبِّه مِن أنَّ مجرَّد قول: «لا إله إلَّا اللَّه» يمنع من التَّكفير؛ بل يقولها ناس كثير وهم كُفَّار؛ إمَّا لعدم العلم بمعناها، أو عدم العمل بمقتضاها، أو وجود ما ينافيها، ومَثَّل لذلك بأنَّ اليهود يقولونها، وأصحاب مُسَيْلِمَة الذين قاتلهم الصَّحابة، وكذلك الذين حرَّقهم عليٌّ رضي الله عنه، فقولها باللِّسان لا يكفي في عصمة الدَّم والمال.

الشُّبهة الحادية عشرة: قولهم: إنَّ الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركاً؛ لجواز الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة.

وقد بيَّن المُؤلِّف جهلهم؛ حيث لم يُفرِّقوا بين الاستغاثتين.

الشُّبهة الثَّانية عشرة: استدلالهم على أنَّ الاستغاثة بالأموات والغائبين ليست شركاً بعرضها على إبراهيم من جبريل عليه السلام.

والجواب: أنَّ هذه الاستغاثة جِنسٌ، وتلك جِنسٌ آخر، فمَنْ سوَّى بينهما فقد سوَّى بين المُتباينَيْن.

الخاتمة: في بيان أنَّ التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل، فإن اختلَّ شيء من هذا لم يكن الرَّجل مسلماً.

هذا، واللَّهَ أَسألُ أن يجعلَ هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، وصلَّى اللَّه على مُحمَّدٍ وآلِه وصحبِه.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ قَاسِمٍ
تَمَّ الفَرَاغُ مِنْ مُقَدِّمَةِ الكِتَابِ فِي
٢٤/ ٤/ ١٤١٧هـ

شَرْحُ كِتَابِ

كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

عفا الله عنه

مِنْ تَقْرِيرَاتِ

سَمَاحَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ

(١٣١١ - ١٣٨٩ هـ)

مُفْتِي الدِّيَارِ السُّعُودِيَّةِ وَرَئِيسِ القُضَاةِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَشْف الشُّبُهات[١]

مشروعيَّة الابتداء بالبسملة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ابتدأ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بالبسملة:

- اقتداءً بالكتاب العزيز.

- وتأسِّياً بالنَّبيِّ ﷺ في مُكَاتباتِه ومُراسَلاتِه؛ فإنَّه كان يَبدؤُها بالبَسْمَلَة[٢].

- وعملاً بحديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ - أي: حَالٍ وشَأنٍ يُهتمُّ به شرعاً - لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَهُوَ أَقْطَعُ»[٣].

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَشَفَ الشَّيء: أظهر عنه ما يواريه أو يغطِّيه.
والشُّبهة: الالتباس، وجمعها: شُبَه، وشُبُهَات.
والشُّبُهات: ما يلتبس فيه الحقُّ بالباطل والحلال بالحرام على بعض النَّاس.
والنَّظَر في الشُّبُهات لا ينبغي؛ مخافة الوقوع فيها؛ فالنَّظر فيها: ليعرفها، لينكرها، أو يحذر منها، وإلَّا فهي شرٌّ، وقربان الشَّرِّ شرٌّ» الصِّحاح (٦/ ٢٢٣٦)، المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٦٨٩)، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة (٢/ ١١٦٢).

(٢) من ذلك: كتاب رسول اللَّه ﷺ إلى هرقل، كما في حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ» رواه البخاري، رقم (٦٢٦٠)، ومسلم، رقم (١٧٧٣).

(٣) رواه الخطيب البغداديُّ في الجامع (٢/ ٦٩)، رقم (١٢١٠). =

اعْلَمْ . . . . . .

مقدِّمة المُؤلِّف[١]

مُقدِّمة في بيان حقيقة دين المُرْسَلين وحقيقة دين المُشْرِكين

قدَّم المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد البَسْمَلة مُقدِّمةً نَافعةً في بيان حقيقة دين المُرْسَلِين وما دَعَوْا إليه، وحقيقة دين المُشْرِكِين وما كانوا عليه؛ ليعلم الإنسان حقيقة دينهم عند ورود الشُّبُهات، ويعلم مَنْ هو أولى بدين المُرْسَلِين مِن دين المُشْرِكِين.

ثمَّ ذكر شُبُهاتهم التي أوردوها عليه، وأجاب عنها حيث قال: (**وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ - مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - جَوَاباً لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا ...**)[٢] إلخ، وهي موضوع الكتاب.

لماذا يُؤتَى بكلمة «اعْلَم»؟

(**اعْلَمْ**)؛ هذه الكلمة يأتي بها المُتَكَلِّمُ عند ذكر الشَّيء الذي له أَهمِّيَّة، وينبغي أن يُصغي إليه المُتعلِّم، ويتفهَّم ما يُلقى إليه، أي: اجمع قُوَاك وحواسَّك، وكن مُتفهِّماً لِمَا يُلقى إليك بعدها،

= وبنحوه رواه أحمد في المسند، رقم (٨٧١٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «كُلُّ كَلَامٍ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ - أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ -».

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «تبتدئ هذه المُقدِّمة من قوله: (اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ -...)، وتنتهي عند قوله: (وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ)» - من هذه الصفحة إلى (ص٢٣٥) -.

(٢) (ص٢٣٦).

- رَحِمَكَ اللَّهُ -: أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ، . .

وما قرَّره المُصنِّف في هذا الكتاب حَقِيقٌ بأن يُصغى إليه غاية الإصغاء، فلا شيءَ أعظمُ من أن يُعتنى به ويُلقى له السَّمع والقلب من كلمة التَّوحيد.

معنى: «رحمك اللَّه»

(رَحِمَكَ اللَّهُ) أي: غفر لك فيما مضى، ووفَّقك فيما يُستقبَل.

المُصَنِّف يجمع بين الدُّعاء للطَّالب مع ما قَرَّره

وكثيراً ما يجمع المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بين الدُّعاء للطَّالب، مع ما قَرَّره ووضَّحَه، وهذا من حُسن مَسْلَكِه، ومَحبَّتِه ورحمتِه بالمسلمين.

أَحْسَن وأَخْصَر تعريف لتوحيد الأُلوهيَّة

(أَنَّ التَّوْحِيدَ) الذي بُعِثت به الرُّسُل، وأوَّل واجبٍ على المُكلَّف علماً وعملاً - فـ«ال» فيه للعَهْد - **(هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ)**، والتَّوحيد له تعاريف عديدة، والمُصنِّف كثيراً ما يعتمد هذه العبارة، وهي أَحسنُ التَّعاريف وأَخْصَرُها.

أقسام التَّوحيد

نعرف أنَّ التَّوحيدَ ثلاثة أقسام:

الأوَّل: توحيد الألوهيَّة والعبادة، وهو المَعنِيُّ هنا في هذا الكتاب «كَشْف الشُّبُهَات»؛ لَمَّا أُوردت عليه في هذا التَّوحيد.

الثَّاني: توحيد الرُّبوبيَّة؛ وهو: العِلم والإقرار بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المُدبِّر وحده.

. . . . . .

وتوحيد الرُّبوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة، وتوحيد الألوهيَّة مُتضمِّن توحيد الرُّبوبيَّة؛ فإنَّه لا يوجد شخص مُوحِّد في الألوهيَّة ولا يُقرُّ بتوحيد الرُّبوبيَّة.

الثَّالث: توحيد الأسماء والصِّفات؛ وهو: أَنْ يُوصَف اللَّه بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله مُحمَّد ﷺ في السُّنَّة، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

والقسم الأوَّل هو مدلول كلمة: «لا إله إلَّا اللَّه» مطابقة[١]، وإن كانت قد دلَّت على القِسْمَيْن الأخِيرَيْن بطريق التَّضمُّن[٢].

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «دلالة المطابقة هي: دلالة اللَّفظ على تمام ما وُضِع له؛ كدلالة لفظ (البيت) على معنى البيت (السَّقف والجدران).
ودلالة التَّضمُّن: كون الجزء في ضمن المعنى الموضوع له؛ كدلالة لفظ (البيت) على (السَّقف)؛ لأنَّ لفظ البيت عبارة عن (السَّقف والجدران).
ودلالة الالتزام: كون الخارج لازماً للمعنى الموضوع له؛ كدلالة لفظ (السَّقف) على (الحائط)؛ لأنَّ السَّقف غير موضوع للحائط حتى يكون مطابقاً له، ولا يتضمَّنه إذ ليس الحائط جزءاً من السَّقف كما كان السَّقف جزءاً من نفس البيت، وكما كان الحائط جزءاً من نفسه أيضاً، لكنَّه كالرَّفيق الملازم الخارج من ذات السَّقف الذي لا ينفكُّ السَّقف عنه. اهـ. روضة الناظر وشرحها لابن بدران (١/ ٤٦-٤٧)».

(٢) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فدلالتها على القسمين: باعتبار كونه المستحِقَّ أن يُعْبَد هو بما اتَّصف به من صفات الكمال من الرُّبوبيَّة، وسائر الصِّفات العليا».

. . . . . .

تعريف العبادة

و(**العِبَادَةُ**): مُشتقَّة من التَّعبُّد؛ وهو: التَّذلُّل والخضوع، يقال: طريق مُعبَّد؛ أي: مُذلَّلٌ قد وطئته الأقدام[١]، وسُمِّيت وظائف الشَّرع على المُكلَّفين: «عبادات»؛ لأنَّهم يفعلونها خاضعين ذليلين.

وفي الشَّرع لها تعاريف عند العلماء:

أحدها: ما عرَّفَها به شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «العبادة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحِبُّه اللَّه ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الظَّاهرة والباطنة»[٢].

ومنها: ما عرَّفها الفقهاء بقولهم: «العبادة: ما أُمِر به شرعاً، من غير اطِّرادٍ عُرفيٍّ، ولا اقتضاءٍ عقليٍّ»[٣].

ومنها: ما عرَّفها به ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله[٤]:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ العِبَادَةِ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ القُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ ... لَا بِالهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

(١) الصِّحاح (٢/ ٥٠٣)، لسان العرب (٣/ ٢٧٣).
(٢) العبوديَّة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة (ص٤٤).
(٣) الفروع (١/ ١٦٣)، التَّحبير شرح التَّحرير (٢/ ١٠٠١).
(٤) في نونيَّته - الكافية الشَّافية - (ص٣٥).

وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ.

التَّوحيد دينُ الرُّسُل

(وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ) عرَّفه بأنَّه دين جميع المُرْسَلِين من أوَّلهم إلى آخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النَّحل:٣٦]، وإن تَفرَّقت شرائعُهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة:٤٨]، وقال ﷺ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ[1]؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[2].

فدين جميع الرُّسُل واحد، والذي بُعثوا به هو عبادة اللَّه، والذي بُعثوا به هو الذي مِنْ أجله خُلِق الخلق، وهو الذي مِنْ أجله أُرسِلت الرُّسُل وأُنزِلَت الكتب.

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «إخوةٌ لعلَّات؛ هم: الإخوة لأب؛ فأصلُ دين الرُّسُل واحد، وشَرائِعُهُم مختلفة» النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٩١).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللَّه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم:١٦]، رقم (٣٤٤٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ . . . . . .

أوَّل الرُّسُل نُوحٌ أرسلَه اللَّه إلى قومه لَمَّا غَلَوْا في الصَّالحين

(فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ) نُوحٌ هو أوَّل رَسولٍ بُعِث إلى أهل الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الآية [النِّساء:١٦٣]، وكان بنو آدم قبله عشرة قرون، كلُّهم على دين الإسلام[1]، (أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ) المراد: لَمَّا زادوا في مَحبَّة الصَّالحين.

أوَّل ما حَدَثَ الشِّرك بسبب الغُلُوِّ

فأوَّل ما حدث الشِّرك في قومِ نُوحٍ بسبب الغُلُوِّ - وهو: مجاوزة الحَدِّ - في مَحبَّة الصَّالحين وتعظيمهم فوق ما شرعه اللَّه، عظَّموهم تعظيماً غير سائغ لهم؛ بأن عكفوا على قبورهم، ثمَّ صوَّروا تماثيلهم، وإن كانوا ما عبدوهم، وإنَّما عبدوا الصُّور؛ لأنَّهم لم يأمروهم بعبادتهم، وإن كانوا أيضاً لم يَعبدُوا الصُّور، إنَّما عَبَدُوا الشَّيطان في الحقيقة؛ لأنَّه الذي أمرهم.

الشِّرك بالصَّالحين أقرب إلى النُّفوس من الشِّرك بالأشجار والأحجار

وبه تَعرِف مَضَرَّة الغُلُوِّ في الصَّالحين، فإنَّه الهلاك كلُّ الهلاك، فإنَّ الشِّرك بهم أقرب إلى النُّفوس من الشِّرك بالأشجار

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: (ذُكِر لنا أنَّه كان بين آدم ونُوح عشرة قرون، كلُّهم على الهدى وعلى شريعةٍ من الحقِّ، ثمَّ اختلفوا بعد ذلك، فبعث اللَّه نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان أوَّل رسول إلى أهل الأرض) مختصر السِّيرة (ص٤٧)».

- وَدٍّ، وَسُوَاعٍ، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرٍ -.

والأحجار، وإذا وقع في القلوب صَعُب إخراجه منها؛ ولهذا أتت الشَّرِيعَة بقطع وسائله وذرائعه المُوصِلة إليه، والمُقَرِّبة منه.

غُلُوُّهم بالفعل بأمرين

وغُلُوُّهم هو أَعظمُ الغُلُوِّ؛ فإنَّ الغُلُوَّ إمَّا بالوسائل القوليَّة أو الفعليَّة، وهؤلاء غَلَوْا فعلاً:

- غَلَوْا بكثرة التَّردُّد إلى قبورهم، وهذا فيه مشروع[1]، لكن زادوا فيه وغَلَوْا بالعُكُوف، وهو نفسه عبادة ووسيلة إلى عبادة أربابها.

التَّصوير والعُكُوف من أعظم الوسائل المُوصِلَة إلى الشِّرك

- فلمَّا رأى منهم الشَّيطان ذلك زيَّن لهم تصويرهم.

وهاتان الذَّريعتان - التَّصوير والعُكُوف - من أعظم الوسائل المُوصِلَة إلى الشِّرك - كما تقدَّم، ويأتي -.

قصَّة وقوع الشِّرك في الصَّالحين من قوم نُوحٍ عليه السلام

ثمَّ ذَكَر المَغْلوَّ فيهم: **(وَدّاً، وَسُوَاعاً، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْراً)** هؤلاء الخمسة كانوا في قومهم أهل خيرٍ وعلمٍ وصلاحٍ، فماتوا في زمنٍ مُتقاربٍ، فأَسِفُوا عليهم، وفقدوا ما معهم من العِلْم، فزيَّن لهم الشَّيطان التَّردُّد إلى قبورهم واللُّبث عندها.

ثمَّ أوقعهم فيما هو أعظم من ذلك فقال: ألا أَدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه صار أهون عليكم من التَّردُّد إلى قبورهم واللُّبث عندها؟

---

(١) وهو زيارة القبور.

. . . . . .

فدلَّهم على تصوير تماثيلهم، وقال: إذا فعلتم ذلك كان أشوقَ لكم إلى الإكثار من العبادة، فكأنَّكم تُشاهِدُونَهم في مجالسهم وعلى حالاتهم - ولم يكن مفقوداً منهم إلَّا الأجسام فقط -؛ ففعلوا.

ثمَّ انقرض ذلك الجِيل، وأتى جِيلٌ آخر لم يدروا لِمَ صُوِّرت تلك الصُّور، فقال: إنَّ مَنْ كان قبلَكم كانوا يَسْتَسْقُون بهم المطر، يعني: يسألونهم ويزعمون أنَّهم يسألون اللَّه لهم؛ فوقع الشِّركُ في بني آدم بسبب الغُلُوِّ في الصَّالحين، فهو الباب الأعظم المُفْضِي إلى الشِّرك باللَّه.

ولَمَّا أَرسلَه اللَّهُ إلى قومه فدعاهم إلى عبادة اللَّه وحده ولم يُجِبْه إلَّا القليل، أَمره اللَّه بصناعة السَّفينة فصنعها، وأرسل اللَّهُ على أهل الأرض الطُّوفان، وأغرق جميع مَنْ عَصَوْه.

ورُوِي: أنَّ السَّيْلَ أَلْقَى هذه الأصنام في جُدَّة[1] لَمَّا أَغْرَق قومَ نُوحٍ، ثمَّ بعد مضيِّ سنين أتى إبليس إلى عَمْرو بن لُحَيٍّ الخُزاعيِّ[2] - وكان رئيس قومه تلك المُدَّة - فقال له: ائت

(١) جُدَّة - بالضَّمِّ والتَّشديد -: مدينةٌ على ساحل البَحْر الأحمر، غرب مَكَّة، تبعد عنها خمسة وستِّين (٦٥) كيلومتراً. معجم ما استعجم (٢/ ٣٧١)، معجم البلدان (٢/ ١١٤).

(٢) هو: عَمْرو بن عامر بن لُحَيٍّ الخُزاعيُّ، أوَّل مَن غيَّر التَّلْبِيَة وأدخَلَ فيها الشِّرك، =

. . . . . .

جُدَّة، تَجِدْ بها أصناماً مُعدَّة، فَرِّقها في العرب، وادعُ إليها تُجَب، فإنَّك إذا فعلت ذلك لم يختلف عليك منهم اثنان؛ ففعل - لعنه اللَّه - فعُبِدَت[1].

= وأوَّل مَن سَيَّب السَّوائب، قال عنه النَّبيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ؛ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ». صحيح البخاريِّ (٦/ ٥٤)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٩١)، البداية والنِّهاية (٣/ ١٨٩).

(١) ذكره ابن الكلبيِّ في كتاب الأصنام (ص٥١-٥٤).

وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ، . . . . . .

آخر الرُّسُل مُحمَّد ﷺ هو الذي كَسَّر صُوَر هؤلاء الصَّالحين

(وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ) وهو خَاتَم النَّبيِّين، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال ﷺ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[(١)]، (وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ) المعبودة على عهد نُوحٍ عليه السلام - صورَ وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرٍ -.

إذا وقعَ الشِّركُ في القلب صَعُبَ زوالُه

فانظر إلى آثار الشِّرك وعُروقِه إذا علقت متى تزول وتنمحي؟!

فإنَّ نُوحاً عليه السلام مع كمال بيانِه ونُصحِه، ودعوتِه إيَّاهم ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، أخذ ألف سنةٍ إلَّا خمسين عاماً ما أجابه إلَّا قليل، ومع ذلك أغرق اللَّه أهل الأرض كلَّهم من أجله، ومع ذلك تلك الأصنام الخمسة ما زالت حتى بُعِث مُحمَّد ﷺ وكسَّرها[(٢)]؛ فالشِّركُ إذا وقع عظيمٌ رفعُه وشديدٌ.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٢٣٩٥)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) قال الوالد رحمه الله: «قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]: (عَلَى الإِسْلَامِ كُلُّهُمْ) رواه أبو يعلى الموصليُّ في مسنده، رقم (٢٦٠٦).

وكان أوَّل ما كادهم به الشَّيطان هو تعظيم الصَّالحين، وذكر اللَّه ذلك في كتابه في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (كَانَ هَؤُلَاءِ قَوْماً صَالِحِينَ، فَلَمَّا مَاتُوا فِي شَهْرٍ جَزِعَ عَلَيْهِمْ أَقَارِبُهُمْ فَصَوَّرُوا صُوَرَهُمْ). =

أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيراً، . . . . . .

فيُفيدُكَ عِظَم الشِّرك؛ إذا خَالَط القلوب صَعُب زواله، كيف أنَّ أصناماً عُبِدت على وقت أوَّل الرُّسُل وما كسَّرَها إلَّا آخرهم؟!

أَرسلَ اللَّه مُحمَّداً ﷺ إلى أُناسٍ يَتعبَّدون ولكنَّهم يتَّخذُون وسائطَ بينهم وبين اللَّه

(أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أُنَاسٍ) قومه قريش ومَنْ يَلتحِق بهم، وإلَّا فهو بُعِث إلى النَّاس كافَّة - أحمرِهم وأسودِهم - ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

(يَتَعَبَّدُونَ) بالاعتكاف، وبرِّ الوالدين، **(وَيَحُجُّونَ)** ويَعتَمرُون، **(وَيَتَصَدَّقُونَ)** ويُحسِنُون إلى الضُّعفاء والأيتام والمساكين، **(وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيراً)** ويَصِلُون الرَّحِم، ويُكرِمُون الضَّيف[1]؛ بل

= وفي غير حديثه قال أصحابهم: (لو صوَّرْناهم كان أَشْوَق لنا إلى العبادة، قال: فكان الرَّجُل يأتي أخاه وابن عمِّه فيُعظِّمه حتى ذهب ذلك القرن، ثمَّ جاء قرن فعَظَّمُوهم أشدَّ من الأوَّل، ثمَّ جاء القرن الثَّالث، فقالوا: ما عظَّم أوَّلونا هؤلاء إلَّا وهم يرجون شفاعتهم عند اللَّه فعبدوهم! فلمَّا بعث اللَّه إليهم نُوحاً، وغَرِق مَن غَرِق، أهبط الماءُ هذه الأصنام من أرضٍ إلى أرضٍ حتى قذفها إلى أرض جُدَّة، فلمَّا نَضَبَ الماء، بقيت على الشَّطِّ؛ فسَفَتِ الرِّيح عليها حتى وارتها، وكان عَمْرُو بن لُحَيٍّ كاهناً وله رَئِيٌّ من الجنِّ، فأتاه؛ فقال: عجِّل السَّيْر والظَّعن من تهامة، بالسَّعْد والسَّلامة، ائْتِ جُدَّة، تجد أصناماً مُعدَّة، فأورِدْها تهامة ولا تَهب، وادعُ العَرَب إلى عبادتها تُجَب، فأتى جُدَّة فاستثارها، ثمَّ حَمَلها حتى أوردها تهامة، وحضر الحَجَّ ودعا إلى عبادتها) مختصر السِّيرة (ص٤٨)».

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيهم بقايا من دينِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ مثل تعظيم البيت والطَّواف به، =

وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ المَخْلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ - يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ - مِثْلَ المَلَائِكَةِ، وَعِيسَى، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

يُقِرُّون ويَعرِفُون أنَّ اللَّهَ وحده هو المُتفرِّد بالخلق والتَّدبير[1]، ويُخلِصون في الشِّدَّة - فإذا رَأيتَ أحداً يَتعبَّد فلا تَغترَّ به؛ فإنَّ قريشاً يَتعبَّدون -.

(وَلَكِنَّهُمْ) فيهم آفة؛ وهي أنَّهم **(يَجْعَلُونَ بَعْضَ المَخْلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ)** هذه هي آفَتُهم؛ وهي اتِّخاذُهم وسائطَ بينهم وبين اللَّه؛ يُوسِّطون بعض الخلق، وأنَّهم أقربُ منهم إلى اللَّه وسيلة، فشِركُهم في الألوهيَّة ليس أكثر من أنَّهم يقصدون مُعظَّماً يوسِّطونه بينهم وبين اللَّه في قضاء حوائجهم، **(يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ)**، فهم يرون أنَّه قُرْبٌ أن يَعبدُوا مع اللَّه غيره؛ فصار اللَّه هو المقصود الأوَّل، **(وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ؛ مِثْلَ المَلَائِكَةِ، وَعِيسَى، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ)** فهذا أَفسدَ جميع ما هم عليه من هذه العبادات؛ إذ جعلوا للَّه شريكاً

= والحجِّ والعُمْرَة، والوقوف بعَرَفَة ومُزْدَلِفَة، وإهداء البُدْن. مختصر السِّيرة (ص٧١)».

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما سيأتي في الآيات» (ص٢٠٤).

. . . . . .

في العبادة، وصاروا بذلك كُفَّاراً مُرتدِّين حلال الدَّم والمال، فهذه هي عقيدة المُشْرِكِين الأوَّلين، وهذا دينُهم.

أهمِّيَّة معرفة حقيقة دين المُشْرِكِين قبل معرفة ما جاء به النَّبيُّ ﷺ

فاعْرِفْ حقيقةَ دين المُشْرِكِين - عقيدة قريش -، قبل معرفة ما جاء به النَّبيُّ ﷺ، واعْرِفْ تفاصيلها، ويأتي بعضها وبعض تفاصيلها بأدلَّة معروفة.

فأهمُّ شيءٍ معرفة دين المُرْسَلِين فيُتَّبع، ومعرفة دين المُشْرِكِين والشَّياطين فيُجتَنَب؛ فإنَّ مَنْ لا يعرف الجاهليَّة لا يعرف الإسلام؛ كما جاء عن عمر رضي الله عنه: «إِنَّمَا يُنْقَضُ الإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الجَاهِلِيَّةَ»[1]، وللشَّيخ رحمه الله مُؤلَّفٌ في «مسائل الجاهليَّة».

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٥)، رقم (٨٣١٨)، ولفظه: «قَدْ عَلِمْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ مَتَى تَهْلِكُ العَرَبُ: إِذَا وَلِيَ أَمْرَهُمْ مَنْ لَمْ يَصْحَبِ الرَّسُولَ ﷺ، وَلَمْ يُعَالِجْ أَمْرَ الجَاهِلِيَّةِ»، واللَّفظ الذي ساقه سماحة الشَّيخ ذكره شيخ الإسلام ابن تيميَّة في مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١).

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبَ وَالِاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ، لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ؛ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا.

دين مُحمَّدٍ ﷺ

(فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً ﷺ) وهم على تلك الحالة (يُجَدِّدُ لَهُمْ) ما انْدَرَس[1] واخْلَوْلَق[2] من (دِينِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) فإنَّ قريشاً ومَنْ يليهم ذرِّيَّتُه وورثتُه، وكانوا على هذا الدِّين الحنيف، ولكنَّه انْدَرَس واخْلَوْلَق فيهم بسبب عَمْرِو بن لُحَيٍّ بعد أن استخرج الأصنام وفرَّقها في العرب، وغيَّر عليهم التَّلبية، فتغيَّر بسبب ذلك[3].

(وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبَ وَالِاعْتِقَادَ) الذي يُباشِرون به الآلهة (مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ) خالصُ حقِّ اللَّه من العبادة (لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ؛ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا)

---

(١) أي: انْمَحَى. لسان العرب (٦/ ٧٩).

(٢) أي: ذهبت مَعَالِمُه. الصِّحاح (٤/ ١٤٧٢).

(٣) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول اللَّه ﷺ: (رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ) رواه البخاريُّ، كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]، رقم (٤٦٢٣).

وفي لفظٍ عن ابن إسحاق: (فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَنَصَبَ الأَوْثَانَ - إلى أَنْ قال: - وَكَانَتْ نِزَارٌ تَقُولُ فِي إِهْلَالِهَا: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكاً هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ) مختصر السِّيرة (ص٤٨)».

وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ.

وإذا كان لا يصلح لأهل الدِّين والفضل، فمَنْ دُونهم بطريق الأَوْلى، فلا يُعتَقد ولا يُطلَب ولا يُقصَد إلَّا اللَّه تعالى، ولا يُوسَّط من الخَلْق أحدٌ بينه وبينهم، ولا يُتقَرَّب به، ولا يَصلُح ولا يدنو مِنْ أن يَصلُح لبشرٍ من حقِّ ربِّ العالمين شيء.

المُشْرِكُون لم يُنازِعُوا في توحيد الرُّبوبيَّة، وإنَّما نازعوا في توحيد العبادة

(وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ) فهم مُقِرُّون مُذعِنُون بتوحيدِ الرُّبوبيَّة، لم يُنازِعوا فيه، ولا جاءهم الخَلَلُ من ذلك؛ إنَّما نازعوا في توحيد العبادة، وجاءهم الخَلَل بجعل الوسائط شركاء مع اللَّه في العبادة؛ زعماً منهم أنَّهم أقرب منهم إلى اللَّه وسيلة، وهذا هو شرك قريش الذي صاروا به كُفَّاراً مُرتدِّين.

حقيقة دين قريش

فحقيقةُ دينِ قريشٍ قبل مَبْعَثِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهم يتَّخذُون شُفعاءَ،

. . . . . .

يدعونهم، ويذبحون لهم، ويَهْتِفُون بأسمائهم، يقولون: لسنا أهلاً لسؤالِ اللَّه؛ فيتَّخذون وسائط أقرب منهم إلى اللَّه، ليشفعوا لهم ويسألوا اللَّه لهم! فأخبرهم النَّبيُّ ﷺ أنَّ هذا مَحْضُ حقِّ اللَّه، لا يصلح منه شيءٌ لغير اللَّه؛ لا لِمَلَكٍ مُقرَّبٍ، ولا لِنبيٍّ مُرْسَلٍ؛ فضلاً عن غيرهما.

مُشْرِكُو زمانِنا أَشرُّ وأَعظمُ من مُشْرِكي قريش

وبهذا تعرف دين قريشٍ ودين مُحمَّدٍ ﷺ، وبه تعرف أنَّ مُشْرِكِي هذه الأزمان ما عَدَوهُم[1]؛ بل هذا شركهم، فإنَّهم مُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة، ما نازعوا فيه؛ بل مُشْرِكُو زمانِنا أَشرُّ وأَعظمُ، فإنَّ أولئكَ يُخلِصُون الرَّغبات والرَّهبات للَّه في الشَّدائد، بخلاف أهل زماننا.

(١) أي: لم يختلف شِرْكُهم عن شرك كُفَّار قريش.

فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ - الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَشْهَدُونَ بِهَذَا؛ فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، **وَقَوْلَهُ تَعَالَى:** ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞

الأدلَّة على أنَّ المُشْرِكين مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة

(فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ - الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَشْهَدُونَ بِهَذَا:

فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ سيجيبونك إذا سألتهم بقولهم: إنَّ الذي يفعل ذلك هو اللَّه؛ (﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]) الشِّركَ به في ألوهيَّتِه وعبادتِه؟!

(وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُل﴾) يا مُحمَّد: (﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾) المَالِك لها هو اللَّه وحده، (﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾) وتستدلُّون بها على أنَّه المُستحِقُّ أَنْ يُعبَد إذا كانت ملكه، وليس لهم فيها شِرْكة، فتفردونه بالعبادة، وتتركون مَنْ سواه من العباد الذين ليس لهم من مِلكٍ في الأرض ومَنْ فيها؟!

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾، **وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.**

(﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾) يعني: وحده؛ فإنَّهم ما أشركوا في الرُّبوبيَّة، إنَّما أشركوا في الألوهيَّة؛ بجعلهم الوسائط، (﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾) فإنَّه إذا كان اللَّه هو المُتفرِّد بالرُّبوبيَّة؛ كان فيه أعظَم وأوضَح دليل على تفرُّده بالأُلوهيَّة.

(﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾) مُلكٌ له؛ فلا يُسوَّى ولا يُجعَل مَنْ لا شِرْكة له في شيء شريكاً لمَن هو مالك كلِّ شيء، (﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]) أي: كيف تُخدَعون وتُصرَفون عن طاعته وتوحيده مع اعترافكم وعلمكم بأنَّه وحده الخالق المُتصرِّف؟!

(وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ) الدَّالَّة على إقرار المُشْرِكين بالرُّبوبيَّة، كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

. . . . . .

اللَّهُ هو الخَالِق وحده فيَقْتَضِي أن يَكونَ هو المَعبُود وَحدَه

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، فإذا كان اللَّه تعالى هو المُتفرِّد بخَلْق السَّموات والأرض - لم يُشْرِكْ فيه مَلَكاً مقرَّباً ولا نبيّاً مُرسَلاً -؛ فكونه هو الخالق وحده يَقتَضي أن يكون هو المَعبُود وحده؛ فإنَّه من أَبعدِ شيء أن يكون المخلوق مُساوِياً للخالق، أو مستحقّاً لِمَا يستحقُّه الخالق.

وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزُّخرف: ٨٧]؛ فهو الخالق وحده، وهو المَعبُود وحده.

توحيد الرُّبوبيَّة هو الأَصْل وهو الدَّليل على توحيد الألوهيَّة

فهذا ممَّا احتجَّ به تعالى عليهم، احتجَّ عليهم بما أقرُّوا به من ربوبيَّته على ما جحدوه من توحيد العبادة، فإنَّ توحيد الرُّبوبيَّة هو الأصل، وهو الدَّليل على توحيد الألوهيَّة.

إقرارُ المُشْرِكين بالرُّبوبيَّة ناقص

فإقرارُهم بالرُّبوبيَّة ناقص، لو أنَّه تامٌّ لَمَا تخلَّف عنه إفراده بالعبادة - لو تمَّمُوا أنَّه الخالق وحده، الرَّازق وحده، لَمَا جعلوا له ندّاً من خلقه -، لكنَّه مع ذلك فيه ضَعْف، لو كان حقيقة لَعَمِلُوا بمقتضاه.

فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ؛ هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الِاعْتِقَادَ»، كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو . . . . . .

ستَّة أُمُورٍ إذا عَرَفْتَها عَرَفْتَ التَّوحيد الذي دَعَتْ إليه الرُّسُل

(فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا) إذا تحقَّقتَ أنَّ المُشْرِكين مُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة، ولم ينازعوا فيه، دليلُ ذلك الآيات المُتقدِّم ذِكْرُها.

الأمر الأوَّل: أنَّ المشركين مُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة

(وَأَنَّهُ) مع ذلك (لَمْ يُدْخِلْهُمْ) إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة (فِي التَّوْحِيدِ) في الإسلام (الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) لم يكونوا مُوحِّدين؛ بل كانوا مُشْرِكين، فليس توحيد الرُّبوبيَّة فقط كافياً في الدُّخول في الإسلام، بل لا بدَّ من ثَمَرَتِه، وهو توحيد الألوهيَّة.

الأمر الثَّاني: أنَّ إقرارَهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يُدخِلْهُم في الإسلام

الأمر الثَّالث: أنَّ التَّوحيدَ الذي جَحَدُوه هو: توحيد العبادة

(وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ) الذي أشركوا فيه ولم يُخلِصوا فيه، وصاروا بجحده كُفَّاراً حلال الدَّم والمال (هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الِاعْتِقَادَ») إذا ادَّعوا في شخص الاعتقاد، يعني: الادِّعاء فيه الألوهيَّة، فيقولون: فلان فيه عقيدة، يعني: يصلح أن يُعتَقد فيه أنَّه ينفع، (كَمَا كَانُوا) يعني: المُشْرِكِينَ الأوَّلِينَ (يَدْعُونَ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، ثُمَّ مِنْهُمْ) يعني: من الأوَّلِين في بعض الأحيان (مَنْ يَدْعُو

المَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحاً - مِثْلَ اللَّاتِ -، أَوْ نَبِيّاً - مِثْلَ عِيسَى -.

وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشِّرْكِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ العِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ . . . . . .

المَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ) ليشفعوا له، **(أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحاً - مِثْلَ اللَّاتِ -، أَوْ نَبِيّاً - مِثْلَ عِيسَى -)**، هذا هو حَقيقةُ شِرْكِهِم فقط.

فحَقيقةُ دِينِهم أمران:

الأوَّل: أنَّهم يَزعُمون أنَّ هذا شيء يُحِبُّه اللَّه.

الثَّاني: أنَّها تقرِّبُهم إلى اللَّه زُلْفى؛ فتقرَّبوا إلى اللَّه بما يُبعِدُهُم منه.

الأمر الرَّابع: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قاتل المُشْركين على توحيد الألوهيَّة ودَعَاهُم إلى إخلاص العبادة للَّه وَحدَه

(وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشِّرْكِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ العِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ) وأن لا يُدعَى أحد سِواه، لا مَلَك مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ.

الأدلَّة على ذلك

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾) قيل: المراد بالمساجد: أعضاء السُّجود، وقيل: المراد بها: المَبنيَّة للصَّلوات[1]، والكلُّ

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٤٤).

فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، **وَكَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾.

حقٌّ؛ فالمساجد بُنِيَت ليُوَحَّد اللَّه فيها، ولا يُعبَد فيها سواه، والأعضاء خُلِقَت ليُعبَد بها ولا يُعبَد بها سواه، (﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾) هذا عمومٌ داخلٌ فيه جميع المخاطَبين من الأنبياء وسائر المُكلَّفين، (﴿أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]) نكرة؛ لا حَجَراً ولا شَجَراً، ولا نبيّاً ولا وليّاً.

(**وَكَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾) فهو تعالى الحقُّ، ودَعوتُه وحده هي الحقُّ، فما سواه باطل، ودعوتهم باطلة.

وهو المستجيبُ لداعيه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، (﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾) وهذه من صيغ العموم، تشمل الملائكة والأنبياء والأولياء والصَّالحين، (﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرَّعد:١٤]) «شَيْءٍ» نكرة، فشَمِلَتْ أيَّ نوعٍ وجِنسٍ، فعمَّت المَدْعُوَّ وعمَّت المطلوب، فأيُّ مَدْعُوٍّ لا يستجيب؛ من أيِّ شيءٍ كان، وأيُّ مطلوب لا يحصل؛ من أيِّ شيءٍ كان؛ لا يملكون شيئاً وإن قلَّ، ولا يستجيبون لهم بشيء؛ فإنَّهم ما بين ميِّت، وغائب، وحاضر لا يَقْدِر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا

وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ؛ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالِاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ كُلُّهَا لِلَّهِ.

ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ [فاطر:١٣-١٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:١٩٤]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]؛ فالمُشرِكُ أضلُّ النَّاسِ وأغبنُهم صَفْقةً في الدُّنيا والآخِرَة، ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣]، ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرَّعد:١٤]؛ فدعاؤُهم كما أنَّه شركٌ، فهو ذاهبٌ ضَيَاعاً وخَسَاراً، ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦]، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ الآية [الزُّمر:٣٨].

الأمر الخامس: أنَّ رَسولَ اللَّه ﷺ قَاتَلَ المُشْرِكِين لِتَكونَ جَمِيع أنواع العبادة للَّه

(وَتَحَقَّقْتَ) ممَّا تقدَّم **(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ؛ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالِاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ كُلُّهَا لِلَّهِ)**.

وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلَائِكَةَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ أَوِ الأَوْلِيَاءَ - يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ - هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَى عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ المُشْرِكُونَ.

الأمر السَّادس: أنَّ قَصْدَهم الأولياء يُريدُون شَفاعَتهم هو الذي أحلَّ دِماءَهم وأَموالَهم

(وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلَائِكَةَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ أَوِ الأَوْلِيَاءَ - يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ - هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ).

إذا عَرَفْتَ تلك الأمور السِّتَّة عَرَفْتَ التَّوحيد الذي دَعَتْ إليه الرُّسُل

فإذا عَرَفْتَ هذه الأمور، وتَأَمَّلتَ ما مرَّ من قوله: (فَإِذَا تَحَقَّقْتَ) وما عُطِف عليها؛ (عَرَفْتَ حِينَئِذٍ) حقيقةَ (التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَى عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ المُشْرِكُونَ) وأنَّه توحيد الألوهيَّة والعبادة.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ فَإِنَّ «الإِلَهَ» عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ؛ سَوَاءٌ كَانَ مَلَكاً، أَوْ نَبِيّاً، أَوْ وَلِيّاً، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْراً، أَوْ جِنِّيّاً،

توحيد الأُلوهيَّة هو مدلول كلمة «لا إله إلَّا اللَّه» مُطابَقَة

(وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») هو مدلول هذه الكلمة مطابقة[1]، وهي التي وُضِعَتْ له؛ فإنَّ معناها الذي وُضِعَتْ له هو: إفرادُ اللَّه بالعبادة؛ يعني: أن يكون الإلهُ المعبودُ هو اللَّه وحده دون كلِّ ما سواه.

واشتملت هذه الكلمة على رُكْنَيْن: النَّفي والإثبات؛ نفي الأُلوهيَّة عن كلِّ ما سوى اللَّه، وإثباتها للَّه وحده، ومعناها: لا مَعبودَ حقٌّ إلَّا اللَّه وحده؛ كلُّ معبود سوى اللَّه فعبادتُه وتألُّهه أَبطلُ الباطل، وأَضلُّ الضَّلال.

معنى الإله عند قُريشٍ وغيرهم: الذي يُقصَد لطلب الشَّفاعة والقُرْبى إلى اللَّه

(فَإِنَّ «الإِلَهَ» عِنْدَهُمْ) أي: عند أهل اللِّسان من قريشٍ وغيرهم، الذين بُعِثَ فيهم النَّبيُّ ﷺ وخاطبهم بقوله: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا»[2] (هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ) بالذَّبح والنَّذر والدُّعاء، ونحوِ ذلك، (لِأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ) وهي طلب الشَّفاعة، والتَّقريب إلى اللَّه؛ (سَوَاءٌ كَانَ مَلَكاً، أَوْ نَبِيّاً، أَوْ وَلِيّاً، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْراً، أَوْ جِنِّيّاً).

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتقدَّم تعريف دلالة المُطَابَقَة... إلخ» (ص١٩٠).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٩٠٠٤)، من حديث ربيعة بن عِبَادٍ الدِّيليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ «الإِلَهَ» هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ «الإِلَهِ»: مَا يَعْنِي المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ «السَّيِّدِ»، . . . . . .

ليس معنى الإله عند قريش: الخالق الرَّازق المُدَبِّر

(لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ «الإِلَهَ») - إذا قالوا: «إله» - (هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ) أنَّه يخلق ويرزق حقيقة، لا؛ هذا يُكذِّبه القرآن؛ - بل جاء القرآن بأنَّهم يقولون: يصلح وينفع إذا اعتُقِد فيه، وأنَّه يتصرَّف بالشَّفاعة عند ربِّ الجميع -، (فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ) كما تقدَّم ذلك بأدلَّته من الكتاب[1]، كقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [يونس: ٣١]، ونَحوِها.

وإنَّما يَعْنُونَ بـ«الإله»: مَن يَصْلُح لِأَنْ يُوَسَّط بين أحدٍ من الخَلْق وبين اللَّه

(وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ «الإِلَهِ»: مَا يَعْنِي المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ: «السَّيِّدِ») إذا قالوا: «هذا سَيِّدٌ»، يعني: «إِلَه»، وإن لم يستشعروا هذا اللَّفظ، لكن المعنى: أنَّه يَصلُح لِأَن يُوَسَّط بين أحدٍ من الخَلْق وبين اللَّه، وأنَّ الاعتقادَ فيه ينفع إذا تُشُبِّث به وطُلِبَ منه أن يطلب لهم من اللَّه حوائجهم.

ويقولون: «هذا وَلِيٌّ»، و«هذا معتقَد لنا»؛ يَعْنُون: أنَّ المُعتقَدَ فيه يَنفعُهم ويُجِيبُهم، وأنَّه يَصلحُ للالتجاء إليه، فيتقرَّبون إليه ليُقَرِّبهم إلى اللَّه؛ يعني: أنَّهم وسائط.

---

(١) (ص٢٠٤).

فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَالمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ: مَعْنَاهَا؛ لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالتَّعَلُّقِ، . . . . . .

أَتاهُمُ النَّبيُّ ﷺ يدعوهم إلى كلمة التَّوحيد

(فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ) لم يَكْتَفِ بذكر التَّوحيد؛ بل صرَّح لك بكلمتِه (وَهِيَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») التي فيها إبطال جميع ما يتعلَّقون به على غير اللَّه بشيءٍ من أنواع العبادة المفرِدة ربَّ العالمين بالألوهيَّة، استحقاقاً وعملاً وفهماً لذلك؛ فالذي أَبْطَلتْ هو: التَّعلُّق على غير اللَّه، وأَثبتَت جميعه للَّه وحده.

المراد من كلمة التَّوحيد: معناها لا مُجرَّد لفظِها

(وَالمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ) وهي كلمة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (مَعْنَاهَا؛ لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا) فإنَّه لا يكفي فيما أريد بها، وإن كان لا بدَّ من النُّطق بها عند إسلام العبد، لكن هي مقصودة لغيرها، وهو العمل بما دلَّت عليه، فهي من الوسائل لا من الغايات، فلا يكفي اللَّفظ بدون المعنى، ولا يكفي المعنى بدون اللَّفظ.

الكُفَّار يَعلَمُون أنَّ مراد النَّبيِّ ﷺ من كلمة التَّوحيد ثلاثة أمور

(وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ هُوَ):

- (إِفْرَادُ اللَّهِ بِالتَّعَلُّقِ).

وَالكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ وَالبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾».

- **(وَالكُفْرُ بِـ)** جميع **(مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ)**؛ كَهُبَلَ ونَحوِه.

- **(وَالبَرَاءَةُ مِنْهُ)** وأن يتبرَّأ منه، وهذا فهمٌ صحيحٌ.

الدَّليل على ذلك

ودليلُ ذلك وبرهانُه: **(فَإِنَّهُ)** ﷺ **(لَمَّا قَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**؛ فرُّوا واستنكروا من إفراد اللَّه بالعبادة، و**(قَالُوا:** ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾**)** أي: أَجَعَل المعبودات معبوداً واحداً؛ فهذا يدلُّ على أنَّهم عرفوا معناها، **(**﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]**»)** وقالوا فيما حكاه اللَّهُ عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٦]، فالتَّوحيد هو الحقُّ، وهو النُّور، لكن عقولهم فسدت، وأفسد مِزاجَها[1] الشِّركُ؛ لأنَّها نشأت عليه وأَلِفَته، فصارت لا تستنكره، ولم تنشأ على التَّوحيد فاستنكرته، فصاروا كالمريض الذي إذا أُتي بالشَّيء الحلو قال: هذا مُرٌّ؛ لفساد مِزاجِه.

الشِّرك يُفسِد العقول

---

(١) مِزاج البَدَن: ما رُكِّب عليه من الطَّبائع. الصِّحاح (١/ ٣٤١).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَّالُ الكُفَّارِ! بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ المَعَانِي، . . . .

العَجَبُ ممَّنْ يدَّعي الإسلام وهو لا يَعرف مِن تَفسيرَ كَلِمَة التَّوحيد الذي عَرَفه جُهَّال الكُفَّار

(فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ) كأبي جَهلٍ - فِرعونِ هذه الأُمَّة - وأَضْرابِه (يَعْرِفُونَ ذَلِكَ) يعني: معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» كما تقدَّم؛ (فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلَامَ) بل يدَّعي العلم؛ بل يدَّعي الإمامةَ في الدِّين (وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ) التي هي أَساسُ المِلَّة (مَا عَرَفَهُ) منها (جُهَّالُ الكُفَّارِ!)؛ فإنَّ هذا ادِّعاؤُه الإسلام فضلاً عن العلم، فضلاً عن الإمامة، ويخفى عليه ذلك الذي بان وظهر لجُهَّال الكُفَّار؛ هذا في الحقيقة من أعجب العجب؛ بل من أعظم الجهل، وأفحش الخطأ.

يَظُنُّ الجاهل أنَّ تَفسيرَ كَلِمَة التَّوحيد هو: التَّلفُّظ بحُروفِها من غير اعتقادِ لمعناها

(بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ المَعَانِي) فإنَّ أبا جهلٍ وأضرابَه لو يعلمون أنَّ هذا هو المراد لَمَا تَلَعْثَمُوا في قولِها ولا نازعوا، وكذلك لو فهموا أنَّ المراد الرُّبوبيَّة لَسارَعوا إلى ذلك ولم يُنازِعُوا، لكن علموا أنَّ معناها: أن يكون الإله المعبود هو اللَّه وحده دون كلِّ ما سواه، والتَّبرِّي ممَّا سواه، وأنَّها تُبطِل جميع ما هم عليه من دين آبائهم وأجدادهم، وأنَّه لا بدَّ من اعتقاد ذلك ووجودِه في العمل.

مَن لم يَعتقِد كلمة التَّوحيد أو لم يَعْمَل بها لَمْ تَنْفَعْه

فمَنْ لم يعتقدها، وإنْ قالَها وعمل؛ لم تنفعه، ومَن اعتقدها

وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: «لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا اللَّهُ».

فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

ولم يعمل بها؛ لم تنفعه كذلك؛ إذ مَنْ أيقن جَنانه[1] الإيقان الكُلِّيَّ صدَّقَ ظاهرُه باطِنَه.

الحَاذِق ممَّن يدَّعي الإسلام يَظُنُّ أنَّ معنى كلمة التَّوحيد هو: توحيد الرُّبوبيَّة

(وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ) الذي يرى أنَّ المُرادَ شيء آخر غير اللَّفظ - يُخطِئ المعنى المراد ولا يَعرِفه -؛ **(يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: «لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا اللَّهُ»)** يعني: أنَّها دلَّت على توحيد الرُّبوبيَّة، ومعلومٌ أنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» دلَّت على توحيد الرُّبوبيَّة بالتَّضمُّن[2]، ولكن معناها الذي وُضِعَتْ له مطابقة: أن يكون المعبود هو اللَّه وحده دون كلِّ مَنْ سواه.

لا خَيْر في رجل جُهَّال الكُفَّار أَعلَم منه بمعنى كلمة التَّوحيد

(فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») هذا رجلُ سُوءٍ لا خير فيه، هذا أَقلُّ ما يُقال فيه، فالمُصنِّف اقتصر واقتصد على أدنى ما يُقال فيه، وإلَّا فهو يستحق أعظم؛ بل لا خير فيه بحال؛ إذا كان أبو جهلٍ - فرعونُ هذه الأمَّة - وأضرابُه أعلمَ منه بمعناها، فلا جهلَ فوق جَهْلِ مَنْ جَهِلَ معنى هذه الكلمة؛ التي هي أصل دين الإسلام وقاعدته وأساسه.

---

(١) الجَنانُ: القلب. الصِّحاح (٥/ ٢٠٩٤).

(٢) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما تقدَّم معناه» (ص١٩٠).

إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ، وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الآيَةَ، وَعَرَفْتَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمُ - الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِيناً سِوَاهُ -،

إذا عَرَفْتَ أربعة أُمُور أفادَك فائدتَيْن

(إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ) يعني: معرفةً حقيقيَّةً واصلةً إلى سُوَيْدَاء القلب[1]، ليست مُجرَّد دعوى باللِّسان؛ فإنَّ مجرَّدَ دعوى اللِّسان من غير معرفة القلب ليست معرفة.

الأوَّل: إذا عَرَفْتَ معرفة حقيقيَّة دين المُرْسَلِين ودين المُشْرِكين

(وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ) وهذا من عطف العامِّ على الخاصِّ، وإلَّا فما تقدَّم وافٍ في بيان حقيقة دين المُرْسَلِين وحقيقة دين المُشْرِكين، (الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الآيَةَ [النساء:٤٨])، وتَصوَّرتَه ما هو، وقد قدَّم لك المُصنِّف ما يُعرِّفك به فيما قَرَّره من معرفة التَّوحيد؛ فإنَّ بالتَّوحيد يتبيَّن ضدُّه - الشِّرك -.

الثَّاني: إذا عَرَفْتَ الشِّرْك

الثَّالث: إذا عَرَفْتَ التَّوحيد

(وَعَرَفْتَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمُ - الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِيناً سِوَاهُ -) يعني: الذي هو التَّوحيد.

وتقدَّم هذان الأمران مُقَرَّرَيْن لك في صدر هذا الكتاب: دين

(١) سُوَيْدَاء القلب: عَلَقة سوداء إذا شُقَّ القلب بَدَت، كأنَّها قطعة كبد. الدَّلائل في غريب الحديث (٣/ ١٠٥٤).

وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهَذَا؛ أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ:

الأُولَى: الفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ؛ . . . . . .

المُرْسَلِين، ودين المُشْرِكِين[1].

الرَّابع: إذا عَرَفْتَ جَهْلَ غالب النَّاس بالتَّوحيد والشِّرْك

(وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهَذَا) بالتَّوحيد والشِّرك؛ فإنَّ أكثرَهم ما عَرف دين اللَّه الذي بعث به الرُّسُل؛ بل أكثر أهل البسيطة[2] ما عرفوا الفَرْق بين هذا وهذا؛ بل عادَوْا أهل التَّوحيد وعابوهم وحاربوهم، واتَّبعوا دين المُشْرِكِين، كلُّه بسبب عدم الفرق بين هذا وهذا.

إذا عَرَفْتَ هذه الأمور الأربعة معرفةَ قلبٍ؛ (أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ) عظيمتَيْن:

الفائدة الأُولَى: الفَرَح بفَضْل اللَّه وبرَحْمَته بمَعرفةِ دينِ الرُّسُل واتِّباعِه ومعرفةِ دين المُشْرِكِين واجتنابِه

(الأُولَى: الفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) وجوب الفرح بمعرفة دين المُرْسَلِين، واعتقاده واتِّباعه، ومعرفة دين المُشْرِكِين، واجتنابه والكفر به.

تَعْظُم النِّعْمَة لأنَّ الأكثرَ صَارُوا من أهل الجَهْل بدين المُرْسَلِين

وتعْظُم النِّعْمَة أنَّ الأكثرَ صاروا من أهل الجهل به؛ فإنَّ النِّعْمَةَ تَزدادُ إذا كانت مُختصَّة بالقليل دون الكثير، فلو كان

---

(١) (ص١٨٨) وما بعدها.

(٢) أي: أكثر أهل الأرض. لسان العرب (٧/ ٢٥٩).

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وَأَفَادَكَ أَيْضاً: الخَوْفَ العَظِيمَ؛ . . . . . .

النَّاسُ كلُّهم اهتدوا لها وكُنتَ مِن عُرْضِهم[1]، لكانت نِعْمَتُه نِعْمَةً كبرى، فكيف وقد ضَلَّ عنها أكثر النَّاس؟!

الفرح بالدِّين: فَرَح خُضُوع وخُشُوع واسْتِكَانة

(**كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾**) الفرحُ مذمومٌ كما في آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]، لكنَّه في الدِّين ممدوحٌ ومحبوبٌ وواجبٌ؛ كما دلَّت عليه هذه الآية، فرحُ خضوعٍ وخشوعٍ واستكانةٍ، لا فرح أَشَرٍ[2] ولا بَطَرٍ[3].

(﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨]) ممَّا يفرح النَّاس به وهو الدُّنيا؛ لو اجتمعت لأحد - مع أنَّها لا تجتمع لأحد - فهي للزَّوال والاضمحلال، وما كان للَّه ومقصوداً به وجهُ اللَّه فهو باقٍ لا يزول.

التَّوحيد أعظَم نِعْمَة

فأفاد أنَّ الفرحَ بفضلِ اللَّه وبرحمتِه واجب؛ فإنَّ هذه أعظم نِعْمَةٍ عليك - أيُّها الإنسان -.

الفائدة الثَّانية: الخوف العظيم من زَوَال نِعْمَة معرفتك دين المُرْسَلِين واتِّباعه ومعرفتك دين المُشْرِكين واجتنابه

(**وَأَفَادَكَ أَيْضاً: الخَوْفَ العَظِيمَ**) هذه هي الفائدة الثَّانية؛

---

(١) أي: من جُمْلَتِهم. الصِّحاح (٣/ ١٠٨٩).
(٢) الأَشَر: المَرَح والبَطَر. تهذيب اللُّغة (١١/ ٢٨١).
(٣) البَطَر: الطُّغيان في النِّعْمَة. تهذيب اللُّغة (١٣/ ٢٢٨).

فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ؛ فَلَا يُعْذَرُ بِالجَهْلِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ - كَمَا ظَنَّ المُشْرِكُونَ -، . . .

يُفيدُكَ مع ما تقدَّم من الفَرَح العظيم: الخَوْفَ على نَفسِك ودِينِك.

فتفرح بالدِّين والعَمَل به، وتَخاف على نفسك من زوال هذه النِّعْمَة، وذهاب هذا النُّور؛ وهي مَعرفتُك دين المُرْسَلِين واتِّباعه، ومعرفتك دين المُشْرِكِين واجتنابه، مع أنَّ أكثر النَّاس في غاية الجَهْل به.

إذا عرفت ثلاثة أمور يَعظُم خوفك وحِرْصك على ما يُخَلِّصُك من الكفر

(فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ):

- (يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ) واحدةٍ (يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ) دون قلبِه.

- (وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ) لا يدري ما تبلغ به من المبلغ؛ (فَلَا يُعْذَرُ بِالجَهْلِ).

- (وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ) مجتهد (يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ) زُلْفَى (كَمَا ظَنَّ المُشْرِكُونَ) يعني: في جِنسِ شِركِهِم وتَوسُّلِهِم إلى غير اللَّه؛ قَصدُهم أنَّهم يُقرِّبونَهم إلى اللَّه زُلْفَى، فيصرِفون لهم خالص العبادة من أجلِ جهلهم، يقولون: إنَّهم يسألون لنا من اللَّه، وإنَّهم أقرب منَّا إليه، ولكن هذا هو عين الشِّرك الأكبر،

خُصُوصاً إِنْ أَلْهَمَكَ اللَّهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى - مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ - أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، **فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَى مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.**

(**خُصُوصاً إِنْ أَلْهَمَكَ اللَّهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى - مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ -**) لَمَّا مرُّوا بقوم يَعْكُفُون على أصنامٍ لهم (**أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾) فـ(﴿قَالَ﴾) مُنكِراً عليهم: (﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]).

(إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ.

وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ؛ فَلَا يُعْذَرُ بِالجَهْلِ.

وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ) ومع ذلك يَكفرُ.

(**فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَى مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ**) بأنْ تَبْحثَ عن هذا الدَّاء الذي هلك فيه الأكثر من النَّاس.

من أسباب الخُلُوص من الشِّرك

ومن أسباب الخُلوصِ من هذا الدَّاء العُضَال:

- البَحثُ والتَّفتيشُ عن مبادئِه ووسائِله وذرائِعِه؛ خشية أن تقع فيه وأنت لا تشعر، وكان حذيفة بن اليمان ﷺ يقول: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ

. . . . . .

الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[(١)].

- وصِدْقُ الابتهال إلى اللَّه، وسؤالُه التَّثبيت، وكثيراً ما كان رسول اللَّه ﷺ يدعو بهذا الدُّعاء: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[(٢)]، كما ابتهل الخليل عليه السلام إلى اللَّه؛ فقال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]، وفي الحديث: «مَنْ أَمِنَ اللَّهَ عَلَى دِينِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ سَلَبَهُ إِيَّاهُ»[(٣)].

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم (٧٠٨٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدُّعاة إلى الكفر، رقم (١٨٤٧).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٢١٠٧)، من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

(٣) ذكره ابن وضَّاح في البدع (٢/ ٩٥)، من قول سفيان الثَّوريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ . . .

من حكمة اللَّه أنَّه لم يَبْعَث نبيّاً بالتَّوحيد إلَّا جَعَل له أعداءً

(وَاعْلَمْ) أيُّها الطَّالب (أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ) البالغة (لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً) من الأنبياء (بِهَذَا التَّوْحِيدِ) من لَدُن نُوحٍ عليه السلام إلى أَنْ خَتَمَهُم بمُحمَّدٍ ﷺ (إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً) إلَّا قَيَّض له أعداءً من الجنِّ والإنس، قَصْدُهم الإغواء والصَّدْف[1] عن هذا الصِّراط المستقيم، واعلم أنَّ أتباعَهم كذلك؛ مَنْ صَدَق اللَّه في اتِّباعه للرُّسُل كانوا أعظم في عداوتهم له.

دليل ذلك

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾) يشمل جميع الأنبياء، (﴿عَدُوًّا﴾) ثمَّ بيَّن العدو فقال: (﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾) يعني: مِن هؤلاء وهؤلاء، والشَّياطين هم الذين فيهم تمرُّد وعُلُوٌّ، قال بعضهم: «إنَّه بدأ بشياطين الإنس؛ لأنَّهم أعظمُ في هذا المقام من شياطين الجنِّ؛ لأنَّ شيطانَ الإنس يأتي في صورةِ ناصحٍ مُحِبٍّ لَيِّن الجانب واللِّسان»[2].

مِنْ وسائل أعداء الرُّسُل في الصَّدِّ عن الحقِّ: تَزْيِيف القَوْل بالعِبَارة

ثمَّ بيَّن الذي به يَصْدِفُون عن الحقِّ؛ فقال: (﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ

(١) الصَّدْف: الإعْرَاض. الصِّحاح (٤/ ١٣٨٤).
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ١٥٩).

إِلَىٰ بَعۡضِ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾، . . . . . .

﴿إِلَىٰ بَعۡضِ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾[1] [الأنعام: ١١٢]) فتبيَّن لك أنَّ تَزْيِيفَ القول بالعبارة له تأثير، وأنَّ الحقَّ قد يعرض له مَنْ يجعلُه في صورة الباطل؛ كما قال الشَّاعر:

فِي زُخْرُفِ القَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ ... وَالحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ
تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ ذَا قَيْءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحاً وَذَمّاً وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... حُسْنُ البَيَانِ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ[2]

الحكمة من جَعْلِ أعداءِ للرُّسُل وأتباعهم

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ لكنَّه جعلهم ابتلاء وامتحاناً؛ ليتبيَّن المُجَاهد من القاعد، والصَّابر من غير الصَّابر، والمُجِدُّ من المُخْلِد.

وهذه سُنَّتُه الباقية البالغة: أَنْ يُسلِّط الأشرارَ على الأخيار؛

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (والزُّخرف هو: الكلام المُزيَّن - كما يُزَيَّن الشَّيء بالزُّخرف وهو الذَّهب -، وهو الغرور؛ لأنَّه يَغُرُّ المستمع، والشُّبُهاتُ المعارضة للوحي هي كلام زخرف يَغُرُّ المستمع؛ ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الآية [الأنعام: ١١٣]، فانظر إلى إصغاء المستجيبين لهؤلاء، ورضاهم بذلك، واقترافهم المُترتِّب عليه) اهـ. الصَّواعق المُرسَلة (٢/ ٦٧١)».

(٢) ذكرها ابنُ الرُّوميِّ في ديوانه (٢/ ١٦٩)، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٣)، والشَّيخ عبد الرَّحْمن بن حسن في فتح المجيد (ص٢٩٣).
ونَصُّها كما في ديوان ابنِ الرُّوميِّ:

فِي زُخْرُفِ القَوْلِ تَرْجِيحٌ لِقَائِلِهِ ... وَالحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ بَعْضُ تَغْيِيرِ
تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَعِبْ قُلْتَ ذَا قَيْءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحاً وَذَمّاً وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... سِحْرُ البَيَانِ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَكُتُبٌ، وَحُجَجٌ؛

سَلَّط الأشرارَ على الرُّسُل فما دونهم، وليس هواناً بالأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، ولكن ليقوم الأخيار بالجهاد، فتَعظُم الدَّرجة، ويَعظُم الأجر، وينالوا المَرَاتِب العَالِيَة؛ لأنَّ الجنَّةَ غَالِيَة، لا تُنال إلَّا بالصَّبر على المَصَاعِب والمَشاقِّ، وإلَّا لو شاء لَمَا جعل للأشرار شيئاً من السُّلطة؛ ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ الآية [مُحمَّد: ٤].

تَهديدُ اللَّه لأعداء الرُّسُل

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وهذا وعيدٌ شديدٌ، وتَهْديدٌ، وتَغْليظٌ.

عُلوم وحُجَجُ أعداء التَّوحيد لا تُساوِي شيئاً

(وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ) يزعمون أنَّها عِلمٌ، **(وَكُتُبٌ)** يرجعون إليها، **(وَحُجَجٌ)** لكنَّها عند التَّحقيق مثل السَّرَاب، وعند المُنَاظَرة تَبين أنَّها لا شيء، ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النُّور: ٣٩] عند الحاجة إليه، ومن تلك الحجج ما تقدَّم، ومنها ما يأتي الجواب عنها[١].

والعِلْم هو: المَوْرُوث عن الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، وأمَّا عِلمهم فهو إمَّا منامات - أحلام -، أو تُرَّهَات[٢] باطلة لا

(١) (ص٢٤١) وما بعدها.

(٢) التُّرَّهَات - بضمِّ التَّاء وفتح الرَّاء المُشدَّدة -: الأَبَاطِيل. مشارق الأنوار (١/ ١٢١).

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

أصل لها، ومنها شيء صحيح في نفسه لكن لا يفهمونه، وهو في الحقيقة لا يدلُّ على باطلهم؛ بل هو ردٌّ عليهم.

الدَّليلُ على أنَّ لأهل الباطل عُلوماً وكُتُباً وحُجَجاً

(كَمَا قَالَ تَعَالَى) - والدَّليلُ أنَّ عندَهم علوماً كثيرة وكتباً وحججاً -: (﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾) ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّه لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ - أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ -؛ فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحاً لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ، الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ * . . . . . .

إذا عَرَفْتَ أنَّ أعداءَ التَّوحيد عندهم عُلوم وكُتُب وحُجَج وهم قاعدون على الطَّريق إلى اللَّه فالواجبُ عليك أن تَتعلَّم من دين اللَّه ما يَصيرُ سِلَاحاً لك

(إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ) يعني: ما قرَّرَه وقدَّمَه المُصنِّف.

(وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ) ملازمين له، لا يَنفكُّون عنه، ولا يرجعون عنه أبداً، قَصْدُهم الإغواء والصَّدْف عن هذا الصِّراط المستقيم، **(أَهْلِ فَصَاحَةٍ)** وبلاغة في المَنْطِق، **(وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ)** على باطلهم؛ ولكنَّها ليست من الحجج المَوْرُوثَة عن الأنبياء - صلوات اللَّه وسَلامُه عليهم -، إنَّما هي مَنَامَات وأكاذيب، إذا جاء عند التَّحصيل فإذا هي تخونهم أحوجَ ما يكونون إليها.

(فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ) الذي أنزله **(مَا يَصِيرُ سِلَاحاً لَكَ)** تَذُبُّ[1] به عن نفسك ودينك، وتدافع به، و**(تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ)** شياطين الإنس **(الَّذِينَ)** هم بهذا المقام أعظم ضرراً من شياطين الجنِّ، وهم نُوَّاب إبليس الذين **(قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ** ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾**)** أي: لا أتركُ

شدَّة عِداء أهل الباطل للحقِّ وأهله

(١) أي: تَدْفَع. تهذيب اللُّغة (١٤/٢٩٦).

ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾، . . . . . .

أحداً يَمُرُّ إلَّا تَشبَّثتُ به وأَغويتُه؛ لشدَّة عداوته لهذا النَّوع الإنسانيِّ جَدَّ كُلَّ الجِدِّ، واجْتَهَدَ كلَّ الاجتهاد في إغوائِه وصَدْفِه وإضلاله.

أخبر هذا الخبر عمَّا هو مُريدٌ وجَازِمٌ وعَازِمٌ عليه؛ ثمَّ أَكَّدَه بهذه التَّأكيدات: (﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]).

الخوف من الضَّلال بعد الهدى

فإذا كان الطَّريقُ الذي هذه صِفتُه مقعوداً عليه، ومَرصوداً عليه بأنواع الصُّدُوف، وأنواع القيود، وأنواع السِّلاح، وأنواع الحُجَج والبيِّنات، وأنواع الكيد والمكر والخداع، فكيف يأمن الإنسان ولا يخاف؟!

الاجتهاد في حِفْظ الدِّين

ومِمَّا تقدَّم تعرف: البُعد عن صفة التَّعب والهُوَيْنا[1]؛ بل الأمر جِدٌّ كلُّ الجِدِّ، فمعلوم أنَّ المقيَّضَ له أعداء، لا يكون في غفلة عنهم، وليس مقصودهم سفك الدَّم فقط، لا؛ بل الدِّين.

كثرة الهالكين في الطَّريق

وكم أُهلِك في الطَّريق الذي عليه شياطين الإنسِ والجنِّ

(١) الهُوَيْنا: الرِّفْق والتَّثبُّت. مشارق الأنوار (٢/ ٢٧٣).
والمراد هنا: التَّمهُّل في المسارعة إلى فِعْل الخيرات.

وَلَكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ، وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ؛ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ؛ ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

مراصَدون، مع ما جُعِل لهم من السُّلطة على القلب ونحو ذلك، يحسبون أنَّه آمِن ولا خافوا من مخاوفه، ولا علموا من الشَّرع طرقه ومخاوفه؟!

إذا أَقبلتَ على اللَّه وأَصْغَيتَ إلى حُجَجِه وبيِّناته فلا تَخَف ولا تَحْزَن

بعد ذِكر المُصنِّف ما ذكر من عداوة الشَّيطان ونُوَّابه، وحِرْصِهم على إهلاك هذا الجِنس الإنسانيِّ قال: **(وَلَكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ)** بقلبك وقالبك، وعَلِم منك اللَّجَأ إليه، والتَّبرِّي من الحول والقوَّة إلَّا به، **(وَأَصْغَيْتَ)** كلَّ الإصغاء **(إِلَى حُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ)** من الكتاب والسُّنَّة؛ **(فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ)** من الأعداء القاعدين لك على الصِّراط المستقيم؛ فعندك ما يُحصِّنك من هذا.

وإنَّما الخوف عليك عندما تُعرِض عن حجج اللَّه وبيِّناته، الخوف والحزن عليك من جهة نفسك أن لا تُقبِل ولا تُصْغِي؛ وأَمَّا إن لَجَأْتَ إليه فَلَا.

كثرةُ حِزبِ الشَّيطان ليس من قوَّة كَيْدِه وإنَّما أكثر الخَلْقِ مكَّنوه من أنفسهم

(﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦])، وإن كان قَسمُه وحظُّه من الألف تسعَ مئة وتسعةً وتسعين[1]، وليس كثرةُ حِزْبِه

---

(١) يشير سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حديث أبي سعيد الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: =

وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ . . . . . .

من قوَّة كيده؛ بل كيدُه ضعيف، ولكنَّ أكثر الخلق أطاعوه وتولَّوه ومكَّنوه من أنفسهم، فلمَّا جعلوا له سلطاناً كان له عليهم سلطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النَّحل: ٩٩-١٠٠]، فلو أنَّهم لم يجعلوا له عليهم سلطاناً لَمَا كان له عليهم سلطان.

فهم الذين أعطوه القياد لأجل الشَّهوات، وإيثار العاجل على الآجل؛ أعطوه ذلك فصاروا إلى حيِّزه من جانب؛ فصارت قوَّته نسبيَّة، ولو بارزوه بالعدوان والعصيان؛ لَمَا كان له عليهم سلطان، فمَن استولى عليه الشَّيطان في شيءٍ فهو الذي ولَّاه على نفسه، وإذا أطاعه في شيءٍ انتظر منه شيئاً آخر، وهكذا حتَّى يُوصلَه إلى الهلاك - والعياذ باللَّه -.

العامِّيُّ من المُوَحِّدين يَغْلِب الألف من عُلَمَاء المُشْرِكين

(وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ) الذي عرف أدلَّة دينه، وإن كان ليس بفقيه ولا عالم - ليس المراد العامِّيَّ الجاهل، اللَّهمَّ إلَّا أَنْ يُوَفَّق العامِّيُّ الذي لا يعرف لحُجَّةٍ عقليَّة، وهو نادر -، **(يَغْلِبُ**

= أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ...» رواه البخاريُّ، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم، رقم (٢٢٢).

الأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، فَجُنْدُ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، . . . . . .

الأَلْفَ) بل الألوف **(مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ)** لأنَّ حُجَج المُشْرِكِين تُرَّهَات وأباطيل وأكاذيب، ومَنَامَات كاذبة، وما كان معهم من الحقِّ فهو ردٌّ في الحقيقة عليهم.

فلا حُجَّة لهم على باطلهم، ولا شيء من الحقِّ يدلُّ على باطلهم، فلو قُدِّر أنَّهم استدلُّوا بآية، فليس لهم في الحقيقة دليل فيها، والأدلَّة على توحيد ربِّ العالمين أكثر من أن تُحصَر، وأشهر من أن تُذكَر، وما يَتشبَّثون به ويَزْعُمُون أنَّه دليل ليس بدليل، ويأتيك بعض ذلك والجواب عنه[1].

الدَّليل على أنَّ الغَلَبَة لجُنْد اللَّه

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧٣]) هذه صيغة حصر؛ فأفادت هذه الآية حصْرَ الغَلَبَة في جند اللَّه، وهو يقتضي بعمومه الغَلَب في جميع النَّواحي؛ **(فَجُنْدُ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ)** يغلبون قبيلهم **(بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ)** فشمل جميع الغَلَبَة: بالحُجَّة واللِّسان، والسَّيف والسِّنان.

أنواع الغَلَبَة

(١) كما في (ص٢٤١).

وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَى المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ.

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، . . . . . .

تسليطُ أهلِ الشَّرِّ على أهل الدِّين بسبب إضاعتِه

ولا تَظنَّ أنَّه يَرِد عليه تسليط أهل الشَّرِّ في هذه الأزمان، فإنَّه بسبب إضاعته، وإلَّا دينُ ربِّ العالمين مَحفوظٌ مُؤمَّنٌ بحفظ مَنْ يقوم به.

إدَالَة أهل الباطل بعض الأَحْيَان تَمْحيصٌ ورِفْعَة لأهل الحقِّ وغرورٌ لأهل الباطل

ولا تَظنَّ أنَّه يَرِد عليه إدَالَة[1] أهل الباطل بعض الأحيان، فإنَّه تمحيصٌ ورِفْعَة[2]، وغرورٌ لأهل الباطل.

الخوف على المُوَحِّد الذي لم يتعلَّم أدلَّة دينه

(وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَى المُوَحِّدِ) العابد للَّه المستقيم على التَّوحيد، **(الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ)** لم يتعلَّم أدلَّة دينه؛ بل أهمل وغفل؛ فهذا مخوف عليه أن يُقتَل، أو يُسلَب، أو يبقى أسيراً في يد عدوِّه الشَّيطان وجنوده، يُخشى عليه أن يُلِمَّ به الشيطان وجنوده فيستزلُّوه عن الطَّريق السَّويِّ.

القرآن أعظَم سِلَاح

(وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ) الذي هو السِّلاح كلُّ السِّلاح **(الَّذِي جَعَلَهُ ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّحل: ٨٩])**.

---

(١) أي: غَلَبَة. الصِّحاح (٤/ ١٧٠٠). (٢) لأهل الحقِّ.

فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي القُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: «هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

لا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجَّة إلَّا وفي القرآن ما يَنقضُها ويُبَيِّن بطلانها

(فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ) كائنةٍ ما كانت إلى يوم القيامة (إِلَّا وَفِي القُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا) يعرف ذلك مَنْ يعرفه، ويُوفَّق له مَنْ يُوفَّق، ويجهل ذلك مَنْ يجهله.

دليل ذلك

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾) أي: بحُجَّة أو شُبهة، وهذه نكرة في سياق النَّفي، تَعُمُّ كلَّ حُجَّةٍ، فشمِل جميع ما يُؤتى به، (﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣])[1]؛

القرآن يَرُدُّ كلَّ باطل ولكن قد لا يفهمه الإنسان أو لا يعتني به

فالقرآنُ كفيلٌ بردِّ أيِّ باطلٍ كان، ولكن قد يُؤتى الإنسان من عدم الفهم له، أو عدم الاعتناء به، والأفهام تختلف بالقوَّة والضَّعف، فيُعطَى بعض النَّاس من القوَّة ما لا يعطاه غيره، ويُعطَى بعض النَّاس من التَّوفيق ما لا يُعطاه غيره.

(قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: «هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»).

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالحقُّ هو: المعنى والمدلول الذي تضمَّنه الكتاب؛ والتَّفسير الأحسن هو: الألفاظ الدَّالَّة على ذلك الحقِّ؛ فهي تفسيره وبيانه) الصَّواعق المُرسَلة (١/ ١٣٨)».

. . . . . .

قوَّة فَهْم شيخ الإسلام للقرآن واعتنائه به

وقد التزم بعض العلماء - وهو شيخ الإسلام ابن تَيميَّة - أن لا يحتجَّ مُبطِل بآيةٍ أو حديثٍ صحيحٍ على باطلِه، إلَّا وفي ذلك الدَّليل ما يدلُّ على نَقْضِه، وذَكَر لذلك أمثلة؛ منها: آية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورى: ١١][(١)].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٢٨٨)، (٨/ ٢٩).
قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ - في حادي الأرواح (٢/ ٦١٨) -: «وقد قرَّر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنَّه لا يحتجُّ مُبطِل بآية أو حديث صحيح على باطله، إلَّا وفي ذلك الدَّليل ما يدلُّ على نقيض قوله».

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ - مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - جَوَاباً لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا، . . . . . .

موضوع الكتاب: رَدُّ شُبَهٍ شَبَّه بها بعض المُشْرِكين على توحيد العبادة

(وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ - مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - جَوَاباً لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا) هذا فيه بيانُ موضوعِ الكتاب وما صُنِّف فيه، فهو في ردِّ شُبَهٍ شَبَّه بها بعض المُشْرِكِين على توحيد العبادة.

سبب تأليف الكتاب

فإنَّ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا تصدَّى لبيان التَّوحيد، والدَّعوة إليه، وبيَّن ما عليه الكثير من الشِّرك الأكبر؛ تصدَّى بعض الجهَّال بالتَّشبيه على الجهَّال مثلهم، وزعموا أنَّ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يُكفِّر المسلمين - وحاشاه ذلك -؛ بل لا يُكفِّر إلَّا مَنْ عَمِل مُكفِّراً وقامت عليه الحُجَّة؛ فإنَّه يُكفِّره؛ فقَصَدَ كَشْفَ تلك الشُّبَه المُشبَّهة على الجُهَّال ورَدَّها، وإن كانت أَوْهَى من خيط العنكبوت، لكن تُشَوِّشُ[1] عليهم.

المقصود من مُقدِّمة المُصنِّف

وقدَّم المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ مُقدِّمةً نافعةً في بيان حقيقة دين المُرْسَلِين وما دَعَوْا إليه، وحقيقة دين المُشْرِكِين وما كانوا عليه؛ ليَعلَم الإنسان حقيقة دين المُرْسَلِين عند ورود الشُّبْهة، ويَعلَم مَنْ هو أولى بدين المُرْسَلِين مِن دين المُشْرِكِين، وبيَّن أنَّ مُشْرِكي زمانه هم أتباع دين المُشْرِكِين[2].

---

(١) التَّشْوِيش: التَّخليط. الصِّحاح (٣/ ١٠٠٩).

(٢) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتقدَّم ذكر هذه المُقدِّمة أوَّل الكتاب، وبيان موضوعه أيضاً» من (ص١٧٣) إلى (ص١٧٩).

فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا المُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرُ العَظِيمُ، وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ . . . . . .

جواب أهل الباطل من طَرِيقَيْن مُجْمَل ومُفَصَّل والفائدة منهما

(فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ):

طريقٍ (مُجْمَلٍ) وفائدة المُجْمَل: يصلح جواباً لكلِّ شبهة.

(وَ) طريقٍ (مُفَصَّلٍ) وفائدة المُفَصَّل: كونه يُنَصِّص على كلِّ شُبهة بعَيْنها.

هذا أنفع من جهة، وهذا أنفع من جهة.

الجواب المُجْمَل عن شُبَه أهل الباطل

(أَمَّا المُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرُ العَظِيمُ، وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ) وإنَّما قال ذلك في المُجْمَل؛ لأنَّه في الحقيقة جواب واحد يصلح جواباً لكلِّ شُبهة.

(لِمَنْ عَقَلَهَا) وفهِمَها وعرَفَها، أمَّا مَنْ كانت تجري على لسانه فقط، فإنَّ هذا الجواب لا يكون له حُجَّة.

معنى المُحكَم وحُكمُه

(وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾) محكماتُ الدَّلالة، وهذا هو الإحكام الخاصُّ، فإنَّ الإحكامَ إحكامان، والتَّشابه تشابهان، فالمراد هنا: الإحكام

هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ . . . . . .

الخاصُّ والتَّشابه الخاصُّ.

الآيات المُحْكَمَات: تعبَّد اللَّه الخَلْقَ بالإيمان بها، وبالعلم بها، والعمل بها.

هذا هو حُكْم المُحْكَم:

الأوَّل: الإيمان به أنَّه من عند اللَّه.

الثَّاني: معرفة معانيه.

الثَّالث: العمل به.

(﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أُمُّ الشَّيء: أصلُه والذي يرجع إليه عند الاشتباه والإشكال.

معنى المُتشابِه وحُكمُه

(﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾) متشابهاتُ الدَّلالة، ليست دلالتها واضحة مثل المُحْكَمَات.

وحُكْمُها:

أوَّلاً: الإيمان بها أنَّها من عند اللَّه، أنزلها على العباد؛ ليؤمنوا بها.

والثَّاني: أن لا تُفسَّر بما يُخالِفُ المُحْكَم؛ بل تُردُّ إلى الأمِّ - وهو المُحْكَم - وتُفسَّر به[1].

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قسم اللَّه سبحانه الأدلَّة السَّمعيَّة إلى=

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، . . . . . .

الذين في قلوبهم زَيْغ يتَّبعون المُتشَابِه

(﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾) يعني: مَيلاً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النَّجم: ١٧]، وزَاغَت الشَّمس: مالت، والمراد: أنَّ الذين في قلوبهم مَيْلٌ عن الحقِّ (﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾) يطلبون المُتشابه في الدَّلالة، ويتركون المُحْكَم، ويَصْدِفُون عن الواضح؛ لكونه يهدم ما هم عليه من الباطل ويفضحهم.

فالجاهل إذا أدلوا عليه بآية من المُتشابِه راجت عليه، أمَّا مَن يعرف فيقول: لِمَ عدلت عن هذه الآية وهذه الآية؛ التي لا تحتمل هذا، ولا هذا؟!

أهلُ الإيمان يتَّبعون المُحْكَم ويَردُّون المُتشَابِه إلى المُحْكَم

وهذا يفيد: أنَّ أهلَ الإيمان والاهتداء والاستقامة يتَّبعون المُحْكَم، ويردُّون المُتشابه إلى المُحْكَم، وأنَّهم خلاف أهل الزَّيغ؛ لأنَّه خصَّ أولئك باتِّباع المُتشابِه (﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ[1] وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ[2] وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ[3]﴾ [آل عمران: ٧])، والتَّأويل يراد

معاني التَّأويل

= قسمين: مُحْكَم، ومُتشابِه، وجعل المُحْكَم أصلاً للمُتشابِه وأُمّاً له يُرَدُّ إليه، فما خالف ظاهر المُحْكَم فهو متشابه يُرَدُّ إلى المُحْكَم، وقد اتَّفق المسلمون على هذا) الصَّواعق المُرسَلة (١/ ٤٥٤)».

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إرادة اللَّبس».

(٢) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «على أهوائهم الباطلة».

(٣) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتَّأويل يُراد به: التَّحريف، ويراد به: التَّفسير، ويراد به: علم =

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

به أحد ثلاثة معانٍ:

أحدها: أن يُفسَّر بما يَؤُول إليه الشَّيء.

الثَّاني: التَّفسير؛ وهو: التَّبيين.

الثَّالث: التَّأويل الذي هو في الحقيقة: التَّحريف، وهو مقصود أهل الباطل.

التَّحذير من مُخالَطَة وسماع كلام الذين يتَّبعون المُتشابِه

(وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ) يعني: فأولئك الذين عيَّن اللَّه بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧]؛ **(فَاحْذَرُوهُمْ»[1])** لا يزيغوا بكم عن سبيل الحقِّ كما زاغوا عن الحقِّ؛ حذَّر منهم ﷺ؛ لأنَّ مخالطتهم وسماع كلامهم الدَّاءُ

= كيفيَّات الأمور الغائبة، فالتَّحريف باطل، والتَّفسير يَعْلمه العلماء، والكَيفيَّات الغائبة لا يعلمها إلَّا اللَّه» التَّدمريَّة (ص٩١).

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، رقم (٤٥٤٧)، ومسلم، كتاب العلم، باب النَّهي عن اتِّباع مُتشابِه القرآن، رقم (٢٦٦٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ المُشْرِكِينَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وَإِنَّ الشَّفَاعَةَ

العُضَال، ومرضُ القلوب.

ولا يتَّكِل الإنسان على ما معه من الحقِّ؛ بل يبعد عن أهل الزَّيغ ويُجَانِبُهم ولو معه حقٌّ؛ فإنَّ السَّلَف كان هذا شأنهم، ويستدلُّون بالحديث.

فهذا حُكم أهل الباطل؛ أن يُبعَد عنهم؛ لئلَّا يدخل القلبَ شبهةٌ يَعسُر التَّخلُّص منها؛ فإنَّ أهل الباطل لا يألُون[1] جهداً أن تكونوا مثلهم في زَيْغ القلوب، وهم أضرُّ على النَّاس من أهل المعاصي الشَّهوانيَّة.

مثالان لاحْتِجَاج المُشْرِكِين بالمُتَشَابِه

(مِثَالُ ذَلِكَ) يعني: مثال احتجاج المُشْرِكِين بالمُتشابِه، وللجواب عن ذلك بالجواب المُجْمَل:

المثال الأوَّل: إذا استدلَّ بآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فشَبَّه وقال: الشَّفاعة حَقٌّ والأنبياءُ لهم جاهٌ فتُطلَب منهم

(إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ المُشْرِكِينَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]) زعم أنَّ الآيةَ تدلُّ على أنَّهم يُدْعَون، يعني: فيَطْلبون له، وأنَّهم أهل قُرْب ومنزلة وجاه وفضل، ومَنْ كان كذلك فقد تَأهَّل، **(وَ)** شبَّه فقال: **(إِنَّ الشَّفَاعَةَ)** التي

---

(١) أي: لا يَفْتُرون ولا يُقَصِّرون. الصِّحاح (٦/ ٢٢٧٠)، تاج العروس (٣٧/ ٨٩).

حَقٌّ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ: ذَكَرَ كَلَاماً لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ.

ذُكِرت في النُّصوص(١) **(حَقٌّ(٢))** وواقعةٌ، وإذا كانت حقّاً فهي تُطلَب من الأموات ونحوهم، فيهتف باسمه ويقول: يا فلان اشفع لي، **(وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ)** فهم يُسأَلون ويُدْعَون؛ ليَسْأَلوا لِمَنْ ليس لهم الجاه عنده.

المثال الثَّاني: إذا استدلَّ على بَاطِلِه بأحاديث وأنت لا تَفْهَم معناها الصَّحيح

(أَوْ: ذَكَرَ) المُبطِل المُشبِّه **(كَلَاماً لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ(٣)، وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ)**

---

(١) كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
وكحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ: نَفْسِهِ -» رواه البخاريُّ، رقم (٩٩).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «يعني: أنَّ الشَّفاعة حقٌّ، ولكن من أين أنَّها تطلب من غير اللَّه؟!».

(٣) قال الوالد رحمه الله: «كَقَوْلِ الأَعْمَى: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ، فَتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ».
قلتُ: رواه التِّرمذيُّ، أبواب الدَّعوات، رقم (٣٥٧٨)، من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه، وقال: هذا حديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ غَريبٌ لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه.
وقد أجاب عنه شيخ الإسلام رحمه الله: بأنَّ هذا تَوسُّل بدعاء النَّبيِّ ﷺ وشَفَاعَتِه؛ ففي=

فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ المُحْكَمَ وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ، وَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ أَنَّ المُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، . . . . . .

يعني: لا تفهم أنَّه يدلُّ على مقصوده، وتفهم وتعتقد أنَّ هذه أمور باطلة.

الجوابُ عن المثالين بجوابٍ مُجمَل مُركَّبٍ من ثلاثة أمور

(فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ المُحْكَمَ) ويَعْدِلون عنه، **(وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ)** ويَميلُون إليه ويَستدلُّون به، وأنت تَرَكْتَ المُحْكَم وهو قوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وعَمَدْتَ إلى المُتشابه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وعَمَدْتَ إلى المُتشابه؛ وهو أنَّ الشَّفاعةَ حقٌّ.

الأمرالثَّاني: المُشْرِكون يُقِرُّونَ بالرُّبوبيَّة ومع ذلك كَفَّرَهم اللَّه بتَعلُّقهم على الملائكة ونَحوِهم

(وَ) وجاوِبْه بـ**(مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ)** بما قدَّمه المُصنِّف[1] **(مِنْ أَنَّ المُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ)**؛ لم ينازعوا فيها، وتُبيِّن له أنَّ الدَّاعيَ

الأمر الأوَّل: الذين في قلوبهم زَيْغ يَترُكُون المُحكَم ويتَّبِعُون المُتَشابِه

= الحديث: «إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ لَكَ وَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، فَقَالَ: ادْعُهُ»، فهو توسَّل بدعاء النَّبيِّ ﷺ له بدليل قوله: «اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»، وقال: «وإنَّما يُدعى بهذا الدُّعاء إذا كان النَّبيُّ ﷺ داعياً شافعاً له، بخلاف مَنْ لم يكن كذلك؛ فهذا يُناسِب شفاعته ودعاءه للنَّاس في مَحْيَاه في الدُّنيا ويوم القيامة إذا شفع لهم» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٢٦٥-٢٨٥).

(١) (ص٢٠٢).

وَأَنَّ اللَّهَ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى المَلَائِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ، وَالأَوْلِيَاءِ، مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ.

عبد القادر[1] - مثلاً - يدَّعي أنَّه ذو مكانة، وأنت مُقرٌّ بالرُّبوبيَّة، والمُشْرِكُون الأوَّلون مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة ولا نَفَعَهم، **(وَأَنَّ اللَّهَ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى المَلَائِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ، وَالأَوْلِيَاءِ، مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾** [يونس:١٨]) ومع قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمر:٣]، ما زادوا على هذا، **(هَذَا)** كون المُشْرِكين الأوَّلين ما ادَّعَوا فيهم الرُّبوبيَّة وإنزال المطر، وأنَّهم ما كانوا مُشْرِكين كفَّاراً إلَّا بتعلُّقهم عليهم رجاءَ شفاعتهم وتقريبهم إلى اللَّه زلفى **(أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ)**.

هذان أمران:

الأوَّل: احتجاجهم بالمُتشابِه.

والثَّاني: أنَّ المُشْرِكين مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة - كما تقدَّم -، وأنَّ اللَّه كَفَّرهم بتعلُّقهم على الملائكة ونحوهم.

---

(١) هو: أبو مُحمَّد عبد القادر بن موسى بن عبد اللَّه الجيلي، ويقال: «الجيلاني»، ويقال: «الكيلاني»، ولد سنة (٤٧٠هـ)، فقيه، صالح، زاهد، ورع، قال عنه الذَّهبيُّ: «كبير الشَّأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، واللَّه المَوْعِد، وبعض ذلك مكذوب عليه»، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٥٦٠هـ). سِيَر أعلام النُّبلاء (٢٠/ ٤٣٩)، البداية والنِّهاية (١٦/ ٤١٩).

وَمَا ذَكَرْتَهُ لِي - أَيُّهَا المُشْرِكُ - مِنَ القُرْآنِ، أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ؛ لَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ. . . . . .

الأمر الثَّالث: كلامُ اللَّه لا يَتَنَاقَض وكلامُ النَّبيِّ ﷺ لا يُخَالِف كَلَام اللَّه

(وَمَا ذَكَرْتَهُ لِي - أَيُّهَا المُشْرِكُ - مِنَ القُرْآنِ) كقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]؛ فإنَّه من المُتشابِه[(١)]، وحُكْمُه: أن يُردَّ إلى المُحْكَم؛ (أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ) كقوله: «وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»[(٢)]، (لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ) لا أعرف دلالته على ما قَصدتَ وأَردتَ أنَّهم يُدْعَوْن من دون اللَّه؛ نعم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ولكن أين دلالته على المقام؟ ما دلَّ على أنَّهم يُدعَوْن! مَنْ أَوْصَلَهم إلى هذه الدَّرجة؟ أَنتَ الذي تقول هذا!

و(لَكِنْ) أنا عندي شيء أَقْطَع به كالشَّمس من النُّصوص؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وكقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] و(أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ

(١) قال الوالد رحمه الله: «على المُشبَّه عليه - لا على العلماء -؛ لأنَّه يُخالِف ظاهر المُحْكَم كما تقدَّم في كلام ابن القيِّم» (ص٢٣٨).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب التَّيمُّم، رقم (٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، رقم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما.

كَلَامَ اللَّهِ ﷻ.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا تَسْتَهِنْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: . . . . .

كَلَامَ اللَّهِ ﷻ).

يعني: فأَعْرِفُ أنَّ هذه الآية ونظائرها لا تنافي هذه النُّصوص، وما معي من النُّصوص مُحْكَم، فلا أترك المُحْكَمَ البيِّنَ الواضح الدَّلالة للمُتشابِه.

فالأدلَّة التي معي لا يُناقِضها شيء، هي من المُحْكَمَات، وما زعمه أنَّه يُخالِفها من المُتشابِه؛ فلا يُخالِفها أبداً.

ولو ادَّعى هو أنَّ كلامَ اللَّه يتناقض؛ لكان كفراً آخر.

وكذلك لو ادَّعى أنَّ كلامَ النَّبيِّ ﷺ يُخالِفُ كلامَ اللَّه؛ لكان كفراً آخر سِوى ما كان عليه من الكفر.

ثناء المُصنِّف على الجواب المُجْمَل

(وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا تَسْتَهِنْ بِهِ) هذا ثناء من المُؤلِّف على هذا الجواب المُجْمَل، وأنَّه أَصلٌ أَصيلٌ في دَفْع شُبَه المُشبِّه، (فَإِنَّهُ) نظير الخَصْلة التي هي الدَّفْع بالتي هي أحسن[1]؛ (كَمَا قَالَ تَعَالَى:

---

(١) الواردة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصّلت: ٣٥]) فكذلك هذا الجواب بهذه الصِّفة العظيمة، فإنَّك إذا وُفِّقتَ للجواب بهذا فقد وُفِّقتَ لأمر عظيم.

خُلاصَة الجواب المُجمَل

فصار هذا الجواب عن هذه الشُّبهة جواباً مُركَّباً[1] من ثلاثة أمور:

الأوَّل: بيان أنَّ الذين في قلوبهم زَيْغ يتركون المُحْكَم، ويتَّبعون المُتشابِه.

الثَّاني: أنَّ الأوَّلين مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة لم ينازعوا فيها، وأنَّهم ما ادَّعَوْا إلَّا مثل ما ادَّعى هذا المُشبِّه من طلب الشَّفاعة والقُرْب إلى اللَّه بذلك، وأنَّ اللَّه كفَّرهم بذلك.

الثَّالث: أنَّ معي نصوصاً لا تتناقض، وأنَّ كلامَ النَّبيِّ ﷺ لا يُخالِفُ كلامَ اللَّه ﷻ، وأنَّ المُبطِلَ يَحتجُّ بشيءٍ هو حقٌّ، ولا يدلُّ على الباطل بحال.

= كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصّلت: ٣٤].

(١) قال الوالد رحمه الله: «والجَوَابُ المُركَّب هو: الذي لا يكفي كلُّ فردٍ منه جواباً، فلا يكفي مثلاً في كشف هذه الشُّبَه أن تقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ الآية [آل عمران: ٧]؛ بل حتى يتركَّب من الثَّلاثة.

والمُفرَد هو: الجَوَاب الوَاحِد الكافي.

فصارت الشُّبهَةُ كالدَّاء الذي يحتاج إلى دواء؛ فتارةً يُداوَى بالعَسَل وحده ويكفي، =

وَأَمَّا الجَوَابُ المُفَصَّلُ: فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ.

مِنْهَا: قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ؛ بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ، وَلَا يَرْزُقُ، وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَضُرُّ، إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً، فَضْلاً عَنْ عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ،

الجواب المُفَصَّل عن شُبَه أهل الباطل

(وَأَمَّا الجَوَابُ المُفَصَّلُ) تقدَّم المُجْمَل وعَرَفْتَ شأنه وعِظَمه، والمُفصَّل هو: الذي يُجَابُ به عن كلِّ شُبهةٍ بجوابٍ يَخصُّها: (فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ) المُشْرِكِين - عبدةَ غير اللَّه - (لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ) ويَلْبِسون بها على الجهَّال.

الشُّبهَة الأُولَى: أنَّ مَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة ولم يَقصِد من الصَّالحين إلَّا الجَاه والشَّفاعة فليس بمُشْرِكٍ

(مِنْهَا: قَوْلُهُمْ) مع شركِهم باللَّه: (نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ) شيئاً، وهم قد وقعوا فيه، لكن نَفَوْه عن أنفسِهم جهلاً وضلالاً، (بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ، وَلَا يَرْزُقُ، وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَضُرُّ، إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً، فَضْلاً عَنْ عَبْدِ القَادِرِ) الكيلانيِّ (أَوْ غَيْرِهِ) من المَدْعُوِّين ممَّنْ له جاهٌ ومنزلةٌ ومَقامٌ كبيرٌ، (وَلَكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ) ولم أُؤَهِّل إلى

= وتارةً لا يكفي العَسَل وحده؛ بل يُداوَى بالعَسَل وَالثُّفَّاءِ جميعاً. (تقرير أيضاً)».

قلتُ: والثُّفَّاءُ: حَبُّ الرَّشاد. عمدة القاري (٩/ ٧٤).

وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ!

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ؛ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لَا تُدَبِّرُ شَيْئاً، وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ.

الطَّلب من الجانبِ الأعلى، **(وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ)** ومنزلةٌ عظيمةٌ **(وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ!)** فأَطلبُ منهم، وهم يسألون ويطلبون لي، ويُقرِّبونَني إلى اللَّه زلفى، لا أَطلُبُهم ذواتهم.

جوابها: أنَّ هذا هو حقيقة دين المُشْرِكين الأوَّلين

(فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ؛ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لَا تُدَبِّرُ شَيْئاً) وأنَّ اللَّهَ هو النَّافع الضَّارُّ وحده، **(وَإِنَّمَا أَرَادُوا)** وقصدوا **(الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ)** فقط، تعلَّقوا عليهم لأجل جاههم عند اللَّه؛ فإنَّ المشرك الذي نزل فيه القرآن هو هذا - دعاء مَنْ يشفع لهم عند اللَّه، لا أنَّه يَخلُقُ ويَرزقُ -.

(وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ) اقرأ عليه الآيات الدَّالَّة على هذا وهذا - الدَّالَّة على أنَّهم مُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة، والدَّالَّة على أنَّ اللَّه كفَّرهم بشركهم في الألوهيَّة، وأنَّهم ما أرادوا إلَّا شفاعتَهم وتقريبَهم -.

. . . . . .

أدلَّة إقرار المُشْركين بالرُّبوبيَّة

فمِنَ الآيات الدَّالَّة على إقرارهم بالرُّبوبيَّة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وغير ذلك من الآيات.

أدلَّة تكفير المُشْركين لأجل شِرْكِهم بطَلَبِهم الجاه والشَّفاعة

واقرأ عليه ما ذكر اللَّه في كتابه من الآيات الدَّالَّة على أنَّ اللَّه كفَّرهم بشركهم في الإلهيَّة، وأنَّهم ما أرادوا إلَّا شفاعتهم وتقريبهم، وأنَّ هؤلاء ما زادوا على ما فعله المُشْرِكُون الأوَّلون، ليتبيَّن أنَّه في عَماية عمَّا جاءت به الرُّسُل، ومعاكسة لِمَا جاء به الرُّسُل؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

. . . . . .

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٢-٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ونظائرها من الآيات الدَّالَّة على أنَّهم ما أرادوا ممَّنْ قصدوا إلَّا الجاهَ والشَّفاعة.

حاصل جواب هذه الشُّبهة

فحاصلُ جواب هذه الشُّبهة: أنَّك ما زِدْتَ على ما أَقَرَّ به المُشْرِكُون الأوَّلون، ولا زاد فِعْلُك عن فِعْلهم؛ بل أنت وهم سواء.

فَإِنْ قَالَ: هَؤُلَاءِ الآيَاتُ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ؛ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟! أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَاماً؟!

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، . . . . . .

الشُّبهَة الثَّانية: أنَّ الآيات نَزَلَت فيمَنْ يَعبدُ الأصنام ونحن لا نَعبدُ الأصنام

(فَإِنْ قَالَ) المُشبِّه: (هَؤُلَاءِ الآيَاتُ) يعني آية: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨] ونحوها، (نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ) إن انتقل إلى هذه الشُّبهَة؛ وهي: حصرُ عبادة غير اللَّه في الأصنام، يعني: وما سواه فليس بعبادة، (كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟!) فليس مثلهم، هو يدعو الصَّالحين وليس بمُشْرِكٍ؛ (أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَاماً؟!) حَصَرَ عبادة غير اللَّه في الأصنام.

مِنْ شأن أهل الباطل: أنَّ مَنْ نَزَّل الصَّالحين منازلَهم يقولون عنه: إنَّه تنقَّصهم

من شأن أهل الباطل وأشباههم نِسْبتهم مَنْ نَزَّل الصَّالحين منازلَهم أن يقولوا: تنقَّصوهم وهَضَمُوهم، وفي الحقيقة هم النَّاقصون المُتنقِّصون للرُّسُل، وأرادوا أَنْ يُعطَوْا باطلاً، وأهل الحقِّ نزَّلُوهم منازلهم الحقَّة اللَّائقة بهم وما جاؤوا به، ولا زادوا ولا نقصوا؛ أعطوهم حقَّهم الواجب، ونزَّهوهم عمَّا لا يصلح لهم من الباطل.

(فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ) وهو أنَّ المُشْرِكين الأوَّلين مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة

فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا لِلَّهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ، فَاذْكُرْ لَهُ: أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ الآيَةَ، . . . . . .

كلِّها للَّه؛ أنَّ اللَّه تعالى الخالق وحده لا شريك له، الرَّازق، كما جاء في الآيات القرآنيَّة، وإنَّما كانوا مُشْرِكين باتِّخاذِهم الوسائط.

جواب الشُّبهَة: المُشْرِكون الأوَّلون منهم مَنْ يَعبُد الأصنام ومنهم مَنْ يَعبُد غير الأصنام وكَفَّرهم اللَّه جميعاً وقاتلهم النَّبيُّ ﷺ ولم يُفَرِّق بينهم

(فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا لِلَّهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ) والمُشبَّه مُقرٌّ بذلك، (وَلَكِنْ أَرَادَ) المُشبِّه (أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ) وهو أنَّ المُشْرِكين يَعبدُون أصناماً، وهو لا يَعبدُ صنماً، (فَاذْكُرْ لَهُ: أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ) والأوثانَ كما ذكر اللَّه عنهم: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشُّعراء: ٧١]، ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

من المشركين مَن يَعبُد الأصنام

من المشركين مَن يَعبُد الأولياء

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ الآيَةَ [الإسراء: ٥٧]).

. . . . . .

فمعبوداتُهم متنوِّعة؛ ليست الأصنام وحدها؛ مِنْ دليل تنوُّعها هذه الآية، فإنَّها نزلت في أناسٍ يَعبدُون الجِنَّ، فأَسْلَمَ الجِنُّ وبقي الإنس على عبادتهم(١).

وقيل: نزلت فيمَنْ يَعبدُ العُزَيْر والمَسِيح، كما هو قول أكثر المُفسِّرين(٢).

ولا منافاة بين القولين؛ فإنَّها نزلت فيمَنْ يدعو مَدْعُوّاً، وذلك المَدعُوُّ صالح في نفسه؛ يرجو رحمة الرَّبِّ ويخاف عقابه، فكأنَّ اللَّه سبحانه قال في الرَّدِّ عليهم: إنَّ مَنْ تدعونهم عبيدي كما أنَّكم عبيدي، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، ويتقرَّبون إليَّ بطاعتي وعبادتي، فلِمَ تعبدونهم من دوني؟!

فصاروا عبيده بثلاثة أشياء: بعبادته وحده، ورجائه وحده، وخوفه وحده، هذا هو الوسيلة والسَّبب الموصِل، لا عبادة سواه من الأولياء ونحوهم، والوسيلة إلى اللَّه ترجع إلى التَّوحيد، فهو أصل الوسيلة، ليست الوسيلة الذَّوات، إنَّما الوسيلة الأعمال،

(١) رواه مسلم، كتاب التَّفسير، باب في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، رقم (٣٠٣٠)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه، ولفظه: «كَانَ نَفَرٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾».

(٢) تفسير الطَّبري (١٤/ ٦٣٠)، تفسير ابن كثير (٥/ ٨٩).

وَيَدْعُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، . . . . . .

فإنَّ اللَّه لم يجعل الذَّوات وسيلة لأحد؛ نَعَم الإيمان بالذَّوات كالإيمان بالرُّسُل[1].

الوَسِيلَة إلى اللَّه هي: ما جاء به الرَّسولُ ﷺ من إفراده بالعبادة

فالوسيلة إليه هي: ما جاء به الرَّسولُ ﷺ من إفراده بالعبادة.

فهذه الآية من جملة الأدلَّة على أنَّ من معبوداتهم الأولياء.

من المشركين مَن يَعبُد المسيحَ وأمَّه

(وَيَدْعُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾) يعني: عظيمة التَّصديق بالحقِّ، (﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦])، وهو صريح في شرك النَّصارى بالرَّسُول عيسى عليه السلام.

---

(١) وسيلةٌ شرعيَّة.

وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾، **وَقَوْلَهُ تَعَالَى:** ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ . . . . . .

من المشركين مَن يَعبُد الملائكة

(**وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى:** ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]) هذه الآية دالَّة على أنَّ مِنَ المُشْرِكين مَنْ يَعبُدُ الملائكة.

ذمّ الله مَن اتَّخذَ المَسيحَ وأُمَّه إلَهَيْن مِنْ دُونِه

(**وَقَوْلَهُ تَعَالَى:** ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) وهو تعالى أعلمُ أنَّ عيسى عليه السلام لم يَقُل ذلك، ولكن المراد: نُطقُه على رؤوس الأشهاد، وبيانُ بطلانِ عبادتهم له، وأنَّه لم يرضَ بذلك، وهذا الخبر من اللَّه ذمٌّ وعيبٌ لمَنِ اتَّخذَ المَسيحَ وأُمَّه إلَهَيْن من دون اللَّه، (﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾) أي: تنزيهاً لك عمَّا لا يليق بجلالك وعظمتك، (﴿مَا يَكُونُ لِىٓ﴾) يعني: ما ينبغي لي، (﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾) أن أجعلَ حقَّ ربِّ العالمين الذي لا يشركه فيه غيره لي، (﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾) وأنت أعلم أنَّه لم يَصْدُر مِنِّي ذلك،

تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

فَقُلْ لَهُ: عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضاً مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

(﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]؛ فدلَّ على أنَّهم يَدْعُونَ المَسيحَ وأُمَّه.

فهذا بعض أنواع شرك الأوَّلين - أهل الكتاب -.

لا فرق في التَّكفير والقتال بين مَنْ يعبد الأصنام ومَنْ يعبد الصَّالحين

(**فَقُلْ لَهُ**) للمُشبِّهِ الشُّبهةَ السَّابقة إذا سردت عليه الآيات التي فيها غير مَنْ عبد الأصنام: (**عَرَفْتَ**) من هذه الأدلَّة (**أَنَّ اللَّهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضاً مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ**)؛ بل لا بدَّ أن يَنضمَّ إلى معرفة ذلك تكفيرُهم واعتقاد ذلك، فمَنْ لم يُكَفِّرهم دليل على أنَّه لا يرى عَمَلَهم كفراً، (**وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**) جميعاً، (**وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ**)؛ بل جعل سبيلَهم واحداً وإن تفرَّقَتْ معبوداتُهُم، فكلُّها راجعة إلى شيءٍ واحدٍ؛ وهو عبادة غير اللَّه مع اللَّه.

فعَرَفْتَ مِنْ هذه الآيات: أنَّ مِنَ المُشْرِكِين مَنْ يدعو الأولياء والصَّالحين، ومِنهم مَنْ يدعو الأنبياء، ومِنهم مَنْ يدعو الملائكة،

. . . . . .

حاصل جواب هذه الشُّبهة

وأنَّ الآيات منها ما نزل فيمَنْ يَعبدُ الأولياء والصَّالحين، وبعضها فيمَنْ يَعبدُ الأنبياء، وبعضها فيمَنْ يَعبدُ الملائكة، وأنَّها ليست منحصرة فيمَنْ يَعبدُ الأصنام فقط؛ فلا فرق بين المعبودات؛ بل الكلُّ تسويةُ المخلوق بالخالق، والكلُّ عَدَلَ به تعالى سواه في العبادة، فالكلُّ شركٌ، والكلُّ مُشْرِكُون.

فعَرَفْتَ مِنَ الآيات: أنَّه مثلُهم؛ فبذلك انكشَفت شُبهتُه، وانْدَحَضَتْ حُجَّتُه، وأنَّه في غاية الجهالة عمَّا جاء به الرَّسولُ ﷺ.

فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ، الضَّارُّ، المُدَبِّرُ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، . . . . .

الشُّبهة الثَّالثة: أنَّ الكفَّار يطلبون حوائجهم من آلهتهم وأنا لا أطلب إلَّا شفاعتهم

(فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ) الذين نزل فيهم القرآن - أبو جهلٍ وأضرابُه - (يُرِيدُونَ مِنْهُمْ) من الآلهة التي يدعون، ويطلبون منهم؛ لأنَّهم أبواب حوائجهم إلى اللَّه، فهم يُباشِرونهم بالعبادات، (وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ، الضَّارُّ، المُدَبِّرُ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) والمالك لهم وللمطلوب هو اللَّه، (وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ) أَقْصِدهم ليطلبوا لي من اللَّه الشَّفاعة.

إذا انتقل بعد كَشْف الشُّبهتَيْن الأُولَيَيْن وشبَّه بهذه الشُّبهة:

جوابُها: أنَّ هذا قول الكُفَّار سَواءً بسَواءٍ

(فَالجَوَابُ) عن هذه الشُّبهة: (أَنَّ هَذَا قَوْلُ الكُفَّارِ) بعَيْنه، حرفاً بحرف، (سَوَاءً بِسَوَاءٍ) فإنَّهم مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة؛ أنَّ اللَّه هو المُدبِّر وحده لا شريك له، ما وُجِد شيء مُخَفِّف؛ بل وُجِد منه شيء أعظم منهم - كما تقدَّمت الإشارة إليه في أوَّل الكتاب[1] -.

---

(١) (ص٢٠٢).

وَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، **وَقَوْلَهُ تَعَالَى:** ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾.

الدَّليل على أنَّ المُشْرِكين ما أرادوا إلَّا الشَّفاعة

واقرأ عليه الآيات المُتقدِّمة الدَّالَّة على إقرارهم بالرُّبوبيَّة، **(وَاقْرَأْ عَلَيْهِ)** الآيات الدَّالَّة على أنَّهم ما أرادوا إلَّا الشَّفاعة؛ منها:

(قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمر:٣]**)**؛ فإنَّ في هذه الآية حَصْرَ مطلوبهم؛ وهو شيء واحد: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، يقولون: ليس لنا صلاحيَّة السُّؤال من اللَّه، فنطلب منهم، وهم يَطْلُبونَ لنا من اللَّه.

(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨]**)** ففي هذه الآية: بيان أنَّه ليس لهم قَصْدٌ إلَّا شيء واحد؛ وهو طلب الشَّفاعة إلى ربِّ الجميع.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْماً جَيِّداً؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

الشُّبَه الثَّلاث الأُولى أكبر شُبَه المُشْرِكين

(وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ) هذه والشُّبْهَتَيْن قبلها:

- شبهة انتفاء الشِّرك مع الإقرار بتوحيد الرُّبوبيَّة.
- وشبهة حصر الشِّرك في عبادة الأصنام.
- وشبهة أنَّ الكُفَّارَ يريدون منهم، وأنَّه لا يريد منهم إلَّا الشَّفاعة.

(هِيَ أَكْبَرُ) وأعظم (مَا عِنْدَهُمْ) ما عند المُشْرِكين في هذه الأزمان.

الرَّدُّ على هذه الشُّبَه الثَّلاث بسهولة يدلُّ أن غيرها بطريقِ الأَوْلَى أسهلُ وأسهلُ

(فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْماً جَيِّداً؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا) يعني: إذا صار هذه سهولةُ ردِّ أعظمِ شبههم؛ فغيرُها بطريقِ الأَوْلَى أسهلُ وأسهلُ؛ تجد في النُّصوص أسهل شيءٍ الرَّدَّ عليهم.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَهَذَا الِالْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ؛ فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ العِبَادَةِ لِلَّهِ؟

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ؛ فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ - وَهُوَ إِخْلَاصُ العِبَادَةِ لِلَّهِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ -، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ العِبَادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا؛ . . . . . .

الشُّبهَة الرَّابعة: أنَّ الالْتِجَاء إلى الصَّالحين ودعاءَهم لَيْس عبادة وعنها جوابان

(فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ) إذا أنكر أنَّه مُشْرِك، وادَّعى أنَّه يَعبدُ اللَّه وحده دون غيره، (وَ) أنَّ (هَذَا الِالْتِجَاءَ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ) فلا أكونُ قد عَبدْتُ مع اللَّه غيره.

الجواب الأوَّل: تطلب منه بيان معنى العبادة ثم تُبَيِّن له أنَّ الدُّعاء عبادة وصَرْفَه لغير اللَّه شرك

(فَقُلْ لَهُ) مُجيباً: (أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ العِبَادَةِ لِلَّهِ؟ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ) - لا يمكنه جحد ذلك، وإنْ جحد ذلك كفانا مُؤنةَ الرَّدِّ عليه -، (فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ - وَهُوَ إِخْلَاصُ العِبَادَةِ لِلَّهِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ -) فإذا سألته عن حقيقة ما فرضه اللَّه عليه - وهو يعلم ويُقِرُّ أنَّ اللَّه افترضَ عليه إخلاصها -؛ (فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ العِبَادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا) إذ لو عرفها وأنواعها لَمَا نفاها عن نفسه، ولَمَا قدَّم على عبادة اللَّه غيرَه، لكنَّه من أجهلِ الجاهلين وأضلِّ الضَّالِّين، فإنَّ الجَهْلَ

فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا؛ فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذَا عِبَادَةً لِلَّهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، . . . . . .

أنواعٌ، أعظمُها الجهل باللَّه تعالى وأسمائه وصفاته، وهو أعظم من الجهل بشرعِه ودينِه، فهو مُتغلِّظٌ جهلُه بأمرين:

أحدهما: أنَّه جَهْلٌ بالتَّوحيدِ الذي هو أساس المِلَّة.

والثَّاني: أنَّه جَهْلٌ بشيءٍ مُستفيضٍ واضحٍ عند كلِّ أحد، والجهل بالشَّيء المعلوم الواضح أعظم من الجهل بالشَّيء الخفيِّ.

الدُّعَاء عبادة

(فَبَيِّنْهَا لَهُ) يعني: بيِّن له أنَّ الدُّعاء والطَّلب عبادة، وأحد تعاريف العبادة: أنَّه ما أُمِر به شرعاً من غير اطِّرادٍ عُرْفيٍّ، ولا اقتضاءٍ عقليٍّ، وقد أمرنا اللَّه تعالى بدعائِه وحدَه **(بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥])**، وهذه الآية تفيد ذلك؛ أنَّه يُحِبُّه ويرضاه، والأمر عبادة.

(فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا) إذا أَعْلَمْتَه أنَّ الآيةَ تدلُّ على أنَّه عبادة؛ **(فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذَا عِبَادَةً لِلَّهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ)** لا يمكنه أَنْ يَجحَدَ؛ فإنْ جَحَدَ سقط الكلام معه، وعُرِف أنَّه مكابر،

وَ«الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، خَوْفاً وَطَمَعاً، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيّاً أَوْ غَيْرَهُ؛ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرَهُ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: فَإِذَا عَمِلْتَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: . . . . . .

وانتقِلْ معه إلى الجِلَاد[1] إن أمكن، (وَ«الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ») كما في الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»[2].

دُعَاء غير اللَّه شِرْكٌ

(فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، خَوْفاً وَطَمَعاً، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيّاً أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ) يعني: بعبادة الدُّعاء (غَيْرَهُ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ) إنْ كان عنده التفات إلى الدَّليل، فإنَّ مِنْ لازِم إقرارِه بالأولى إقرارَه بالثَّانية؛ فبذلك انكشَفت شُبهتُه.

النَّحر مثل الدُّعاء

ذَكَر الكلام في الدُّعاء والالتجاء، وزاد المُصنِّف أنَّ مِثْلَ الدُّعاء: النَّحر، فقال: (فَقُلْ لَهُ: فَإِذَا عَمِلْتَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

---

(١) أي: الضَّرب بالسَّيف في القتال. تاج العروس (٧/ ٥١٤).

(٢) رواه التِّرمذيُّ، أبواب الدَّعَوَات، باب فضل الدُّعاء، رقم (٣٣٧١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَنَحَرْتَ لَهُ؛ هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: فَإِنْ نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ - نَبِيٍّ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ غَيْرِهِمَا -؛ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ غَيْرَ اللَّهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ.

وَقُلْ لَهُ أَيْضاً: . . . . . .

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، **وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَنَحَرْتَ لَهُ؛ هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟)** ودَليلُه واضح، وبُرهانُه قاطع، **(فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ)** فإنَّه لا يُمكِنه أنْ يَجْحَدَه.

النَّحْر لغير اللَّه شرك

(فَقُلْ لَهُ: فَإِنْ نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ - نَبِيٍّ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ غَيْرِهِمَا -؛ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ) يعني: عبادة النَّحر **(غَيْرَ اللَّهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ)** ما يمكن أنْ يَجْحَدَ الثَّاني بعد الأوَّل؛ بل إقراره بالأوَّل يُلزِمه الإقرار بالثَّاني.

يعني: وكذلك سائر العِبَادات، إمَّا أَنْ يُقِرَّ أنَّها عبادة أو لا، فإنْ أنكرَ كونها عبادة أقيمت عليه الحُجَّة، فإنْ أَقرَّ خُصِم.

فبهذا ظهر واتَّضح جهلُه وضلالُه، وبهذا انكشَفتْ شُبهتُه، وأنَّ قولَه: (**أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ...**) إلخ؛ مَحضُ جَهلٍ منه، وأنَّ هذا عبادةٌ لغير اللَّه، وتَبيَّن أنَّه عابدٌ غيرَ اللَّه.

(وَقُلْ لَهُ أَيْضاً) تقدَّم الجواب الأوَّل، وهو جوابٌ كافٍ

الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ؛ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ،

الجواب الثَّاني: أنَّ هذا هو شِرْكُ الأوَّلين بعَيْنِه

وافٍ، وأردَفَه المُصنِّف بهذا الجواب الثَّاني عن شُبهتِه السَّابقة - كما هو شأنه رَحِمَهُ اللَّهُ؛ يذكر جواب الشُّبهَة وافياً، ثمَّ يَزيدُه الجواب والجوابين والثَّلاثة - وهي قوله: (**أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَهَذَا الِالْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ**).

(**الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ؛ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ**) لا يُمكِنه أن يُنكِرَ شيئاً أثبتَه القرآن.

واذكر له النُّصوص الدَّالَّة على أنَّهم كانوا يدعون الملائكة، والصَّالحين، واللَّات؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ الآيتين [سبأ: ٤٠-٤١].

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ الآيات [النجم: ١٩-٢٣].

(**فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ،**

وَالذَّبْحِ، وَالِالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟ وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدّاً.

(وَالذَّبْحِ، وَالِالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟) يعني: أنَّه ما كانت عبادتهم إلَّا هكذا، **(وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ)** قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

(وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدّاً) في كَشْفِ شُبهتِه.

فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَتَبَرَّأُ مِنْهَا؟

الشُّبهة الخامسة: مَن يُنكِر طلب الشَّفاعة من الرَّسول ﷺ فهو مُنْكِرٌ لشفاعته ﷺ

(فَإِنْ) انتقل المُشبِّه إلى هذه الشُّبهة الأخرى و(قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَتَبَرَّأُ مِنْهَا؟) هذا من شأن أهل الباطل المُشبِّهين - أهلِ الشِّرك -: المُبَاهَتةُ[1] وإلباسُهم أهلَ الحقِّ الشُّبَهَ الباطِلَة، إذا أَنْكَرتَ عليهم دعاء غير اللَّه وشركيَّاتهم وضلالتهم أخذُوا في الطَّعن في أهل التَّوحيد، وقالوا: إنَّكم تُنْكِرُون الشَّفاعة، وأنتم تَنْتَقِصُون الأولياء والصَّالحين - وليس كذلك -، خالفوا طريقة الرُّسُل، وألزموهم أن يكونوا راضين بذلك، وهذا عكس ما دَعَوْهُم إليه.

مِنْ شأن أهل الباطل: البُهتان وإلْبَاسُ أهلِ الحقِّ الشُّبَهَ الباطِلَة

الدَّاعي للجواب عن الشُّبَه وتوضيحها: ترويجُ أهل الخرافات لها

فهو[2] في الأصل من توضيح الواضح، فما الحاجة إلى التَّصدِّي للبحث في ذلك؟

شيء لازم بواسطة ترويج أهل الخُرافات، وإلَّا فإعطاؤُه ﷺ الشَّفاعةَ أَشهرُ من أن يُذكَر، وكونُ طلَبِها منه شركاً شيءٌ واضحٌ، وكونهم ما قصدوا ممَّن عبدوه إلَّا الشَّفاعة، لم يقصدوا أنَّه يَنْفعُهم بذاته[3].

---

(١) أي: البُهْتَان؛ وهو الكَذِب. تاج العروس (٤/ ٤٥٢).

(٢) أي: كشف هذه الشُّبهة.

(٣) شيءٌ واضح أيضاً.

فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا، وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا؛ بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ المُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ، وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾، . . . . . .

الجواب عن الشُّبهة بأربع مُقدّمات

(فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا، وَ) أَوْلَى من ذلك أن (لَا أَتَبَرَّأَ مِنْهَا) وهي أَصلاً لأهل التَّوحيد دون غيرهم؛ (بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ المُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ)؛ بل أنا وأمثالي أَرْجَى لشَفاعَتِه؛ لكوني مُتمسِّكاً بسُنَّته؛ بل هم المَحرُومون لكونهم تَعلَّقوا بأذيالٍ لا توصلهم؛ بل هم تركوا سبب شَفاعَتِه ﷺ.

المُقدّمة الأولى: الشَّفاعة كلُّها للَّه

(وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ) فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يملكها استقلالاً؛ بل لا يشفع إلَّا في أناسٍ مخصوصين قائم بهم التَّأهُّل لأن يشفع لهم[1]؛ (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمر: ٤٤]) هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزُّمر: ٤٣]، فاللَّام عند جميع العلماء للمِلْك[2]، فبيَّنت الآية أنَّ الشَّفاعةَ مِلْك للَّه وحده، وكون النَّبيِّ ﷺ

(١) كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ - وفيه -: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدّاً، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ...» رواه البخاريُّ، رقم (٤٤٧٦)، ومسلم، رقم (١٩٣).

(٢) نقل السُّبْكيُّ في الإبهاج في شرح المنهاج (٣/ ١٦٦): اتَّفاق أئمَّة اللُّغة على أنَّ =

وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَرْضَى. . . . . .

أُعطيها لا استقلالاً من دون اللَّه؛ بل أَكْرَمَه المالك لها، لأُناسٍ مخصوصين، في مقدارٍ مخصوص؛ فهي شيءٌ محدودٌ لشيءٍ محدودٍ.

المُقَدِّمة الثَّانية: الشَّفاعة لا تكون إلَّا من بعد إذن اللَّه

(وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾) يعني: لا أحد، وإن عَظُمَتْ منزلتُه، فأيُّ قائلٍ، وأيُّ إنسانٍ يُخرِج النَّبيَّ ﷺ من هذا العموم؟! (﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]) فالنَّبيُّ ﷺ إذا أُذِن له أن يَشفعَ شفع، وأهل الباطل مثَّلوا اللَّه بمُلُوك الدُّنيا، وأنَّهم يشفعون عندهم من دون إذنٍ.

المُقَدِّمة الثَّالثة: النَّبيُّ ﷺ لا يشفع في أحدٍ إلَّا بعد أن يأذن اللَّه فيه

(وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]) يعني: مَنْ رضي اللَّه قولَه وعملَه.

المُقَدِّمة الرَّابعة: اللَّه لا يأذن بالشَّفاعة إلَّا في أهل التَّوحيد

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَرْضَى) من عباده إلَّا عملاً واحداً، هو الإسلام، والذي يدور عليه هو التَّوحيد؛ فالتَّوحيد مَنزلتُه من الإسلام كمَنزلةِ الأساس من البُنْيَان، فالمحور هو التَّوحيد،

= اللَّامَ موضوعة للمِلْك.

إِلَّا التَّوْحِيدَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذَنُ اللَّهُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَأَطْلُبُهَا مِنْهُ، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي

والرَّبُّ لا يرضى (**إِلَّا التَّوْحِيدَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾** [آل عمران: ٨٥])، وقال عن المُشْرِكِين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

أربع مُقَدِّمات لإثبات أنَّ الشَّفاعة لا تُطلَب إلَّا من اللَّه

(**فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ**) كما في الآية الأولى.

(**وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**) كما في الآية الثَّانية.

(**وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ**) كما في الآية الثَّالثة.

(**وَلَا يَأْذَنُ اللَّهُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ**) كما في الآية الرَّابعة.

(**تَبَيَّنَ لَكَ**) بذلك كلِّه - بل بعضُه كافٍ -: (**أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ**) مِلْك له وحده، وأنَّها لا تُطلَب من غير اللَّه؛ بل تُطلَب من اللَّه، (**وَأَطْلُبُهَا مِنْهُ**) فأَطْلُبُها بما هو دعاءٌ لربِّ العالمين، المالك لها وحده - لا دعاء للنَّبيِّ -، (**فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي**

شَفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالَ هَذَا.

شَفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالَ هَذَا) أو ما هذا معناه؛ فإنَّك إذا قلت ذلك نِلْتَها، ومُرادُه: أنَّك تَطْلُبُه بالمعنى ولو ما لَفَظْت؛ فإذا عَمِلْتَ بالتَّوحيد فأَنتَ تَطْلُب أسباباً فيها نيلُ الشَّفاعة، سواء قلت باللَّفظ أو لا.

فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ!

فَالجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، . . . . . .

الشُّبهَة السَّادسة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُعطِي الشَّفاعة وأنا أطلُبُها منه وعنها جوابان

(فَإِنْ قَالَ) المُشبِّه: (النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ) إعطاءً مُطلقاً، (وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ!) إنِ انتقل المُشبِّه لهذه الشُّبهة، وزعم أنَّها نائلته وأضرابه؛ في زعمه: أنَّه كما أنَّ مَنْ أُعطيَ المال يُعطي مَنْ شاء، فكذلك مَنْ أُعطيَ الشَّفاعة.

الجواب الأوَّل: أنَّ اللَّه أعطاه الشَّفاعة ونَهَى عن طَلَبِها منه

(فَالجَوَابُ): نعم (أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ) وهو ﷺ سيِّد الشُّفعاء، ولكن الذي أعطاه الشَّفاعة (وَ) هو اللَّه، (نَهَاكَ عَنْ هَذَا) نهاك أن تَطْلُبَها منه، فهذا من جهله يطلب شيئاً مَنهيّاً عنه؛ مع أنَّ إعطاءَه الشفاعة إعطاءٌ مقيَّدٌ لا مطلق، كما أنَّ إعطاءَه المال ﷺ لا يُعطيه مَنْ شاء، إنَّما يُعطيه مَن أُمِر أن يُعطيَه.

أيُّ مُلازَمةٍ بين كونه أُعطيَ الشَّفاعة وبين كونها تُطلَب منه؟! والمُشْرِكُون أكثر ما يَعبدُون صلحاء، ومع ذلك أيُّ دليل على طلبها؟ أقرَّ ﷺ أَحَداً؟ أو جاء شيء من النُّصوص؟! الصَّحابة طلبوه إيَّاها؟! أو قال: اطلبوني إيَّاها؟! بل النُّصوص جاءت بالنَّهي عن ذلك.

الدَّليل على أنَّ اللَّه نَهَى عن طلب الشَّفاعة من الرَّسول ﷺ

(فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]) وما دعاءُ

فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فِيكَ؛ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

غيرِ اللَّه؟

هو أن يقول: يا فلان اشفع لي؛ هذا شركهم، يدعون مخلوقاً رجاء شفاعته.

فصار لا فرق بين أن يُصَرِّح بنفس تلك العبارة فيقول: اشفع لي، أو يذبح له لأن يشفع له.

عبادة المُشْركين الأوَّلين إنَّما كانت بالدُّعَاء وطَلَبِ الشَّفاعة من آلهتهم

فهذا نهيٌ عن دعوة غير اللَّه، ودعوةُ غير اللَّه أنواع؛ منها: دعوة غير اللَّه فيما يرجونه من شفاعتهم، ومنها: دعوة غير اللَّه لكَشْف الكربات، ونحو ذلك؛ وهذا منهيٌّ عنه؛ بل هو حقيقة دين المُشْرِكين الأوَّلين؛ إنَّما كانت عبادتُهم آلهتَهم بالدُّعاء وطلبِ الشَّفاعة ونحو ذلك - كما تقدَّم[1] -.

سَبَبُ نَيْلِ شفاعة النَّبيِّ ﷺ طاعته وإخلاص العمل للَّه

(فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ) الظَّاهر أنَّ مُرادَه: ترجو اللَّه **(أَنْ يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فِيكَ؛ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾)** إذا كنتَ تَرجُو أن تكون أهلاً لشفاعة سيِّد الشُّفَعَاء، فوَحِّد اللَّه وأخلِصْ له العمل؛ تَنَلْ شفاعة المُصْطَفَى ﷺ؛ فإنَّ الشَّفاعةَ التي هي حقٌّ وأُعطيَها ﷺ مَشْرُوطةٌ بشُروطٍ - كما تقدَّم -، وبيَّنت الشَّرِيعَة أنَّ

---

(١) (ص١٩٩).

. . . . . .

سببَ نَيْلها: اتِّباعُ الرُّسُل وإخلاصُ العمل، فبذلك تكون من أهل الشَّفاعة، فالمُشْرِكُون ضَيَّعوا سبب الشَّفاعةِ وضَادُّوه وخَالفوه.

الشَّريعة بيَّنت أنَّ سببَ إعطائه إيَّاها غيرُ طلبِها منه ﷺ، وإنَّما سببها الإيمان به ﷺ، والإيمان بما جاء به؛ كما جاء ذلك بالنَّصِّ عنه ﷺ في حديث أبي هريرة: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ فَقَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ»[1]، وقال: «فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً»[2]، فالشَّفاعة للعُصَاة، أمَّا المُشْرِكُون: فلا شفاعة لهم؛ قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٨]؛ يعني: لا يعلم أنَّ من دونه شفعاء، وما لا يعلمه اللَّه فهو باطلٌ، وليس بشيءٍ.

شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ للعُصَاة أمَّا المُشْرِكون فلا شفاعة لهم

البحث في شفاعة نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ:

أقسامُ النَّاس في شفاعة نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ

(١) رواه البخاريُّ، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النَّبيِّ ﷺ دعوة الشَّفاعة لأُمَّتِه، رقم (١٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً».

وَأَيْضاً: فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَصَحَّ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ، فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟ . . . . .

اليهود والنَّصارى: يُنكِرون شفاعةَ نبيِّنا ﷺ.

وقِسمٌ من النَّاس: يُثبِتُها ويغلو فيها كالوَثنيَّة.

وقِسمٌ كأهل السُّنَّة: يُثبِتُها في العُصَاة من المُوحِّدين.

وقِسمٌ: يُنكِرون الشَّفاعةَ في عُصَاة المُوحِّدين[١].

الجواب الثَّاني: أنَّ الشَّفاعةَ أُعطِيَها غيرُ الرَّسولِ ﷺ فإن قال: أَطلُبُها منهم رجع إلى عبادة الصَّالحين وإن قال: لا أطلبها بَطَلَتْ شُبهتُه

(وَأَيْضاً: فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ) هذا جوابٌ ثانٍ لكَشْف الشُّبهة السَّابقة؛ تقدَّم الأوَّل وهو كافٍ شافٍ في كشفِ شُبهتِه، وهذا الثَّاني: فجِنسُ الشَّفاعة أُعطِيَها غيرُ النَّبيِّ ﷺ؛ وليست خاصَّة به ﷺ **(فَصَحَّ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ[٢]، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ[٣])**، ولكن هذا الإعطاء مُقيَّد.

(أَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ، فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟) يعني:

---

(١) كالخَوَارِج والمُعْتَزِلَة.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرُّؤية، رقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب الجنائز، باب فضل مَنْ مات له ولد فاحتسب، رقم (١٢٥١)، ومسلم، كتاب البِرِّ والصِّلة والآداب، باب فضل مَنْ يموت له ولد فيحتسبه، رقم (٢٦٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا؛ رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنْ قُلْتَ: لَا؛ بَطَلَ قَوْلُكَ: «أَعْطَاهُ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ».

مقتضى قوله: النَّبيُّ ﷺ أُعطيَ الشَّفاعة وأنا أَطلُبُها منه؛ يدلُّ على ذلك، يعني: أن يقول: إنَّ اللَّه أَعْطَى الملائكةَ والأولياءَ والأفراطَ الشَّفَاعَةَ، فأنا أَطْلُبُهَا منهم.

(فَإِنْ قُلْتَ هَذَا؛ رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ) فإنَّها ليست أكثر من دعائهم والذَّبح لهم؛ لقَصْد تقريبهم إلى اللَّه وطَلَب شفاعتهم لا غير، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ الآية [الزُّمر: ٣].

(وَإِنْ قُلْتَ): أنا (لَا) أَطلُبُها منهم ولو أُعْطُوها؛ (بَطَلَ قَوْلُكَ: «أَعْطَاهُ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ»)، واتَّضَح لك أنَّ كون شخص أُعطِيَها لا يدلُّ على أنَّه يُعطيها مَنْ سألها، وَلَلَزِمَ من ذلك أن يكون كلُّ مَنْ طُلِبَ الشَّفاعة يُعطِي إيَّاها مَنْ سألَه، ولَفَسدت الشَّرائع.

فدلَّ على أنَّ إعطاءَه[1] الشَّفاعة مُقيَّد، وليس دالّاً على أنَّها تُطلَب منه؛ ولو كانت تُطلَب منه لكان الصَّحابة أَوَّل مَنْ يَطْلُبها

---

(١) أي: إعطاءُ اللَّه النَّبيَّ ﷺ.

. . . . . .

منه؛ بل أَنْكَر زين العابدين[١] على مَنْ أتى إلى فُرْجةٍ كانت عند قبر النَّبيِّ ﷺ فيَدْخُل فيها فيَدْعُو[٢].

وحينئذٍ انكشَفت شُبهتُه، وانْدَحَضَتْ حُجَّتُه، وتبيَّن لك بذلك جَهلُه وضَلالُه.

(١) هو: زين العابدين أبو الحسن عليُّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، ثقة، ورع، مأمون، كثير الحديث، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٩٤هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٦)، البداية والنِّهاية (١٢/ ٤٧٩).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، رقم (٤٦٩)، ولفظه: «عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو؛ فَنَهَاهُ. فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ».

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، حَاشَا وَكَلَّا! وَلَكِنَّ الِالْتِجَاءَ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزِّنَى، وَتُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ؛ فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟! فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟

الشُّبهَة السَّابعة: أنَّ الالتجاءَ إلى الصَّالحين لَيْس بشِرْكٍ

(فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، حَاشَا وَكَلَّا! وَلَكِنَّ الِالْتِجَاءَ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ) يعني: نفى عن نفسه الشِّرك.

جوابها: يُسأَل عن الشِّرك ما هو؟ فإنَّه لا يَدري، فكيف يُبَرِّئُ نفسَه من الشِّرك وهو لا يَعرِفُه؟!

(فَقُلْ لَهُ) مُجيباً بالاستفصال والتَّحدِّي حتى تَنْكَشِف شُبهتُه: (إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزِّنَى، وَتُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ) وهو لا يُمْكِنُ أن يَجحَدَه (فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟!) يعني: فسِّر لي حقيقة الشِّرك باللَّه؟ يعني: وما معنى عبادة اللَّه؟ (فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي) عن الشِّرك، ولا عن التَّوحيد، إذا طَلَبْتَ منه بيان هذا وبيان هذا وَقَفَ؛ فأين هذا من التَّوحيد؟!

(فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟) فإنَّ الحُكْمَ على الشَّيء - نفياً وإثباتاً - لا بدَّ أن يكون بعد العلم والتَّصوُّر، فلا عَرَفْتَ الشِّرك حتى تنفيَه، ولا عَرَفْتَ التَّوحيد حتى تُثبِتَه.

كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؛ وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَعْرِفُهُ؟ أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُحَرِّمُهُ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!

عدم معرفة الشِّركِ يَدلُّ على عدم معرفة الدِّين

(كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ) في كتابه (أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؛ وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَعْرِفُهُ؟) عدم معرفتك له وعدم مبالاتك به يَدلُّ على أنَّك لا تعرف دينك، وأنَّك لست من التَّديُّن في شيء، صادٌّ غافلٌ مُعرِضٌ عن الدِّين ومَعرفَتِه، فحقُّك السُّكوت، ولأيِّ شيء تتكلَّم؟!

مَنْ ظنَّ أنَّ اللَّه حَرَّم الشِّرك ولم يُبَيِّنه فقد ضَلَّ ضلالاً أعظَمَ من ضلال ذَنْب الشِّرك

(أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُحَرِّمُهُ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!) فإنْ ظنَّ ذلك فقد ضلَّ ضلالاً أعظمَ من ضلاله الأوَّل، وأضاف إلى ذلك كفراً آخر؛ فإنَّ اللَّهَ قد بيَّن لنا الدَّقيق والجَلِيل، وأَكْمَلَ لنا الدِّين، وإنَّما صدر منه ذلك لأنَّه كان فيه، وغَمَره واسْتَحْكَم عليه، ولا دَرَى أنَّه في الشِّرك.

فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ!

فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ وَالأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟! فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ.

وَإِنْ قَالَ: هُوَ مَنْ قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَراً، أَوْ بِنْيَةً عَلَى قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ؛ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ . . . . . .

الشُّبهَة الثَّامنة: الشِّرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام وعنها جوابان

(فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ!) فإن انتقل إلى هذه الشُّبهة؛ زعم أنَّ الشِّرك عبادة الأصنام بخصوصه، وهو في زعمه أنَّه لا يَعبدُ الأصنام؛ بل وَلِيّاً.

الجواب الأوَّل: يقال له: إن كان معنى عبادة الأصنام أنَّها تخلق فهذا يُكَذِّبه القرآن وإن كان معناها أنَّهم يدعونها لتُقَرِّبهم إلى اللَّه زُلْفَى فقد أقرَّ أنَّ فِعْلَهم هو عبادة الأصنام

فجَاوبْه بالاستفسار والتَّحدِّي، فبه يَنْدَحِضُ وتَنْكَشِف شُبهتُه، ويَظهرُ جَهلُه وضلالُه، وأنَّه أجنبيٌّ ممَّا عليه المُرْسَلُون، وما هو دين المُشْرِكِين: (فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ) التي حَصَرْتَ الشِّركِ فيها؟ (أَتَظُنُّ) أنَّ حقيقتَها (أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ وَالأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟!).

فإن قال: نعم؛ (فَ)قل له: (هَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ) ويَردُّه؛ فإنَّ القُرآنَ دالٌّ على أنَّهم لا يعتقدون فيها ذلك أصلاً.

(وَإِنْ قَالَ: هُوَ مَنْ قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَراً، أَوْ بِنْيَةً عَلَى قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ؛ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ

زُلْفَى، وَيَدْفَعُ اللَّهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ، أَوْ يُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ.

فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ وَالأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَى القُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؛ وَهُوَ المَطْلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً: قَوْلُكَ: «الشِّرْكُ عِبَادَةٌ. . . . . .

زُلْفَى، وَيَدْفَعُ اللَّهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ، أَوْ يُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ).

(فَقُلْ: صَدَقْتَ) هذا تفسيرٌ لعبادة الأصنام صحيح، وهو حقيقة تفسيرها، **(وَهَذَا هُوَ)** بعَيْنِه **(فِعْلُكُمْ)** الذي وقعتُم فيه **(عِنْدَ الأَحْجَارِ وَالأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَى القُبُورِ وَغَيْرِهَا)** وهذا المطابِق.

(فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؛ وَهُوَ المَطْلُوبُ) المطلوب: إقرارُه بالحقِّ وكَشْف شُبهتِه، وقد انكشَفت شُبهتُه وانْدَحَضَتْ حُجَّتُه، وتبيَّنت جَهالتُه وضَلالتُه.

حاصل الجواب الأوَّل

وحاصلُه: أنَّك تقول: هل هم يعتقدون أنَّها تَخلقُ؟

فإن قال: نعم؛ فبَيِّنْ له الآيات الواردة في ذلك.

(وَإِنْ قَالَ: هُوَ مَنْ قَصَدَ...) إلخ؛ فقل: نعم، وهذا هو فِعْلُكُم.

فهو إمَّا أن يُفسِّرَه بباطل؛ فيُبَيَّن له باطلُه، وإمَّا أن يُقِرَّ أنَّ فِعْلَهُم موافق له؛ فتَنْكَشِف شُبهتُه، وتندحض حُجَّتُه.

الجواب الثَّاني: الشِّركُ لَيْس مَخْصُوصاً بعبادة الأصنام

(وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً) هذا جوابٌ ثانٍ له: **(قَوْلُكَ: «الشِّرْكُ عِبَادَةُ**

الأَصْنَامِ»؛ هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟ فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى المَلَائِكَةِ، أَوْ عِيسَى، أَوِ الصَّالِحِينَ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ: أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَداً مِنَ الصَّالِحِينَ؛ فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ؛ وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

الأَصْنَامِ»؛ هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا) مَحْصُورٌ دون عبادة مَنْ سواهم؟ **(وَأَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ)** والأنبياءِ والأولياءِ والملائكةِ ونحوِ ذلك **(وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ)** لا يكون شركاً؟

فإن قال: نعم.

(فَ) قل له: **(هَذَا)** أَمرٌ باطلٌ **(يَرُدُّهُ)** ويُبْطِلُه **(مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى المَلَائِكَةِ، أَوْ عِيسَى، أَوِ الصَّالِحِينَ)** فإنَّ القرآنَ العزيزَ بيَّن كُفْرَ من تعلَّق على هؤلاء، وكُفْرَ من تعلَّق على هؤلاء - كما تقدَّم[1] -، وأنَّ عبادةَ الأصنام قِسمٌ من أقسام الشِّرك.

(فَلَا بُدَّ) حِينئذٍ **(أَنْ يُقِرَّ لَكَ: أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَداً مِنَ الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ؛ وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ)** وتبيَّن أنَّ مَنْ عَبَدَ صنماً أو وثناً أو غير ذلك؛ فهو مُشْرِك، وبهذا تَنْكَشِف شُبهتُه وتَنْدَحِض حُجَّتُه.

---

(١) (ص٢٥٣) وما بعدها.

وَسِرُّ المَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ؛ فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللَّهِ؟ فَسِّرْهُ لِي!

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؛ فَقُلْ: وَمَا مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي!

خلاصةُ الجواب عن الشُّبهة السَّابعة والثَّامنة والرَّابعة

(وَسِرُّ المَسْأَلَةِ) يعني: خالص وحاصل الأجوبة عن الشُّبَه الثَّلاث[١].

فالمُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكَرَ أوَّلاً جواب الشُّبَه - خصَّ كلَّ شبهةٍ بجواب، وبعضها بجوابين -، ثمَّ ذكر جوابها هنا على سبيل اللَّفِّ بعد النَّشْر[٢]:

(أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ[٣]).

تَسأَلُه عن معنى الشِّرك

(فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللَّهِ؟) ما معنى الشِّركِ باللَّه؟ (فَسِّرْهُ لِي!).

(فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ[٤]).

تَسأَلُه عن معنى عبادة الأصنام

فَقُلْ: وَمَا مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي!

---

(١) وهي الشُّبهة السَّابعة والثَّامنة والرابعة.

(٢) والمُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا نَشَر ثم لَفَّ.
واللَّفُّ والنَّشْر هو: أن تَذكُر شيئين ثمَّ تأتي بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأنَّ السَّامعَ يَرُدُّ إلى كلِّ واحدٍ منهما ما له، كقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]. نهاية الأَرَب في فنون الأدب (٧/ ١٢٩)، التعريفات (ص١٩٣).

(٣) وهي الشُّبهة السَّابعة كما في (ص٢٧٩).

(٤) وهي الشُّبهة الثَّامنة كما في (ص٢٨١).

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ؛ فَقُلْ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي!

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ القُرْآنُ؛ فَهُوَ المَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ؛ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئاً وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ؟!

وَإِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ؛ بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ؛ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، . . . . . .

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ[1].

تَسأَلُه عن معنى عبادة اللَّه وَحدَه

فَقُلْ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي!.

للمُشَبِّه مع الأَسْئِلَة السَّابقة ثلاثة أحوال

(فَإِنْ فَسَّرَهَا) فَسَّر الثَّلاثة **(بِمَا بَيَّنَهُ القُرْآنُ؛ فَهُوَ المَطْلُوبُ)** وحِينئذٍ كفانا مُؤنةَ جوابِه.

(وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ؛ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئاً وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ؟!).

(وَ) حالة ثالثة: **(إِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ؛ بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ؛ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ)**.

يعني: أنَّ حاصلَ الجواب عن الشُّبَه الثَّلاث المُتقدِّمة: أنَّك

---

(١) وهي الشُّبهة الرَّابعة كما في (ص٢٦٢).

وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ فِيهِ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا:

تسأله وتَتحدَّاه؛ فله ثلاثة أَحوَال:

- أحدها: أن يتوقَّف - فقل له: أنت لا تعرف الحقَّ من الباطل -، فإذا حادَ ولا دَرَى ووقف فهو كافٍ في ردِّ شبهه، وحينئذٍ كفانا مُؤنَة جوابه؛ فإنَّ هذا حال كثير ممَّنْ يَعبدُ الأصنام؛ لا يدري عن الشِّرك ولا أهله، ولا دَرَى عن عبادة الأصنام، ولا ميَّز عبادة الأصنام من غيرها.

- وإن فسَّرها بما فسَّره القرآن؛ فهذا أيضا كفانا مُؤنتَه، وهَدَم أصله الذي بنى عليه[١].

- وإن فسَّره بالبَاطِل المُخالِف لتفسير القرآن؛ بَيَّنتَ له الآياتِ الوَاضحاتِ في معنى الشِّرك باللَّه وعبادة الأوثان[٢].

فالحاصلُ: أنَّه يَتحصَّلُ منه تسعُ صُوَر، من ضَرْب ثلاث الشُّبَه في جوابه[٣].

المُشْرِكون يُنكِرُون على المُوَحِّدين عبادة اللَّه وَحدَه

(وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) وهو توحيدُه؛ **(هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ فِيهِ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا)** في

(١) وهذه الحالة الثَّانية. (٢) وهذه الحالة الثَّالثة.

(٣) أي: كلُّ واحدةٍ من الشُّبَه الثَّلاث يُتصوَّرُ فيها من المُخالِف ثلاثة أحوال، فمجموع ما يتحصَّلُ من ذلك تِسعُ صوَر؛ وذلك بضرب كلِّ واحدة من الشُّبَه الثَّلاث في الثَّلاثة الأحوال.

﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾.

إنكارِهم التَّوحيد على الرَّسولِ ﷺ لَمَّا دَعَاهُم: (﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]) استنكروا أن يجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً.

كثيرٌ ممَّن يَنْتَسِب إلى الإسلام مِن هذه الأمَّة لَيْسُوا على الدِّين إنَّما معهم اسمُه فقط

وبه تَعرف أنَّ كثيراً ممَّنْ ينتسب إلى الإسلام مِنْ هذه الأمَّة ليسوا على الدِّين، إنَّما معهم اسمُه فقط، ولا يعرفون ما هو شرك الأوَّلين؛ شرك الأوَّلين ليس أكثر من اعتقادهم أنَّ أحدَهم يطلب ممَّنْ يعتقد فيه أن يطلب له من اللَّه، وأنَّه باب وسائطهم وحوائجهم إلى اللَّه، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمر:٣].

فلو عرَف أحدهم شركَ الأوَّلين وشركَ أهل هذا الزَّمان لوجده هُوَ هُوَ، بل مُشْرِكُو هذه الأزمنة أعظم من شرك أولئك بكثير؛ لِمَا يأتيك من كلام المُصنِّف.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الِاعْتِقَادَ»؛ هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ وَلَا يَدْعُونَ المَلَائِكَةَ وَالأَوْلِيَاءَ وَالأَوْثَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ لِلَّهِ الدُّعَاءَ؛ . . . . . .

شِرْكُ المُتأخِّرين هو عَيْنُ شِرْكِ الأوَّلِين

(فَإِذَا عَرَفْتَ) ممَّا تقدَّم (أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الِاعْتِقَادَ») وقد يُسمُّونه: «التَّوسُّل»؛ (هُوَ الشِّرْكُ) الأكبر الذي كان عليه قريشٌ وأضرابُهم، (الَّذِي نَزَلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ) وتَحقَّقتَ ما قدَّمتُه لك مِنْ كَشْفِ الشُّبَه المُتقدِّمة.

شِرْكُ الأوَّلين أخف من شِرْكِ أهل زماننا بأمرَيْن

(فَاعْلَمْ) أمراً آخَر وهو: (أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ) فشركُ أهلِ زماننا أعظمُ وأكبرُ، وكونُ شركِ أهل زماننا أغلظَ وأكبرَ بهذين الأمرَيْن ليس دليلاً على أنَّه لا يَتغلَّظ إلَّا بهذين الأمرَيْن؛ بل يريد أنَّه تَغلَّظ بهذين الأمرَيْن:

الأمر الأوَّل: أنَّ الأوَّلين لا يُشْركون إلَّا في الرَّخاء وأمَّا في الشِّدَّة فيُخْلِصون للَّه الدُّعاء ومُشْركي زماننا شِرْكُهم دائم

(أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ وَلَا يَدْعُونَ المَلَائِكَةَ وَالأَوْلِيَاءَ وَالأَوْثَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ لِلَّهِ الدُّعَاءَ) وإنَّما كان هذا حال المُشْرِكين الأوَّلين؛

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، . . . . . .

لأنَّهم أصحُّ عُقولاً وأَفْهَمُ في هذه الأمور؛ لعِلْمِهم أنَّه لا يُنجِّي في المضايق والكروب إلَّا اللَّه، فيُخلِصون للَّه الدِّين؛ ولهذا لَمَّا سأل النَّبيُّ ﷺ حُصَيْناً رضي الله عنه: «كَمْ إِلَهاً تَعْبُدُ؟ قَالَ: سَبْعَةً؛ سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِداً فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَمَنِ الَّذِي تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ»[1].

الأدلَّة على أنَّ الأوَّلين يُخْلِصُون في الشِّدَّة

(**كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾) يعني: ذهب عنكم مَنْ تدعون سواه، (﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾) عن إفراده بالعبادة واللَّجأ إليه، (﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]).

(**وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، أبواب الدَّعوات، رقم (٣٤٨٣)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزُّمر: ٨].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾) لأنَّه خَطَرٌ من الغَرَق يخافون منه **(﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾** [لقمان: ٣٢]).

هذه الآيات ونَظَائِرُها دالَّةٌ على أنَّ المشركين الأوَّلين في الشِّدَّة لا يدعون إلَّا اللَّه وَحدَه لا شريك له.

وأمَّا زماننا: فشِرْكُهُم في الحالتين جميعاً؛ بل إذا كانوا في الشِّدَّة نَسُوا اللَّه بالكُلِّيَّة، ولَهِجُوا بمعبوداتهم من دون اللَّه - والعياذ باللَّه -، فأهلُ زمانِنا إذا رَكِبُوا في البحر وتَلَاطَمَتْ عليهم الأمواج، لَهِجُوا بمَنْ يدعونه مِنْ دون اللَّه؛ سواء كان من الأموات أو غيرهم، هذا يقول: يا متبولي[1]، يا عَيْدَروس[2]

---

(١) هو: إبراهيم بن علي بن عمر المتبوليُّ، من بلدة متبول بمصر، صوفي، لبعض العامَّة فيه اعتقاد وغلوٌّ، تُوفِّي بالمنوفيَّة سنة (٨٧٧هـ). نظم العقيان (ص٢٣)، الضَّوء اللَّامع (١/ ٨٥)، بدائع الزُّهور (٣/ ٨٨).

(٢) هو: أبو بكر بن عبد اللَّه العيدروس العَدَنيُّ، كان من دعاة السَّماع الصُّوفيِّ المليء بالمنكرات، يَصِفُه الصُّوفيَّة بـ«القُطب الأكبر»، بُنِي على قبره قبَّة كبيرة، ويدعوه بعض النَّاس من دون اللَّه، تُوفِّي سنة (٩١٤هـ). الصوفيَّة في حضرموت (ص١٣١).

فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - وَهِيَ: أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضُّرِّ وَالشِّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْسَوْنَ

يا بدوي[1]، يا عبد القادر، يا علي، يا حسين، يا فلان.

أين شرك هؤلاء من شرك الأوَّلين؟!

تَفَنُّن مُشْرِكي زَمانِنا في شِرْكِهم

بَيْن الشِّركَيْن فرقٌ بعيدٌ؛ بل مُشْرِكُو زماننا زادوا في شركهم بفنونٍ زادوها، وضُرُوبٍ جدَّدُوها في شركهم.

ثمَّ قال المُصنِّف: **(فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ)** حقيقة الفهم، وفَهِمَ عن اللَّه ورسولِه، وسَلِمَ من التَّعصُّب والهوى، وسَلِمَ من الجهل؛ **(وَهِيَ: أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضُّرِّ وَالشِّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْسَوْنَ**

مَنْ فَهِم أنَّ المُشْرِكين الأوَّلِين يُشْرِكون في الرَّخاء وأمَّا في الشِّدَّة فلا يدعون إلَّا اللَّه تَبَيَّن له الفَرْق بين شِرْك أهل زَمانِنا وشِرْك الأَوَّلِين

---

(١) هو: أحمد بن علي بن إبراهيم بن مُحمَّد القدسيُّ الأصل، ثمَّ المصريُّ، ولد سنة (٥٩٦هـ)، عُرِف بـ«البدويِّ» لملازمته اللِّثَام، رُمِي بالجنون، كان يقوم على سطح دار لا يفارقه، وإذا عرض له الحال يصيح صياحاً مُتَّصلاً.
قال أبو حيَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «جلسنا لانتظار إقامة الجمعة، فلمَّا فرغ الخطيب وأقيمت الصَّلاة وضع رأسه في طوقه بعدما قام قائماً، وكشف عن عورته بحضرة النَّاس، وبال على ثيابه وحُصُرِ المسجد، واستمرَّ ورأسه في طوق ثوبه وهو جالس إلى أن انقضت الصَّلاة ولم يصلِّ».
تُوفِّي بطنطا سنة (٦٧٥هـ). الضَّوء اللَّامع (٩/ ١٥٠)، حسن المحاضرة (١/ ٥٢١).

سَادَاتِهِمْ -؛ تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ المَسْأَلَةَ فَهْماً جَيِّداً رَاسِخاً؟! وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ.

سَادَاتِهِمْ؛ تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ)

سَبَب ضَلَال المُتأخِّرين: تَرْكُهم القرآن والإعراض عنه

يعني: أنَّ شرك أهل زماننا أعظمُ وأكبرُ وأَطَمُّ؛ وإنَّما ضَلُّوا بتَرْكِهم القرآن، والإعراضِ عنه، والتَّفهُّم والتَّدبُّرِ.

(وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ المَسْأَلَةَ فَهْماً جَيِّداً رَاسِخاً؟!)

لينجو من الجهل.

المُشْركون لم يَنْقَرِضُوا بل عَقَّبُوا وخَلَّفُوا شرّاً منهم بكَثيرٍ

ولا يُظَنَّ أنَّ المُرادَ أنَّهم قوم كانوا فبانوا ولم يُعقِّبوا[1]، وفي الحقيقة إن كانوا وبانوا لقد عَقَّبوا مَنْ هو شَرٌّ منهم بكثير؛ **(وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ)**.

---

(١) أي: أنَّ المُشْرِكِين في زماننا ظنُّوا أنَّ الشِّركَ الذي نزل فيه القرآن، وقَاتَلَ رسول اللَّه ﷺ النَّاسَ عليه كان لقومٍ انقطعوا ولم يكن لهم مَنْ يخلفهم.

الأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاساً مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ؛ إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَاراً أَوْ أَشْجَاراً مُطِيعَةً لِلَّهِ وَلَيْسَتْ عَاصِيَةً، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاساً مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ . . .

الأمر الثَّاني: أنَّ المُشْركين الأوَّلين يَدْعُون مع اللَّه أُنَاساً مُقَرَّبين عند اللَّه ومُشْركي زماننا يَدْعُون مع اللَّه أُنَاساً مِن أفسقِ النَّاس

تقدَّم الأمر الأوَّل، و(**الأَمْرُ الثَّانِي**) الذي صار به المُشْرِكُون الأوَّلون أخفَّ شركاً من أهل زماننا:

(**أَنَّ**) المُشْرِكِين (**الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاساً مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ؛ إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً**) أو صالحين، (**أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَاراً أَوْ أَشْجَاراً مُطِيعَةً لِلَّهِ وَلَيْسَتْ عَاصِيَةً**) الكَائِناتُ كلُّها مُطِيعَة للَّه؛ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ [النَّحل: ٤٩].

(**وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاساً مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ**) بل بعض مَنْ يدعونه - والعياذ باللَّه - مِنْ أَكْفَر النَّاس؛ بل بعضهم أَكْفَرُ من اليهود والنَّصارى؛ كالذين يَدْعُون إمام أهل وحدة الوجود ابن عربي[1] - فإنَّ عليه الآن قُبَّة في الشَّام -، (**وَالَّذِينَ**

---

(١) هو: أبو بكر مُحمَّد بن عليِّ بن مُحمَّد الطَّائيُّ الحاتميُّ، ابن عربيٍّ، ولد سنة (٥٦٠هـ)، له مُصنَّفات كثيرة، قال عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام عنه: «شيخ سوء، كذَّاب، يقول بقِدَم العالم، ولا يُحرِّم فرجاً»، وقال الذَّهبيُّ عن كتاب ابن عربي =

يَدْعُونَهُمْ: هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ؛ مِنَ الزِّنَى، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، أَوِ الَّذِي لَا يَعْصِي - مِثْلِ الخَشَبِ، وَالحَجَرِ -؛ أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وَفَسَادَهُ وَيَشْهَدُ بِهِ.

يَدْعُونَهُمْ: هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ؛ مِنَ الزِّنَى، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ).

الذي يَعتقِد في الصَّالح أو في الذي لا يعصي كالحجر أَهْوَنُ ممَّنْ يَعتقِد فيمَنْ يُشَاهِد فِسْقَهُ

(وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، أَوِ الَّذِي لَا يَعْصِي - مِثْلِ الخَشَبِ، وَالحَجَرِ -؛ أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وَفَسَادَهُ وَيَشْهَدُ بِهِ)؛ فإنَّه معلومٌ أنَّ مَنْ دعا مع اللَّه غيره من أيِّ شيءٍ كان: فهو كافر، وصَارفٌ حقَّ ربِّ العالمين لغيره؛ وكون ذلك المصروف لنبيٍّ أو غيره لا يُنَجِّيه من الشِّرك، ولكنَّه أهون من الثَّاني؛ فإنَّه عظَّم مَنْ لا يُعَظَّم بوجه، وهو كالمعاند أيضاً.

النُّصوص الشَّرعيَّة دلَّت على نقص هذا وأنَّه مرذول ومَهِين، وهذا عاكَسَ الشَّرعَ وجعله مُعظَّماً، فصار شِركُه أعظمَ، وإن كان الكلُّ شركاً وكفراً وضلالاً.

حاصل الأمر الثَّاني

فظهر بذلك صحَّة ما قاله المُصنِّف، وأنَّ شركَ مُشْرِكِي زماننا

= «الفصوص»: «فإن كان لا كفر فيه فما في الدُّنيا كفر»، تُوفِّي سنة (٦٣٨هـ). سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨)، البداية والنِّهاية (١٧/ ٢٥٢)، طبقات الأولياء لابن الملقِّن (ص٤٦٩).

. . . . . .

أعظمُ وأغلظُ من شرك المُشْرِكِين الأوَّلين، لكنَّ الأوَّلين عندهم شبهةُ أهلِ الجاهليَّة؛ وهو أنَّه مُعظَّم في الجملة، والذي يدعو فاسقاً أو كافراً؛ يطلب ممَّن كان مَمْقُوتاً مَذْمُوماً في الشَّرع ويَعبدُه؛ فكان مُعانداً للشَّرع؛ فاسْتَويَا في أنَّ الكلَّ شرك، وافْتَرَقَا فيمَنْ هو مُعظَّم في الجملة، والثَّاني عظَّم مَنْ ليس مُعظَّماً بحالٍ، فصار أعظمَ شركاً؛ فإنَّ الأوَّلين لو عظَّموهم بغير الشِّرك لكان سائغاً، والفاسق ونحوه لو عُظِّم بدون عبادة له لكان المُعظِّم له عاصياً - إذا كان مَعبُودهُ تقام عليه الحدود أو فاسقاً -.

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولاً، وَأَخَفُّ شِرْكاً مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُكَذِّبُونَ

الشُّبهَة التَّاسِعَة - وهي من أعظم شُبَهِهم -: كيف تَجعلُونَنا مثل المُشْرِكين الأوَّلِين ونَحنُ نَنطِق بالشَّهادَتَيْن ونُؤمِن بالبَعْث ونُصلِّي ونَصُوم وهم بخِلَاف ذلك؟ وعنها تسعة أجوبة

(إِذَا تَحَقَّقْتَ) ممَّا تقدَّم (أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولاً، وَأَخَفُّ شِرْكاً مِنْ هَؤُلَاءِ) يعني: من شِرْك مُشْرِكِي زماننا؛ (فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا) يُدْلِي بها بعض مَنْ في زمن المُؤلِّف (عَلَى مَا ذَكَرْنَا) مِن كون ما عليه مُشْرِكُو زماننا من الشِّرك كشِرك الأوَّلين؛ بل يقولون: إنَّكم ما اقتصرتم على أَنْ جَعَلْتُمُونا مثلهم؛ بل زدتم.

يريد صاحبُ هذه الشُّبهةِ ممَّا اعتَرض به من الفروق: نفيَ ما قرَّره المُصنِّف في هذه التَّرجمة.

(وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا) وقد أجاب عنها المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بتسعةِ أجوبة، كلُّ واحدٍ منها كافٍ شافٍ في ردِّها، لكنْ كثَّرها لمزيد كشفٍ وإيضاحٍ.

(وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يعني: لا ينطقون بالشَّهادَتَيْن، (وَيُكَذِّبُونَ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيُنْكِرُونَ البَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْراً، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ؛ فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟!

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) ويمتنعون عن طاعته، **(وَيُنْكِرُونَ البَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ)** ولا يُصَدِّقون به، **(وَيَجْعَلُونَهُ سِحْراً)**، ولا يُصَلُّون، ولا يَصُومُون.

(وَنَحْنُ) بخلاف ذلك **(نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ؛ فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟!)** فكيف تُسَوُّون مَنْ يُقِرُّ بهذه الأمور العظيمة وبين مَنْ يَجهلُها؟! يعني: أنَّكم سَوَّيتم بين المُتَفَارِقَيْن وجَمَعْتُم بين المُخْتَلِفَيْن؛ بل ما اقتصرتم، بل جَعَلْتُمُونا أعظم جهلاً وضلالاً منهم.

فعَرَفْتَ أنَّهم يُعارِضون ما قرَّره المُصنِّف، ويقولون: لسنا منهم، وأنتم جَعَلْتُمُونا أعظم منهم، كيف تجعلون مَنْ كانت فيه هذه الخصال والفروق كمَنْ ليس فيه منها شيء؟!

هذه الفروق غير مُؤَثِّرة بل هذه الفروق ممَّا يتغلَّظ كُفْرُهم بها

ويأتيك جواب المُؤلِّف لهم، وأنَّ هذه الفروق غير مُؤَثِّرة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع؛ بل هذه الفروق ممَّا يَتغلَّظ كفرُهم بها؛ فإنَّ الكافرَ الأصليَّ الذي ما أَقَرَّ بشيءٍ من ذلك أهون كفراً

. . . . . .

ممَّنْ أَقَرَّ بالحقِّ وجَحَدَه؛ ولذلك المُرتدُّ أعظم كفراً من الكافرِ الأصليِّ في أحكامه.

فَالجَوَابُ: أَنْ لَا خِلَافَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلَامِ.

الجواب الأوَّل: هذه الفروق غير مُؤَثِّرة وله دليلان

(فَالجَوَابُ) عمَّا اعترضوا به من هذه الفروق التي زعموا أنَّها تُؤثِّر - أنَّ الفروق منقسمة إلى قسمين: فَرْق يُؤَثِّر، وفَرْق لا يُؤَثِّر، فإنَّه إجماعٌ أنَّ هذه الفروق لا تُؤَثِّر -: (أَنْ) - مخفَّفة -

الدَّليل الأوَّل: أنَّ الرَّجُل إذا صَدَّقَ الرَّسولَ ﷺ في شيءٍ وكَذَّبَهُ في شيءٍ فهو كافرٌ إجماعاً

(لَا خِلَافَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ) وإن كان يفعله؛ (أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلَامِ) بالإجماع[1]، يعني: أنَّه ليس بمُسلمٍ ولا عنده من الإسلام شعرة؛ فإذا كذَّبه في واحدٍ وصدَّقَه في الألوف - من الصَّلاة والصَّدقة ونحوِ ذلك - فهو قاضٍ على تلك الأُلوف، فإذا كان مَنْ صدَّقَه في شيءٍ وكذَّبه في شيءٍ فهو كافر، فكيف بالتَّوحيد الذي هو أعظم فريضة جاء بها النَّبيُّ ﷺ؟!

عَمَد إلى زبدة الرِّسالة، وجعل لفاطر الأرض والسَّموات شريكاً في العبادة، فصرف له الدُّعاء الذي هو مُخُّ العبادة وخَالصُها - إمَّا أَنْ يدعوَ غيره وحده، أو يَجعلَه شريكاً له -، كيف لا يُنقَض وهو يجعل مع اللَّه إلهاً آخر؟!

(١) الإبانة الصُّغرى (ص٢٣٢-٢٣٣)، المحلَّى بالآثار (١/ ٣٢).

وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ؛ كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ،. . . . . .

لكن - والعياذ باللَّه - طَمَس على قلوبهم الشِّركُ، وامتزجت به؛ فإنَّ أهلَ هذه الشُّبهةِ من أهل الجهالات والضَّلالات؛ فإنَّ صاحبَ النَّظر المُنْصِف إذا نظر في أهل هذه الشُّبَه لقِيَهُم مَفَالِيس من العلم بالمَرَّة[١].

الدَّليل الثَّاني: أنَّ الرَّجُل إذا آمَنَ ببعضِ القرآن وجَحَدَ بَعضَه فهو كافرٌ إجماعاً وله أمثلة

(وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ) ولو حرفاً واحداً أنكرَه وجَحَدَه، أو جَحَدَ شيئاً ممَّا ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ فهو كُفرٌ ظاهرٌ؛ أيُّ كفرٍ فوق كفرِ تكذيبِ اللَّه ورسولِه؟!

المثال الأوَّل

(كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ) لفظاً ومعنىً، **(وَجَحَدَ)** فرعاً من فروع الشَّرِيعَة معلوماً أنَّ الرَّسولَ ﷺ جاء به - وإن كان[٢] يُؤدِّيه -؛ كمَنْ جحد **(وُجُوبَ الصَّلَاةِ)** الذي يجحد الصَّلوات الخمس كافر بالإجماع، ولو أنَّه يَفعَلُها وجاء بالتَّوحيد.

المثال الثَّاني

(أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ) ولو كان يُؤدِّيها، فهو كافرٌ بإجماع الأمَّة[٣].

---

(١) أي: بالكُلِّيَّة.
(٢) أي: الجاحد.
(٣) معالم السُّنن (٤/ ٣١٣)، عمدة القاري (٨/ ٢٣٣).

أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ، وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَجِّ؛ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، . . .

المثال الثَّالث

(أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ) وإن كان يصوم، فإنَّه كافرٌ بإجماع الأُمَّة؛ لتكذيبه اللَّه ورسوله.

المثال الرَّابع

(أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ) إلى البيت، وإن كان يَحجُّ، فهو كافرٌ بالإجماع؛ لتكذيبه اللَّه ورسوله، وردِّه إجماع الأُمَّة[1]، (وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَجِّ) إلى البيت (أَنْزَلَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾) يعني: واجبٌ للَّه على المستطيع من النَّاس أَنْ يَحجَّ، (﴿وَمَن كَفَرَ﴾) يعني: ترك ذلك، (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧][2]) فدلَّ على أنَّ ترك ذلك كفر، فمَنْ جحد ذلك فقد كَفَرَ، فدلَّ على فرضيَّة حجِّ البيت؛ فدلَّ على أنَّ الذي لا يعتقد ذلك كافر، وهذا بخلاف العاجز.

وكذلك مَنْعُ الزَّكاة بُخلاً، بخلاف الجاحد.

---

(١) إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم (١/ ٢٤٤).

(٢) رواه البيهقيُّ في السُّنن الكبرى، كتاب الحجِّ، باب إثبات فرض الحجِّ على مَنِ استطاع إليه سبيلاً، رقم (٨٦٠٧)، عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ البَعْثَ؛ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ

فأمَّا ترك الصَّلاة تَهَاوُناً: فاختيار أحمد[١] وحَكى إسحاق بن رَاهُويَهْ[٢] كُفرَه بالإجماع[٣].

المثال الخامس

(وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ) التَّوحيد والصَّلاة والزَّكاة والصِّيام والحجِّ، **(وَ)** لكن **(جَحَدَ)** وأَنْكَر **(البَعْثَ)** أي: جَحَدَ بعث هذه الأجسام بعد بَلائها وإعادة أرواحها إليها يوم القيامة؛ **(كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ)** بإجماع أهل العلم[٤]، **(وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ)** ولم ينفعه الإقرار بما أَقرَّ به.

مستند الإجماع على كُفْرِ مَنْ آمن ببعضٍ وجَحَدَ بعضاً

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه أحمد بن مُحمَّد بن حنبل الشَّيبانيُّ المَرْوَزِيُّ البغداديُّ، وُلد سنة (١٦٤هـ)، مُحدِّث، فقيه، زاهد، ورع، إمام أهل السُّنَّة والجماعة، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٤١هـ). طبقات الحنابلة (١/ ٤)، سير أعلام النُّبلاء (١١/ ١٧٧).

(٢) هو: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد، المعروف بـ«ابن رَاهُويَهْ»، ولد سنة (١٦٦هـ)، أحد أئمَّة الدِّين، عالم نيسابور، حافظ، مُحدِّث، فقيه، تقيٌّ، ورع، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٤٣هـ). طبقات الحنابلة (١/ ١٠٩)، طبقات الشَّافعيَّة الكبرى للسُّبكيِّ (٢/ ٨٣).

(٣) تعظيم قدر الصَّلاة للمروزي (٢/ ٩٢٩)، الإنصاف (٣/ ٣٤).

(٤) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾ الآيَةَ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ؛ فَهُوَ الكَافِرُ حَقّاً؛ زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ - وَهَذِهِ هِيَ الَّتي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا -.

أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾ **الآيَةَ** [النِّساء: ١٥٠-١٥١]) فصرَّح اللَّه تعالى في هذه الآية أنَّه الكافر حقّاً؛ فدلَّ على أنَّه لا يُشترَط أن لا يكون كُفْراً إلَّا إذا كَفَرَ بجميعِ ذلك كلِّه؛ بل هذا كُفرٌ نوعيٌّ؛ فإنَّ الكفرَ كفران: كفرٌ كليٌّ، وكفرٌ نوعيٌّ، ولا فرق بينهما؛ مَنْ كَفر ببعضٍ فكمَنْ كَفرَ بالكلِّ؛ لا فرق.

الكُفْر كُفْرَان

(فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ؛ فَهُوَ الكَافِرُ حَقّاً؛ زَالَتِ) انْكَشَفَت (هَذِهِ الشُّبْهَةُ - وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا -).

الرِّدَّة رِدَّتان

وبهذا ظَهَر واتَّضَح أنَّه يوجد فروق ولكن لا تُؤَثِّر؛ فإنَّ الرِّدَّة ردَّتان:

. . . . . .

رِدَّة مُطْلَقة وهي: الرُّجوع عمَّا جاء به الرَّسولُ ﷺ جملة.

والثَّانية: أَنْ يَكْفُر ببعض ما جاء به؛ فإنَّه إجماعٌ بين أهل العلم أنَّ الذي يَرْتدُّ عن بعض الدِّين كافر؛ بل يرون أنَّ الاعتقادَ الواحدَ والكلمةَ الواحدةَ قد تُخرِجُ صاحبَها عن جملة الدِّين.

وبهذا انْكَشَفَتِ الشُّبهَة، وعُرِفَ أنَّ التَّفريقَ بالفروق التي ذُكِرت من الفروق التي هي غير مُؤَثِّرة.

وَيُقَالُ أَيْضاً: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا البَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا يَجْحَدُ هَذَا، وَلَا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ، . . . . . .

الجواب الثَّاني: إقراره أنَّ مَنْ جَحَدَ فَرْعاً من فروع الدِّين يَكفُر فكيف بجَحْدِ الأصل وهو التَّوحيد؟!

(وَيُقَالُ أَيْضاً) هذا جواب ثانٍ للشُّبهة السَّابقة:

(إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإِجْمَاعِ) وتصديقه بكلِّ ما جاء به الرَّسولُ ﷺ لا يَنفعُه ولا يُجْدِي عليه.

(وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا البَعْثَ.

وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ).

(لَا يَجْحَدُ) الخَصْمُ شيئاً من (هَذَا)، لا يُنْكِر ما قُرِّر من وجوب هذه المَذْكُورَات، ولا يجحد أنَّه يُخرِج من الإسلام بمُفرَدِه؛ وأنَّه لا يستقيمُ معه الإسلام؛ بل يَنتقلُ الإسلام كلُّه ويَزولُ من أساسه[1].

ما أَقرَّ به دلَّ عليه الإجْمَاع

(وَ) هذا (لَا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ) لا تَختلفُ المَذاهبُ في

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا جَحَد واحداً منها».

وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ - كَمَا قَدَّمْنَا -، فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ: كَفَرَ - وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ -، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ -: لَا يَكْفُرُ؟!. . . . . .

أنَّ جَحْدَ وجوبِ واحدٍ منها كافٍ في انتكاسِ العبد، وأنَّه كافرٌ بالإجماع.

ما أقرَّ به نَطَق به القرآن

(وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا) أنَّ مَنْ آمَنَ ببعضٍ وكَفَر ببعضٍ فهو الكافرُ حقّاً.

جَحْدُ أصلِ الدِّين أعظَم مِنْ جَحْدِ فُروعِه

(فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ) فريضة **(الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ)** الأربعة الفروع **(كَفَرَ؛ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ)** وأساس المِلَّة والدِّين - **(لَا يَكْفُرُ؟!)**.

الكُفْر باللَّه لا يَتبعَّض فمَنْ كَفَر بأُلوهيَّته فقد كَفَر به

إذا صار جَحْدُ فرعٍ من فروع الدِّين كُفْراً، فكيف بجَحْدِ الأصل وهو التَّوحيد؟! فإنَّه أعظم، والكفر باللَّه لا يَتبعَّض؛ فمَنْ كَفَرَ بأُلوهيَّتِه فقد كَفَر به، فلا يَنفعُه ولا يُجْدِي عليه تصديقه بكلِّ ما جاء به الرَّسولُ ﷺ حيث جَحَدَ الأصل.

سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الجَهْلَ!

لو قُدِّر أنَّ الفروعَ لا تُكَفِّر لكان جَحدُ التَّوحيد كفراً لأنَّه الأصل

فلو قُدِّر أنَّ هذه الفروعَ كلَّها من الصَّلاة وما بعدها لا تُكَفِّر وليست معصية ولا عظيمة - وهو لا يُقَدَّر -؛ لكان جَحدُ التَّوحيد كفراً برأسه، فكيف وهو الأصل؟!

والدَّليل: أنَّ الأصلَ لا يزول بزوال الفرع، بخلاف الفرع؛ فإنَّه يزول بزوال أصلِه؛ كالحائط والشَّجرة ونحوه، إذا زال أصله زال فرعه.

فالحاصل: أنَّه لو قُدِّر أنَّ التَّوحيدَ بعضُ المَذْكُورَات، لكان جَحْدُه كفراً، فكيف وهو أساس ذلك كلِّه؟!

التَّوحيد قد يَكفِي وحدَه في إسلَام العبد ودُخولِه الجنَّة بخِلَاف الفُرُوع

بل التَّوحيد قد يكفي وحده في إسلام العبد ودخوله الجنَّة؛ فإنَّه إذا تكلَّم بكلمة التَّوحيد ثمَّ تُوفِّي قبل وجوب شيء من الفروع عليه كفى التَّوحيد وحده؛ فالتَّوحيد ليس فقيراً إليها؛ بل هي الفقيرة إليه في صحَّتِها.

مِنْ أعجَب الجَهْل: الإقرار بأنَّ جَحْدَ الصَّلاة كُفْرٌ بالإجماع وجَحْدَ التَّوحيد لَيْس بكُفْر!

(سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الجَهْلَ!) فإنَّ جَهْلَ هؤلاء مِنْ أعجب الجهل، كونُ الواحدِ منهم يُقِرُّ أنَّ جَحْدَ الصَّلاة كُفْرٌ بالإجماع، أو جَحْدَ غيرها مِن أركان الإسلام كُفْرٌ، وجَحْد التَّوحيد - الذي هو الأصل وما بعده فرع عنه - ليس بكُفْرٍ!

فإنَّ هذا الجهل بمكان؛ يجعلون مَنْ يهدم أساسَ الدِّين صباحاً ومساءً أنَّه مسلم لكونه يدَّعي الإسلام، والذي يَجْحَدُ

. . . . . .

وجوب الزَّكاة ولو كان يُؤدِّيها كافر بالإجماع!

فلا أعجب ولا أقبح ولا أعظم مِن جَهْلِ مَن جَهِلَ هذا!

وَيُقَالُ أَيْضاً: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ؛ قُلْنَا: هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ؛ . . . . . .

الجواب الثَّالث: الصَّحابة قَاتَلُوا بنِي حَنِيفَة وهم يَنْطِقون بالشَّهادَتَيْن ويُؤَذِّنُونَ ويُصَلُّون لكنَّهم قالوا: إنَّ مُسَيْلِمة نَبيٌّ

(وَيُقَالُ) له (أَيْضاً) هذا جوابٌ ثالثٌ: (هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) كفَّروا و(قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ) في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق، فقاتلوهم واستباحوا دِماءَهم وذَرَارِيَّهم وأَموالَهم[1]، ورَأَوْا أنَّه مِن أَفضلِ قتال أهل الرِّدَّة، وهم يَدَّعُون الإسلام، (وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ) دخلوا في الإسلام قبل وفاة النَّبيِّ ﷺ، ودَانُوا بما دَانَ به غيرهم من جزيرة العرب، (وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ) ولم يَرتدُّوا بجَحْد الشَّهادتَيْن وتركِ قولهما، ولا الصَّلاة، ولا غير ذلك.

(فَإِنْ قَالَ) المُشبِّه: (إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ) يعني: إنَّما كفَّرُوهُم لأجل أنَّهم ادَّعَوْا فيه النُّبوَّة.

(قُلْنَا): نعم، (هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ) هذا هو مطلوبنا، فهؤلاء

---

(١) رواه الضِّياء المقدسيُّ في الأحاديث المختارة (١/ ١٣٢)، رقم (٤٥)، من حديث وحشيِّ بن حرب رضي الله عنه.

إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً إِلَى رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ: كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلَا الصَّلَاةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ «شَمْسَانَ»، أَوْ «يُوسُفَ»، أَوْ صَحَابِيّاً، . . . . .

ما صدر منهم إلَّا أنَّهم قالوا: إنَّه نَبيٌّ، فجَنَوْا على الرِّسالة، وصار مُبطلاً توحيدهم ودينهم.

إذا كان رَفْعُ رَجُل إلى رُتْبَة النَّبيِّ ﷺ كُفْراً بالإجماع فكيف بمَنْ رَفَعَ مخلوقاً إلى رُتْبَة الخالق؟!

(إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً إِلَى رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ: كَفَرَ) بالإجماع، **(وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلَا الصَّلَاةُ)** ولا الصِّيام، ولا الأذان، وأنت تُقِرُّ بهذا، وهذه جريمةُ رَفْعِ مخلوقٍ إلى رُتْبَة مخلوق، **(فَكَيْفَ بِمَنْ)** جَنَى على الألوهيَّة؛ فرفع مخلوقاً إلى رُتْبَة خالق؟! **(رَفَعَ «شَمْسَانَ»، أَوْ «يُوسُفَ»[1] أَوْ صَحَابِيّاً،**

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «شَمْسَان، وتاج، وأبو حديدة، ناس معروفون، في نَجدٍ وغير نَجدٍ، وغيرهم من مُسمَّيَات عديدة تُعبَد من دون اللَّه.
سُئِل الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن يوسف وشَمْسَان وتاجٍ.
فأجاب: (يوسف وشَمْسَان وتاج: أسماءُ أُناسٍ كَفَرَة طواغيت.
فأمَّا تَاجٌ: فهو من أهل الخَرْج، تُصرَف إليه النُّذور، ويُدعى ويُعتقَد فيه النَّفع والضُّرُّ، وكان يأتي إلى أهل الدِّرْعِيَّة من بلده الخَرْج لتحصيل ما له من النُّذور، وقد كان يخافه كثير من النَّاس الذين يعتقدون فيه، وله أعوان وحاشية لا يُتعَرَّض لهم بمكروه؛ بل يُدَّعى فيهم الدَّعاوى الكاذبة، وتُنسَب إليهم الحكايات القبيحة؛ وممَّا يُنسَب إلى تاج: أنَّه أعمى ويأتي من بلده الخَرْج من غير قائدٍ يقوده.
وأمَّا شَمْسَان: فالذي يظهر من رسائل إمام الدَّعوة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لا يبعد عن العارض، وله أولاد يُعتقَد فيهم.
وأمَّا يوسف: فقد كان على قبره وثن يُعتَقد فيه، ويظهر أنَّ قَبرَه في الكويت أو الأحساء، كما يفهم من رسائل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ. =

أَوْ نَبِيّاً؛ فِي رُتْبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! . . . . . .

أَوْ نَبِيّاً؛ فِي رُتْبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؟!) فالصَّحابة كفَّرُوا مَنْ جَنَى على الرِّسالة، فكيف بمَنْ جَنَى على الألوهيَّة؟! فالذي يَعبُدُ مع اللَّه غيرَه قد جَنَى؛ بل لا أعظم من جنايته.

يعني: هذا أَوْلَى وأَوْلَى بالكفر والضَّلال، وأعظم وأكفر؛ لأنَّه صَرَفَ للمخلوق من أنواع العبادة ما لا يَستحقُّه إلَّا الخالق، وهذا من قياس الأَوْلى، يعني: إذا كان جِنسُ ما احتجُّوا به كفراً، فبطريق الأَوْلى هذا.

فهذا ردٌّ عليهم من نفس ما احتجُّوا به؛ وإلَّا فالأدلَّة في ذلك معلومة.

إذا كان من رَفَعَ مخلوقاً في رُتْبَة مخلوق كفَر، وإذا رَفَعَ مخلوقاً في رُتْبَة الخالق لا يكفر **(سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ!)** كيف يُتصوَّر أنَّ مَنْ رَفَعَ رجلاً إلى رُتْبَة رجلٍ فهو كافر، وإذا رَفَعَ رجلاً في رُتْبَة جبَّار السَّموات والأرض لا يكفر؟!

= أمَّا تأريخ وجودهم: فهو قريب من عصر إمام الدَّعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، إلى آخر ما ذكره) فتاوى ورسائل الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ١٣٤)، وتاريخ ابن غنَّام (ص٢٢٠، ٣٣٣، ٣٤٣ مطبعة المدني)».

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٥٩])

يعني: إذا أردْتَ جِنس طبع اللَّه على القلوب فهذا جِنسه؛ كهذا الطَّبع على قلب هذا الجاهل.

وَيُقَالُ أَيْضاً: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ بِالنَّارِ: كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ﷺ، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنِ . . . . . .

الجواب الرَّابع: عليٌّ ﷺ حَرَّق بالنَّار مَن اعتَقَد فيه الإلَهيَّة وهم يَدَّعون الإسلام

(وَيُقَالُ أَيْضاً) هذا جوابٌ رابعٌ لشُبهةِ المُشبِّه السَّابقة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...﴾[1] إلخ.

(الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ بِالنَّارِ) وهم من الشِّيعة[2] الغالية السَّبئيَّة - أتباع عبد اللَّه بن سَبَأ[3]؛ ادَّعى الإسلام وأراد أن يَفتِكَ بأهل الإسلام ويُدخلهم في الشِّرك -، تَعدَّوا الحَدَّ في مَحبَّة عليٍّ وتعظيمه، حتى ادَّعَوْا فيه الإلهيَّة، وكان منهم من العبادة ما هو معروف.

مُشابَهَة المُتأخِّرين لمَن اعتَقَد في عَليٍّ ﷺ

(كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلَامَ) ويَعْمَلُون أعمالَ الإسلام، (وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ﷺ، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنْ) ظهرت

---

(١) (ص٢٩٦).

(٢) هم: الذين شايعوا عليّاً ﷺ، ويُقدِّمونه على سائر الصَّحابة ﷺ، والغلاة منهم يُقدِّمونه على أبي بكر وعمر ﷺ، وهم فِرَقٌ شَتَّى. مقالات الإسلاميين (ص٥)، هُدَى السَّاري (ص٤٥٩).

(٣) هو: عبد اللَّه بن سَبَأ، يهوديٌّ من أهل اليمن أظهر الإسلام، رأس الفرقة السَّبئيَّة، أوَّل مَنْ أظهر القول بالرَّفْض، وبإمامة عليٍّ ﷺ، وجَعَلَه إلَهاً، وأوَّل مَنْ أظهر الطَّعن في الخلفاء الثَّلاثة ﷺ، واعتقاداته هي أصول المذهب الرَّافضي. تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٣)، الوافي بالوفيات (١٧/ ١٠٠).

اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الِاعْتِقَادِ فِي «يُوسُفَ» وَ«شَمْسَانَ» وَأَمْثَالِهِمَا، . . . . . .

منهم المقالة الرَّديَّة **(اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ)** الاعتقاد الباطل؛ اعتقدوا فيه السِّرَّ - يعني: الألوهيَّة - **(مِثْلَ الِاعْتِقَادِ فِي «يُوسُفَ» وَ«شَمْسَانَ» وَأَمْثَالِهِمَا)** كعبد القادر، والعَيْدَرُوس؛ كاعتقاد أهل زماننا في غيرهم.

فلمَّا رأى ذلك منهم عليٌّ رضي الله عنه خَدَّ لهم أخاديدَ[١] عند باب كِنْدَة[٢]، وأَضْرَم فيها النِّيران، وقَذَفَهُم فيها من أَجلِ مَقَالَتِهِم فيه، وقال:

لَـمَّـا رَأَيْـتُ الأَمْـرَ أَمْـراً مُـنْـكَـراً أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَراً[٣]

إجماع الصَّحابة على ردَّة مَن اعتَقَد في عليٍّ رضي الله عنه الإلَهيَّة

فهذا الأمر[٤] من عليٍّ رضي الله عنه وَافَقَه عليه جميع الصَّحابة، ورَأَوْا أنَّهم مُرتدُّون، وأنَّ قَتْلَهم حقٌّ، فكان إجماعاً بين الصَّحابة رضي الله عنهم.

---

(١) أخاديد: جَمْعُ أُخْدُود؛ وهي: حُفْرَة في الأَرْض. المصباح المنير (١/ ١٦٥).

(٢) باب كِنْدَة هو: باب بالكوفة، وكِنْدَة - بكسر الكاف وسكون النُّون -: اسمُ قَبيلةٍ مَشْهُورةٍ أُضيف الباب إليهم؛ لأنَّه في حَارَتِهِم. الكوكب الوهَّاج شرح صحيح مسلم (٢٥/ ٤٠٤).

(٣) رواه الآجُرِّيُّ في الشَّريعة، كتاب فضائل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، باب ذِكر ما جاء في الرَّافضة وسوء مذهبهم، رقم (٢٠١٢).
وقَنْبَر هو: مولى عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه. الطَّبقات الكبرى (٦/ ٢٣٧)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٩٢).

(٤) وهو حَرْق المُرْتَدِّين.

فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟! أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؟! أَتَظُنُّونَ أَنَّ الِاعْتِقَادَ فِي «تَاجٍ» وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالِاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يُكَفِّرُ؟!

وابن عبَّاس ﷺ كغيره في ذلك إلَّا أنَّه قال: «لَوْ قَتَلْتَهُمْ بِالسَّيْفِ»، مُستدلّاً بحديث: «لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»[(١)].

وعليٌّ ﷺ فِعْلُه مَزِيدُ اجتهادٍ منه؛ رأى تَحريقَهم لغِلَظ كفرهم؛ كما حرَّق أبو بكرٍ ﷺ بعض المُرتدِّين[(٢)].

وأمَّا قتلهم مُرتَدِّين: فهذا إجماعٌ من الصَّحابة ﷺ على ذلك.

(فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟!

أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؟!

أَتَظُنُّونَ أَنَّ الِاعْتِقَادَ فِي «تَاجٍ» وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالِاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يُكَفِّرُ؟!).

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب لا يُعذَّب بعذاب اللَّه، رقم (٣٠١٧)، عن عكرمة ﷺ، ولفظه: «أَنَّ عَلِيّاً ﷺ حَرَّقَ قَوْماً، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ، وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ».

(٢) الأحكام السُّلطانية لأبي يعلى (ص٥٠)، المغني (٩/٦).

. . . . . .

يَلزَم أهلَ هذه الشُّبْهةِ أحدُ ثلاثة أمور

فحِينئذٍ إذا تَحقَّقتَ وعَلِمْتَ أنَّ هذا صَدَر مِن عليٍّ ﷺ على وقت الصَّحابة - وهم لا يُنكِرونَه لوُضُوحِه في السِّيَر والتَّارِيخ؛ فلا يُنكِرُون وُقوعَه - فيلزم أهلَ هذه الشُّبْهةِ أحدُ ثلاثة أمور:

- إمَّا أن يقولوا: إنَّ الصَّحابة غَلِطوا وأَخطَؤُوا وكفَّروا المسلمين، وقَتَلُوا مَنْ لا يَستحقُّ الكفر والقتل، وهم على ضلالة؛ وهم لا يقولون ذلك، وإن قالوا ذلك في الصَّحابة فهو كافٍ في الرَّدِّ عليهم؛ لأنَّهم صاروا من الخَوَارِج[1] الذين يكفِّرون الصَّحابة ويَسبُّونهم.

- وإمَّا أن يقولوا: إنَّ الاعتقادَ في «تاجٍ» وأمثالِه والتَّوسُّلَ بالصَّالحين وسؤالَهم قضاءَ الحاجات وتفريج الكُرُبات وإغاثة اللَّهَفات سائغ لا يَضُرُّ، والاعتقاد في عليِّ بن أبي طالب ﷺ يُكفِّر، وهم لا يقولون ذلك، فإنْ قالوا: إنَّه لا يُكفِّر[2]؛ كفى أنَّه كفر وشرك، وظهر عظيم جهلهم لفضل عليٍّ ﷺ على هؤلاء بما

(١) هم: أوَّل فِرْقَة خرجت في الإسلام، خَرَجَتْ على عليِّ بن أبي طالب ﷺ سنة (٣٧هـ)، وكفَّروه وبعض الصَّحابة، فقَاتَلَهم ﷺ، من معتقداتهم: تكفير صاحب الكبيرة، وقد جاءت أحاديث بمُرُوقِهِم من الإسلام. المِلَل والنِّحَل (١/ ١١٤)، البداية والنِّهاية (١٠/ ٥٥٩).

(٢) أي: إن قالوا: إنَّ الاعتقادَ في «تاجٍ» وأمثالِه لا يُكفِّر، والاعتقاد في عليِّ بن أبي طالب ﷺ يُكفِّر.

. . . . . .

لا نسبة فيه، فلو كان مُسَامحةٌ في دعوة غير اللَّه أو يكون أسهل لكانت دعوة عليٍّ رضي الله عنه.

- أو يقولوا: الصَّحابة لا يُكفِّرون المسلمين - حاشاهم من تكفير المسلمين، ومِنْ قصدِ ظلمهم، أو الاجتماع على غلطٍ - فحِينئذٍ يلزم الأمر الثَّالث وهو: أن يُذعِنُوا ويُسلِّموا أنَّ مَنْ تعلَّق على غير اللَّه بأيِّ نوعٍ من أنواع العبادة فهو كافر خارج من المِلَّة مُرتدٌّ، وأنَّ إقرارَه بالشَّهادتين والصَّلاة والزَّكاة ونحو ذلك فَرْقٌ غير مُؤثِّر وغير نافع، بل هو أَغلظُ كفراً ممَّنْ ليس معه هذه الأعمال.

فظهر بذلك انْكِشَاف هذه الشُّبْهَة، وأنَّهم ضُلَّال في تشبيههم وترويجهم؛ وأنَّ ما أتوا به من الفروق غير مُؤثِّر، فإنَّ الغالية في عليٍّ رضي الله عنه ما اعتقدوا فيه إلَّا مثل الاعتقاد في «تاجٍ» وأمثاله من هذه الأصنام، وإن قالوا: ليس من الغُلُوِّ؛ ففي أَوَّل الكتاب[1] ما يُبيِّن أنَّه من الغُلُوِّ بعبادة المخلوق مع اللَّه.

(١) (ص١٩٣).

وَيُقَالُ أَيْضاً: «بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ» الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ: كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، . . . . . .

الجواب الخامس: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ كانوا يَنْطِقون بالشَّهادَتَيْن ويُصلُّون ولَمَّا أَظْهَرُوا مُخالفة الشَّريعَة في أَشياء؛ أَجْمَع العُلَماء على كُفْرِهم وقِتَالِهم

(وَيُقَالُ أَيْضاً) هذا جوابٌ خامسٌ للشُّبهة السَّابقة: **(«بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ»)** بنو عُبَيْد[1] الذين ادَّعَوْا أنَّهم فاطميُّون - وساعدهم على ذلك مَنْ ساعدهم -، وهم أدعياء ليسوا بفاطميِّين، أبوهم وقِصَّة تزوُّجه المرأة وتاريخهم معروف[2]، **(الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ)** وطالت لهم يَدٌ أيضاً على الحَرَمَيْن، ومُلُوكهم يُسمَّوْن: «الحاكميِّين» - الحاكم فلان، والحاكم فلان -.

(كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ) وَيُنَصِّبُونَ القُضَاة والمُفْتِين.

---

(١) هم: فِرْقَة من البَاطنيَّة، نسبتهم إلى أوَّل خلفائهم المهدي عبيد اللَّه بن ميمون القدَّاح، يُسمَّوْن: بـ«العُبَيْديِّين» نسبة إليه، وبـ«الفاطميِّين»؛ ادِّعاءً منهم أنَّهم ينتسبون إلى فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها، قال ابن خَلِّكان: «أهل العلم بالأنساب من المحقِّقين ينكرون دعواه في النَّسب»، وقد اتَّفَق أهل العلم على رميهم بالزَّنْدَقَة والنِّفَاق. وفيات الأعيان (٣/ ١١٧)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٧٨)، (٢٨/ ٦٣٥-٦٣٦)، (٣٥/ ١٣١)، سير أعلام النُّبلاء (١٥/ ١٤١).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «وهؤلاء بنو عُبَيْد القَدَّاح، ما زالت علماء الأمَّة المأمونون علماً وديناً يَقْدَحُون في نَسَبِهِم ودِينِهِم، ويذكرون أنَّهم من أولاد المَجُوس أو اليهود. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ٦٣٦)، (٣٥/ ١٢٨، ١٣١-١٣٥)».

فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ - دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ -؛ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ.

(فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ - دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ -) كاستحلال بعض المُحرَّمات، مثل تجويزهم الجَمْع بين الأختين؛ (أَجْمَعَ العُلَمَاءُ) في وقتِهم وزمانِهم (عَلَى كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ) ولا جعلوا الشَّهادتين والصَّلاة والزَّكاة والجُمُعَة والجَمَاعَة فَرْقاً مُؤثِّراً؛ بل رأوه لاغياً، وذلك أنَّه وُجِدَ مُكفِّر؛ فلم ينفعهم ما هم فيه.

أَجْمَع العُلَمَاء على أنَّ بلادَهُم بلاد حَربٍ

(وَ) أجمعوا في وقتهم على (أَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ) وأنَّ جهادَهم أَفضلُ الجهاد، وأجمعوا على أنَّ قتالَهم قتال كُفَّار[1]، (وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ) وصنَّف ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ[2] فيه كتاباً سمَّاه: «النَّصْر على مِصْر»[3].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ٦٣٥-٦٣٦).

(٢) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن عليِّ بن مُحمَّد القرشيُّ التَّيميُّ البغداديُّ، الحنبليُّ، المعروف بـ«ابن الجوزيِّ»، ولد سنة (٥١٠هـ)، حافظٌ مُفَسِّرٌ، شيخُ وقته، وإمامُ عصره، وصاحب التَّصانيف، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٥٩٧هـ). سير أعلام النُّبلاء (٢١/ ٣٦٥)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٨).

(٣) ذكره ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٨/ ١٩٦).

. . . . . .

فكيف بما نحن فيه من التَّظاهر بدين الإسلام، مع نقض أساس المِلَّة بعبادة غير اللَّه؟!

لا فَرْقَ بين الكفر عناداً أو جهلاً

ولا فَرق بين مَنْ يكون كُفره عناداً أو جهلاً؛ بل الكفر منه عناد، ومنه جهل.

لَيْس مِنْ شَرْطِ قيام الحُجَّة على الكَافِر أنْ يَفْهَمَها

وليس من شرط قيام الحُجَّة على الكافر أَنْ يفهمَها؛ بل مَنْ أقيمت عليه الحُجَّة مثلُ ما يفهمها مثلُه فهو كافر، سواء فهمها أو لم يفهمها؛ ولو كان فهمُها شرطاً لَمَا كان الكفر إلَّا قِسماً واحداً، وهو كفر الجحود؛ بل الكفر أنواع، منها الجهل وغيره.

المقصود: أنَّ العلماءَ أجمعوا على قتالِهم وكُفرِهم، والأُمَّة لا تجتمع على ضلالة.

حاصل جواب الشُّبْهَة

وبذلك عَرَفْتَ انْكِشَاف هذه الشُّبْهَة؛ وهو أنَّ النُّطق بالشَّهادتَيْن لا يكفي مع ما انضمَّ إليه من فعل الطَّاعات إذا وُجِد أحد المُكفِّرات.

وَيُقَالُ أَيْضاً: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ، وَالقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَمَا مَعْنَى البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: «بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ» - وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ -؟ ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعاً كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ،

الجواب السَّادس: إجماع العُلَمَاء أنَّ المُسلمَ يَرتدُّ بمُكَفِّر وَاحدٍ ولا يَلْزَم الكُفْر بالدِّين كلِّه

(وَيُقَالُ أَيْضاً) هذا جوابٌ سادسٌ على الشُّبهة السَّابقة: (إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ، وَالقُرْآنِ) يعني: وتكذيبِه، (وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَى البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ) من المَذاهبِ الأربعة وغيرِها: («بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ») وعرَّفُوه بتعاريف (وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ؟).

فهذا المَذْكُور في هذا الباب إجماعٌ منهم؛ أنَّه يخرج مِن المِلَّة - ولو معه الشَّهادتان - لأجل اعتقادٍ واحدٍ، أو عَملٍ واحدٍ، أو قولٍ واحدٍ؛ يكفي بإجماع أهل العلم[1]، لا يختلفون فيه، وأنَّه ليس المُرتدُّ الذي يخرج عن الإسلام بالمَرَّة؛ بل هو قِسم، والقسم الآخر هو ما تقدَّم.

(ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعاً كَثِيرَةً) ومثَّلوا له أمثلة (كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ،

(١) حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٢٤)، مختصر خليل (ص٢٣٨)، منهاج الطَّالبين (ص٢٩٣)، المُحَرَّر في الفقه (٢/ ١٦٧)، المغني (٩/ ٣).

وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا -؛ مِثْلَ كَلِمَةٍ يَقُولُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ) وقالوا: مَنْ قال كذا أو اعتقد كذا فهو كافرٌ مُرتدٌّ، وأنَّه لا يَنفعُه جميع ما عمل به، **(حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا -؛ مِثْلَ:**

أمثلة على الرِّدَّة

- كَلِمَةٍ يَقُولُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ.

- أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ).

- حتى إنَّ بعضَ أَهلِ المَذَاهب يُكفِّرون مَنْ صغَّر اسم المسجد، أو المصحف[1].

لَيْس مِنْ شرط المُرتدّ أن يَجْمعَ بين أطراف الرِّدَّة أو يَجْمعَ الشِّركيَّات

وما ذَكرُوه وعرَّفُوه هو في الجملة، يُوجَد أشياء يكون بها الإنسان مُرتدّاً ولو نطق بالشَّهادَتَيْن وصلَّى؛ بل ولو أضاف إلى ذلك ترك المُحرَّمات، وأتى بمُكفِّرٍ؛ هدَم جميع ما معه من الإسلام؛ فإنَّ وجودَ المُكفِّرات التي يَصيرُ بها الرَّجل مُرتدّاً كثيرة لا تُحصَر، والواحد من أسباب الرِّدَّة - كونه يجعل له واحداً من حقِّ ربِّ العالمين - كافٍ في كفره، وكونه اتَّخذه إلهاً ولو ليس من كلِّ وَجهٍ؛ بل يكفي كونه جعله يصلح لحقِّ ربِّ العالمين،

---

(١) نسبه ابن القيِّم إلى الحَنفيَّة كما في إعلام الموقِّعين (٥/ ٩٩).

. . . . . .

فليس من شرط المُرتدِّ أن يَجمعَ بين أطراف الرِّدَّة، أو يَجمعَ الشِّركيَّات، أو أنَّ ربَّ العالمين ومَعبودَه واحد في جميع ما يستحقُّ.

وبهذا تَنْكَشِف شُبهتُه؛ وهو أنَّه ولو نطق بالشَّهادَتَيْن وصلَّى وصام فإنَّه يصير به مرتدّاً، ويصير أسوأ حالاً ممَّن لم يكن معه أصل الإسلام عند جميع العلماء.

حُكْم كُفَّار هذه الأزمان

والصَّحيحُ من قَوْلَي العلماء: أنَّ كُفَّارَ هذه الأزمان مُرتدُّون[1]؛ كونهم ينطقون بـ«لا إله إلا اللَّه» صباحاً ومساءً وينقضونها صباحاً ومساءً، فـ«لا إله إلا اللَّه» يدخل بها في الإسلام في الجملة.

والقول الثَّاني: أنَّهم كُفَّار أَصليُّون[2]؛ فإنَّهم لم يُوحِّدوا في يومٍ من الأيَّام حتى يُحكَم بإسلامهم.

(١) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٤٤٩-٤٥١)

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٧/ ١٤٤).

وَيُقَالُ أَيْضاً: الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾؛ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُونَ؟

الجواب السَّابع: أنَّ اللَّه كَفَّر أُناساً بكَلِمَةٍ وَاحدةٍ وهم يُجاهِدون مع رَسولِ اللَّه ﷺ ويُصَلُّون معه وله مثالان

المثال الأوَّل

(وَيُقَالُ أَيْضاً) هذا أيضاً جوابٌ سابعٌ عن شبهتهم السَّابقة - والأجوبة السَّابقة ظاهرة لك في كشف تلك الشُّبْهَة -:

(الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التَّوبة: ٧٤].

أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُونَ[1]) ويَنْطِقُون بالشَّهادَتَيْن، ويَدِينُون دين المسلمين في الظَّاهر؟

فكيف بمَنْ جعلَ الأندادَ مَعاذَه ومَلَاذَه ومَلْجَأَه في الرَّغبات، كما هو الواقع من القُبوريِّين - والعياذ باللَّه -؟! فلِسانُه يقول: «لا إله إلَّا اللَّه»، وعَمَلُه يقول: لا إله إلَّا فلان، فأيُّهما أَشدُّ وأَوْلَى بالكفر بعد الإيمان؟!

(١) رواه عبد الرَّزَّاق في المصنَّف، كتاب العقول، باب قسامة الخطأ، رقم (١٨٣٠٣)، عن عروة بن الزُّبير رحمه الله.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللَّهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ - وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ.

المثال الثَّاني

(وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التَّوبة: ٦٥-٦٦].

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللَّهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ - وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ[1]) كفروا بسبب كلمةٍ واحدةٍ - وهم يعملون الأعمال الشَّرعيَّة، ويعملون أعمال المسلمين -، فصاروا بها كُفَّاراً بعد إيمانهم؛ لَمَّا صدر منهم شيء واحد صاروا كُفَّاراً مُرتدِّين.

فبهذا تَنْكَشِف شُبهَة المُشبِّه بهذه الشُّبْهَة.

---

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير (١٩/ ٨٥)، رقم (١٧٣)، من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ: وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُنَاساً يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ! ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ.

أجوبة المُصنِّف على هذه الشُّبهَة مِن أنفَع ما في هذا الكتاب لأنَّها شُبهَة قد تَرُوج على مَنْ لا يَعرِف

(فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ: وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُنَاساً يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ! ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا) يعني: ما ذكره المُصنِّف عليها من الأجوبة؛ (فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ) فإنَّه مِن أنفع ما ذكره المصنِّف في هذا المُؤلَّف، وذلك لأنَّها شبهة قد تَرُوج على مَنْ لا يعرف ولا يفهم، فيظنُّ أنَّ ما ذكره المُشبِّه فروقٌ مُؤثِّرةٌ، وبما ذكره المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يتبيَّن لك أنَّها فروق غير مُؤثِّرة، فإنَّ أهلَ العلم مُجْمِعُون على أنَّ هذه فروق لا تُؤثِّر.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً: مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَعَ إِسْلَامِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلَاحِهِمْ -: أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾.

الجواب الثَّامن: موسى عليه السلام أَنْكَر على مَنْ أَسلَم من بني إسرائيل طَلَبهُم لَمَّا قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ ولو فَعَلُوا لَكَفَرُوا

(وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً)؛ هذا زيادة على الأجوبة السَّبعة السَّابقة في كشف شبهته، وهي قوله: (تُكَفِّرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُنَاساً يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...) إلخ: (مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَعَ إِسْلَامِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلَاحِهِمْ -) والمراد: بـ(عِلْمِهِمْ)، يعني: بالنِّسبة إلى غيرهم في زمنهم، يعني: أنَّهم أَتْبَاع موسى عليه السلام، ويَقْتَبِسُون من عِلْمِه وممَّا جاء به، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]؛ فإنَّه دالٌّ على أنَّ صدورَ ذلك منهم عن جهلٍ.

(أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى) لَمَّا مرُّوا على قوم يَعْكُفُون على أصنامٍ لهم: (﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾) كأنَّه أَعْجبَ مَنْ أعجبه منهم واستحسنوه، فقال موسى عليه السلام مُنْكِراً عليهم: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨].

وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»، فَحَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾.

الجواب التَّاسع: النَّبيُّ ﷺ أَنْكَر على أناسٍ من الصَّحابة طَلَبَهُم لَمَّا قالوا: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» ولو فَعَلُوا لَكَفَرُوا

(وَ) من الدَّليل عليه أيضاً: (قَوْلُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ») لَمَّا مرُّوا على قومٍ يُعلِّقون أَسلحتَهم على شجرةٍ ويُسمُّونها بهذا الاسم، فأنكر عليهم النَّبيُّ ﷺ، وغلَّظ هذا الإنكار بأنواع التَّغليظ؛ (فَحَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف:١٣٨][1]) الآيات.

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢١٨٩٧)، من حديث أبي واقد اللَّيثيِّ ﷺ، ولفظُه: «أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً».

وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»؛ لَمْ يَكْفُرُوا.

فَالجَوَابُ: أَنْ نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا، وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ لَكَفَرُوا، . . . . . .

شُبهة للمُشْركين يُدْلُون بها عند القِصَّتَين وهي أنَّهُم لم يَكْفُرُوا بطَلَبِهِم

(وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ) عند كشفِ شُبهتِهِم السَّابقة (شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ) يُشبِّهون ويُمانعُون في كون ذلك دليلاً، يعني: يُبدون مانعاً من دلالة القصَّتَيْن على كَشْفِ الشُّبْهَة السَّابقة، (وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»؛ لَمْ يَكْفُرُوا) قالوا: فلا يَصلُحُ احتجاجُكم بالقصَّتَيْن علينا، فإنَّكم احْتَجَجْتُم بقصَّتَيْن على تكفيرِنا، وهم لم يَكْفُروا بذلك.

الجواب: أنَّهم طَلَبُوا فِعْلَ الشِّرك فقط ولم يَفْعَلُوا ولو فَعَلُوا لَكَفَرُوا بالإجْمَاع

(فَالجَوَابُ؛ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا) فعَدمُ كُفرِهم لا من قصور أن يكون كفراً.

(وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا) بل استحسنوا شيئاً وطَلَبُوه.

(وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ لَكَفَرُوا).

وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ - بَعْدَ نَهْيِهِ -؛ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

(وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ - بَعْدَ نَهْيِهِ -؛ لَكَفَرُوا) لو عَكَفُوا على الشجرة، وكذلك لو اتَّخذوا إلهاً لكَفَروا؛ هذا لا يُنازع فيه أحد، ولا ينفع اتِّباعُ الرَّسُول والأعمالُ الأُخَر، فعدمُ كفرِهم ليس من قصور العمل عن أن يصل إلى التَّكفير.

يعني: أنَّ وَجهَ احْتِجَاجِنا هو بتقدير الفعل؛ لو صدر لكان كفراً، فكان احتجاجاً في مَحلِّه؛ ولكنَّهم لم يفعلوه، وإلَّا لو فعلوه لكان كُفْراً.

(وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ) فسَلِم لنا الاحتجاجُ بالقصَّتَيْن عليكم.

وَلَكِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ تُفِيدُ: أَنَّ المُسْلِمَ - بَلِ العَالِمَ - قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا، فَتُفِيدُ: التَّعَلُّمَ

ستُّ فوائد تُستفادُ من القِصَّتَيْن

(وَلَكِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ) يعني: قِصَّة بني إسرائيل أصحاب موسى عليه السلام، وقِصَّة الذين سألوا النَّبيَّ ﷺ **(تُفِيدُ: أَنَّ المُسْلِمَ - بَلِ العَالِمَ - قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا)** إذا كان السَّائلُ في القصَّة مع نبيٍّ وهو موسى عليه السلام، وهم[1] أَعْلَم، والسَّائلُ في القصَّة الثَّانية مع نبيٍّ، وهم[2] أَعْلَم وأَقْدَم فضيلة، استحسنوا ذلك ظنّاً منهم أنَّ اللَّهَ يُحِبُّه، وأنَّه من العبادات التي يُتقرَّب بها إلى اللَّه، فكيف بمَنْ دونهم؟!

الفائدة الأُولَى: أنَّ المُسلمَ بل العالِمَ قد يَقَعُ في أنواعٍ من الشِّرك لا يَدْرِي عنها

(فَتُفِيدُ: التَّعَلُّمَ) تعلُّم أسباب النَّجاة؛ فإنَّه لا نجاة إلَّا بالعِلْم ومعرفة الضِّدِّ والشَّرِّ لغيره؛ يَعرِفُ الشِّرك وأقسامه ووسائله وذرائعه؛ ليَسْلَم من الوقوع فيه، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال حذيفة رضي الله عنه: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[3].

الفائدة الثَّانية: الواجب على الإنسان تَعَلُّم العِلم ليَحْذَر الشِّرك

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ
وَمَنْ لَا يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فِيهِ[4]

(١) أي: بنو إسرائيل.
(٢) أي: الصَّحابة رضي الله عنهم.
(٣) سبق تخريجه (ص٢٢٣).
(٤) ديوان أبي فراس الحمداني (ص٣٥٢)، يتيمة الدَّهر (١/ ٨٤).

وَالتَّحَرُّزَ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: «التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ»؛ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ، وَمَكَائِدِ الشَّيْطَانِ.

الفائدة الثَّالثة: اتِّهَام العَمَل أن يكون دَخَلَه شيءٌ من الشِّرك

(وَالتَّحَرُّزَ) يعني: اتِّهَام العَمَل أَنْ يكون دَخَلَه شيءٌ من الشِّرك؛ بل يجعل على باله هل أخلص قبل دخوله فيه، وتَفَقَّدِ النَّفس ولحظاتك فيمَنْ هي؟

الفائدة الرَّابعة: أنَّ قَولَ: «التَّوحيد فَهِمناه» مِنْ أَكبَر الجَهْل ومَكائِد الشَّيْطَان

(وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: «التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ»؛ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ، وَمَكَائِدِ الشَّيْطَانِ) وهذه الكلمة قد صدَرت من بعض الطَّلبة في زمن المُصنِّف لمَّا كَثُر التَّدريس في التَّوحيد - متنِه، أو كتبٍ نحوِه - سَئِمُوا، وأرادوا القراءة في كتبٍ أخرى، فقال الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك ليُنبِّهَهُم؛ ففي هذه القصَّة الرَّدُّ عليهم، فإنَّ هؤلاء أهل علمٍ، وصدَر منهم ما صدَر.

وقيل: إنَّه من المُرَاسِلِين[1]؛ فنَقِم عليه المُصنِّف في هذا القول؛ يعني: أنَّك ما فهمته حتى الآن!

مَنْ زَهِد في التَّوحيد وَقَعَ في ضِدِّه

فلا يُزْهَدُ في التَّوحيد، فإنَّ بالزُّهد فيه يقع في ضِدِّه، وما هَلَك مَنْ هَلَك ممَّنْ يدَّعي الإسلام إلَّا بعدم إعطائِه حقَّه ومَعرفتِه حقَّ المعرفة، وظنُّوا أنَّه يكفي الاسم والشَّهادتان، ولم ينظروا ما ينافيه، وما ينافي كماله، هل هو موجود أو مفقود؟

(١) أي: أنَّ تلك الكلمة - «التَّوحيدُ فَهِمْنَاه» - صَدَرَت مِن بعض مَنْ رَاسَل المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ مُكَاتَبةً.

وَتُفِيدُ أَيْضاً: أَنَّ المُسْلِمَ المُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ كُفْرٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي، فَنُبِّهَ عَلَى ذَلِكَ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ؛ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ؛ . . . . . .

وهذا كلُّه من عدم التَّحرُّز ومعرفةِ ألفاظ التَّوحيد لفظةً لفظةً، مَن الذي عرف التَّوحيد كلَّ المعرفة؟! أصله - وللَّه الحمد - معروف، لكنْ له أَقسامٌ وفُروعٌ وشُعَبٌ، وضدُّه الشِّرك له فُروعٌ.

قصَّة مُؤثِّرة تُذْكَر عن المُؤَلِّف

وممَّا يُذكَر عن المُؤلِّف أنَّه يوماً قال: يُذكَر البارحة أنَّه وُجِد رجلٌ على أُمِّهِ يُجَامِعُها، فاستعظم المَحْضر ذلك وضَجُّوا منه، رأوا أنَّه منكر كبير - وهو كبير -، ثمَّ قال مرَّة أخرى: إنَّ واحداً أُصيبَ بمرضٍ شديدٍ، فقيل له: اذبح دُيَيْكاً[1] لفلانٍ - وَلِيٍّ -؛ فلم يستعظموه.

ثمَّ بيَّن لهم أنَّ الأوَّل فاحشة يبقى معها التَّوحيد، والآخر ينافي التَّوحيد كلَّه، وهذا لم تستعظموه مثل ذاك!

وهذا هو الواقع من أكثر النَّاس، فإنَّ النُّفوسَ تستبشع أشياء أعظم من استبشاعها ما هو من أمر التَّوحيد.

الفائدة الخامسة: أنَّ المسلم المجتهد إذا تكلَّم بكلام كفر وهو لا يدري ثم تاب منه فإنَّه لا يكفر

(وَتُفِيدُ أَيْضاً: أَنَّ المُسْلِمَ المُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ كُفْرٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي، فَنُبِّهَ عَلَى ذَلِكَ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ؛ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ)

(١) تَصْغِيرُ كلمة «دِيك»؛ أي: اذْبَح دِيكاً صَغِيراً.

كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ.

وَتُفِيدُ أَيْضاً: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الكَلَامُ تَغْلِيظاً شَدِيداً؛ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فإنَّ من الأشياء ما قد يخفى ويكون مجتهداً، وبعدما يُبيَّن له يرجع؛ (كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ).

الفائدة السَّادسة: التَّغْلِيظ على مَنْ تَكلَّم بكلام كُفْرٍ وإنْ كان جَاهِلاً وتَابَ منه

(وَتُفِيدُ أَيْضاً: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الكَلَامُ تَغْلِيظاً شَدِيداً؛ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) في إنكاره على أولئك في قولهم: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، كما تَقدَّم[1].

---

(١) (ص٣٢٨).

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى؛ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَى أُسَامَةَ رضي الله عنه قَتْلَ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَحَادِيثُ أُخَرُ فِي الكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا، . . . . . .

الشُّبهة العَاشِرَة: شبَّهوا بأحاديث أنَّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يُكفَّر ولا يُقتَل ولو فَعَلَ ما فَعَلَ وعنها خَمْسة أجوبَة

(وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى؛ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَى أُسَامَةَ رضي الله عنه قَتْلَ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»[(١)].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[(٢)].

وَأَحَادِيثُ أُخَرُ فِي الكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا[(٣)]).

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب المغازي، باب بَعْثِ النَّبيِّ ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى الحُرُقات من جُهَيْنة، رقم (٤٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قول الشَّهادة، رقم (٩٦)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب دعاء النَّبيِّ ﷺ النَّاس إلى الإسلام والنُّبوَّة، وأن لا يتَّخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون اللَّه، رقم (٢٩٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدُّعاء إلى الشَّهادتَيْن وشرائع الإسلام، رقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كحديث عبد اللَّه بن مَسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» رواه البخاريُّ، رقم (٦٨٧٨)، ومسلم، رقم (١٦٧٦).

وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ: أَنَّ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ لَا يُكَفَّرُ، وَلَا يُقْتَلُ - وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ! -.

فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ الجُهَّالِ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ اليَهُودَ وَسَبَاهُمْ؛ . . . . . .

(وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ) من إيراد هذه الأحاديث والتَّشبيه بها: (أَنَّ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ لَا يُكَفَّرُ، وَلَا يُقْتَلُ - وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ! -) يعني: أنَّ النُّطقَ بها كافٍ في إسلامِ العبد، ومُرادُهُم أنَّكم - مَعْشَر المُوحِّدين - تُكفِّرون مَنْ يَشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه.

نُصوص الدِّين لها أَرْوَاح ومَعانٍ مُرَادة ولَيْسَت ألفاظاً فقط

وهذا من عظيم جهلهم وعَمايتِهم؛ يَرَوْن أنَّ الدِّين رُسومٌ[1] فقط، ما دَرَوْا أنَّ لها أرواحاً ومعانيَ؛ لها مَعانٍ هي المرادة، الألفاظ قوالب - جُثَّة -، والمعاني روح، ويأتيك كَشْفها ومُراد النَّبيِّ ﷺ من هذه الأحاديث، وأنَّه لا كما ظنُّوا وزعموا.

الجواب الأوَّل: الرَّسولُ ﷺ قَاتَل اليهودَ وسَبَاهُم وهُمْ يقولون: «لا إله إلَّا اللَّه»

(فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ الجُهَّالِ) في الجواب عن ذلك: (مَعْلُومٌ) مُتحقِّقٌ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ اليَهُودَ) في عدَّة مواطن، (وَسَبَاهُمْ) أخذ نساءهم مَماليكَ وعَبيداً كالصَّنيع بسائر الكُفَّار؛

---

(١) أي: ألفاظ.

وَهُمْ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ، . . . . . .

(وَهُمْ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») فلا مَنَعَ قولُ: «لا إله إلَّا اللَّه» مِن قِتَالِهم وسَبْيِهم.

الجواب الثَّاني: الصَّحابة رضي الله عنهم قَاتَلُوا بني حَنِيفَة وهم يَنْطِقون الشَّهَادَتَيْن ويُصَلُّون ويَدَّعُون الإسلام

(وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ[1]) ومع ذلك قاتلوهم، وسَبَوْا حَرِيمَهم وذَرَارِيَّهم، مع قولهم: «لا إله إلَّا اللَّه...» إلخ، لأجلِ مُكَفِّراتٍ أُخَر.

الجواب الثَّالث: عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه حَرَّق بالنَّار الذين ادَّعَوْا فيه الإلَهيَّة مع صَلاتِهم وادِّعائِهم الإسلام

(وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ[2]) مع صلاتهم وادِّعائهم الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ رضي الله عنه، ولكن وقع منهم الغُلُوُّ في عليٍّ رضي الله عنه وتَجاوُزُ الحَدِّ في تعظيمه، حتى ادَّعَوْا فيه الإلهيَّة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٠٩).

(٢) سبق تخريجه (ص٣١٤).

. . . . . .

مُجَرَّد قول: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يَمْنَع من التَّكفير

فدلَّ على أنَّ مُجرَّد قول: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يمنع من التَّكفير؛ بل يَقولُها ناسٌ كثيرٌ ويكونون كُفَّاراً؛ إمَّا لعدم العِلْم بها أو العمل بها، أو وجود ما ينافيها.

فلا بدَّ مع النُّطق بها من أشياء أُخَر؛ أكبرها: معرفة معناها، واعتقاده، والعمل به، فإنَّه ليس المراد اللَّفظ؛ بل اللَّفظُ وإقرارٌ وعملٌ؛ فإنْ حصلَ فهو معه «لا إله إلَّا اللَّه»، وإلَّا فإنَّه ما جاء إلَّا بلفظِها فقط؛ ورُوحُها وحَقيقتُها مفقود.

«لا إله إلَّا اللَّه» يَنْقُضُها أَشْيَاء لَيْسَت من ذَاتِها فكيف بنفيها نفسِها؟!

فـ«لا إله إلَّا اللَّه» ينقضها أشياء ليست هي من ذاتها؛ ممَّا ينفي «لا إله إلَّا اللَّه»: مسبَّةُ الرَّسول ﷺ، ورَمْيُ أزواجه بالإفْك، كلُّ واحدٍ منها ينقض هذه الكلمة العظيمة، فكيف بنفيها نفسِها؛ من عبادة غير اللَّه، وجَعْلِ الأوثان قبلةَ قلبِ صاحبها؟!

الذي يَنْطِق بالشَّهَادة ويَنْقُضُها أسوأُ حالاً ممَّنْ يَمْتَنِع عن النُّطقِ بها

بل هذا الذي ينطق بها ولكن يَنْقُضها أسوأ حالاً ممَّن يمتنع عن النُّطق بها؛ لأنَّه يُؤخَذ بأنَّه دخل في الإسلام، ثمَّ ما يُوجَد منه يفيد أنَّه انتكس عمَّا تسمَّى به؛ فيكون مُرتدّاً.

المُرتَدُّ أعظمُ حُكْماً من الكَافِرِ الأَصليِّ

والمُرتدُّ أَعظمُ حُكْماً من الكافرِ الأصليِّ؛ منها: أنَّ مالَه فَيْء[1]

(١) الفَيْء: ما حَصَل للمسلمين من أموال الكُفَّار من غير حربٍ ولا جهادٍ. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٨٢).

وَهَؤُلَاءِ الجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ: كُفِّرَ، وَقُتِلَ - وَلَوْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» -، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ: كُفِّرَ، وَقُتِلَ - وَلَوْ قَالَهَا -، فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ شَيْئاً مِنَ الفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ -؟! . . . . . .

- إلى آخر أحكام المُرتدِّين[1] -؛ بخلاف اليهوديِّ والنَّصرانيِّ والمَجُوسيِّ[2] فإنَّهم يتوارثون بينهم، هذا من تغليظ كُفرِه؛ لأنَّه عرف ثمَّ أنكر، وأَبْصَر ثمَّ عمي، فصار أَغلظَ ممَّن لم يُقِرَّ أصلاً.

الجواب الرَّابع: المُشَبِّهون مُقِرُّون أنَّ مَنْ أنكر البَعْث: كُفِّرَ وقُتِلَ ولو قال: «لا إله إلَّا اللَّه»

(وَ) كذلك (هَؤُلَاءِ الجَهَلَةُ) المُشْرِكُون (مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ: كُفِّرَ، وَقُتِلَ - وَلَوْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» -) ولم تَنْفَعْه الشَّهادتان.

الجواب الخامس: المُشَبِّهون مُقِرُّون أنَّ مَنْ جَحَدَ شيئاً مِنْ أركان الإسلام كُفِّرَ وَقُتِلَ ولو قال: «لا إله إلَّا اللَّه»

(وَ) هم أيضاً مُقِرُّون (أَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ) كوجوب الصَّلاة، أو وجوب الصِّيام: (كُفِّرَ، وَقُتِلَ - وَلَوْ قَالَهَا -) لا ينازع فيه أصحاب هذه الشُّبْهَة.

(فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ شَيْئاً مِنَ الفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ -؟!) إذا صار

(١) ذكرها ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ في المغني ضمن كتاب «المرتد» (٩/ ٣).

(٢) المَجُوس هم: عَبَدة النَّار، يقولون بإثبات أَصْلَيْن، وهما: النُّور والظُّلمة، =

. . . . . .

جحودهم فرعاً من الفروع كفْراً مُجْمَعاً عليه عندهم، فكيف بأصلِ الأصول؟!

= وزَعَمُوا: أنَّ الأَصْلَيْن لا يجوز أن يكونا قَدِيمَيْن أَزَلِيَّيْن؛ بل النُّور أَزَليٌّ، والظُّلمة مُحْدَثة. المِلَل والنِّحل (٢/ ٣٨)، موسوعة المِلَل والأديان (٢/ ١٧٠).

وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَى الأَحَادِيثِ:
فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رضي الله عنه: . . . . . .

معنى الأحاديث التي شَبَّه بها المُشْرِكون

(وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَى الأَحَادِيثِ) ولا حَامُوا[1] حَوْلَها، وعشا[2] على أبصارهم التَّقليدُ الأعمى والجُمُود، وإحسان الظَّنِّ بأناسٍ أعرضوا كلَّ الإعراض عن التَّوحيد، وقلَّدوا مَنْ ظنَّ أنَّ قول: «لا إله إلَّا اللَّه» في هذه الأحاديث كافٍ مع الجهل بمدلول «لا إله إلَّا اللَّه».

والإنسان إذا أراد أن يطالع في كلام الفقهاء؛ فإنَّه يجد أنَّ الإنسانَ إذا أتى بمُكفِّرٍ قوليٍّ أو اعتقاديٍّ؛ فإنَّه يَكْفُر ولا يَنْفَعُه جميع ما تَسمَّى به وعَمِلَه، والمُشْرِكُون في هذه الأزمان زعموا أنَّه لا يَكفُر إلَّا مَنْ تعلَّق عليها[3] وزعم أنَّها تستقلُّ بجلب المنافع ودفع المَضارِّ، وهذا من كَبيرِ جهلهم؛ وهذا بعَيْنِه دينُ المُشْرِكين الذين ما أُنزِلت جميع الكتب، ولا أُرسِلت الرُّسُل إلَّا لردِّه وإبطالِه؛ فإنَّ المُشْرِكين الأوَّلين قلَّ منهم مَنْ يزعم أنَّ مَنْ يُلجأ إليه يَستقلُّ بجلب المنافع ودفع المَضارِّ.

معنى حديث أسامة رضي الله عنه

(فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رضي الله عنه) يعني: وقِصَّته حين قتل الرَّجُل

(١) الحَوم: الدَّوران حول الشَّيء. الصِّحاح (٥/ ١٩٠٨)، مقاييس اللُّغة (٢/ ١٢٢).
(٢) العشا سوءُ البَصَر من غير عمى؛ فهو أدنى البَصَر، وعشا عن الشَّيء: ضَعُفَ بَصَرُه عنه. المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٢٨٥)، لسان العرب (١٥/ ٥٦).
(٣) أي: على القبور ونحوها.

فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلاً ادَّعَى الإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَاهُ إِلَّا خَوْفاً عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ، . . . . . .

الذي قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه»: **(فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلاً ادَّعَى الإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَاهُ إِلَّا خَوْفاً عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ)**.

أحوال النَّاس مع كَلِمَة التَّوحيد في عَهْد النُّبُوَّة

النَّاس زَمَنَ النَّبيِّ ﷺ أحد رَجُلَيْن:

- رَجلٌ يقول: «لا إله إلَّا اللَّه» مُوقِناً مُخْلِصاً.

- ومُنَافِق.

وأمَّا غيرهم فيَأْبَوْن أن يقولوها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٦]، ويُوَضِّح ذلك قصَّة عمِّ الرَّسُول ﷺ حين قال له: «يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...»[(١)] الحديث.

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المُشْرِك عند الموت: «لا إله إلا اللَّه»، رقم (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أوَّل الإيمان قول: «لا إله إلا اللَّه»، رقم (٢٤)، من حديث المُسيِّب بن حزن رضي الله عنهما، ولفظه: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ المَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ، =

وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ؛ وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ أَيْ: فَتَثَبَّتُوا، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلَامَ: قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا: لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنىً.

مَنْ أَظْهَرَ الإسلامَ فله حالتان

(وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ؛ وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ) يعني: الحُكْمَ الشَّرعيَّ أنَّه لا يُقتَل، ويَجبُ الكَفُّ عنه ما دَامَ في حالةٍ يَحْتَمِل أن يكون فيها صادقاً ويَحْتَمِل أن يكون كاذباً؛ **(حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾** [النِّساء: ٩٤] **أَيْ: فَتَثَبَّتُوا، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ)** وهو التَّأنِّي والنَّظَر إلى ما يَصِير إليه آخر الأمر.

الحالة الأُولَى: ألَّا يتبيَّن منه ما يُخالِف الإسلام فهذا يُكَفُّ عنه

الحالة الثَّانية: أن يتبيَّن منه ما يُخالِف الإسلام فهذا يُقتَل

(فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلَامَ: قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا: لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنىً)

= فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التَّوبة: ١١٣]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]».

وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ؛ مَعْنَاهُ: مَا ذَكَرْنَاهُ؛ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ وَالتَّوْحِيدَ: وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ؛ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

فليس المراد: أنَّه يُكَفُّ عنه مُطْلَقاً.

النَّاطق بالإسلام إن قامت القَرَائِن أنَّه إنَّما قال ذلك ليَسْلَم من القَتْل، فإنَّها تَدُومُ عِصْمَتُه حتى يتبيَّن منه ما يُخَالِف ذلك، فإن تبيَّن منه ما يخالف ذلك قُتِل.

معنى حديث: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ...» وأمثاله

(وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ) وهو حديث: **(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ...)**[1]، **(وَأَمْثَالُهُ؛ مَعْنَاهُ: مَا ذَكَرْنَاهُ)** ما ذكره المُصنِّف؛ **(أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ وَالتَّوْحِيدَ: وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ)** سواء احتمل الحال أنَّه مُتَعوِّذٌ حقّاً، أو يَحْتَمِل أنَّه صادق؛ **(إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ)** فإن تبيَّن منه ما يُناقِض ذلك؛ فإنَّه يُقاتَل شرعاً حتى يدين بالإسلام.

صُوَر مَنْ يقول: «لا إله إلَّا اللَّه»

فصار هنا ثلاث صور:

الأولى: أنْ يُعرَف أنَّه حينما نطق بها عمل بها؛ فهذا لا يُقْتَل.

الثَّانية: أنْ يُشكَّ في حاله - ولو يُظنُّ أنَّه مُتعوِّذ فقط -؛ فهذا أيضاً لا يُقْتَل.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣٥).

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»، . . . . . .

الثَّالثة: أنْ يَقولَها ولكن ينقضها؛ فهذا يُقْتَل؛ لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾؛ لأنَّه تبيَّن منه ما يخالف الإسلام، فحَلَّ دَمهُ ومالهُ.

مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» وهو مُقِيمٌ على عبادة غير اللَّه فإنَّها لا تنفعه

وأمَّا إذا كان مِن قَبلُ يقولها، وهو على ما هو عليه من عبادة غير اللَّه؛ فلا لها حُكْم[1]؛ فإنَّه ما غيَّر شيئاً، فكأنَّه قال: أنا على ما أَنَا عليه قبلُ - وهو قول: «لا إله إلَّا اللَّه» -.

فيُقَال له: أنت تُقاتَل قبل وأَنتَ تقول: «لا إله إلَّا اللَّه»، فهو ما خلع ولَبِس؛ بل هو على ما هو عليه.

أربعة أدلَّة على أنَّ مُرادَ النَّبيِّ ﷺ ليس كلُّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يُكَفَّر ولا يُقْتَل

وأَهْل الكتاب أيضاً حتى لو قالوا: «لا إله إلَّا اللَّه»؛ فإنَّهم ما غيَّروا شيئاً.

(وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا) على أَنَّ هذا هو مُرَادُ النَّبيِّ ﷺ:

الدَّليل الأوَّل: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ بقَتْل الخَوَارِج مع قَولِهم: «لا إله إلَّا اللَّه»

(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»[2]،

---

(١) أي: أنَّ «لا إله إلَّا اللَّه» لا تَنفعُه في عِصْمَة دَمِه ومَالِه.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب المناقب، باب علامات النُّبوَّة في الإسلام، رقم (٣٦١١)، =

«لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»؛ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلاً - حَتَّى إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ صَلَاتَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ -، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَلَا كَثْرَةُ العِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءُ الإِسْلَامِ؛ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

«لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1]؛ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلاً - حَتَّى إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ صَلَاتَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ -).

فالخَوَارِج يَقولُون: «لا إله إلَّا اللَّه»، ويَزِيدُون على قول: «لا إله إلَّا اللَّه»، (فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَلَا كَثْرَةُ العِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءُ الإِسْلَامِ؛ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ).

فتَبيَّن أنَّ مُرادَ النَّبيِّ ﷺ بقوله: (**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**): أنَّه ليس كلُّ مَن قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لا يُكَفَّر ولا يُقْتَل.

فقَولُهم: (**أَنَّ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ لَا يُكَفَّرُ، وَلَا يُقْتَلُ - وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ! -**)؛ مِن عظيم جهلهم.

= ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب التَّحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(١) رواه البخاريُّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللَّه ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الحاقَّة: ٦]، رقم (٧٤٣٢)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه.

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِتَالِ اليَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ.

فكلُّ إنسانٍ يَنظُرُ في نُصوصِ الشَّرْع؛ فإنَّه موجودٌ كثيرٌ ممَّنْ يُقْتَل وهو يقول: «لا إله إلَّا اللَّه»، ومَنْ قال خلاف ذلك فليس مِن أهل العِلم بوَجْهٍ.

الدَّليل الثَّاني والثَّالث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَاتَل اليَهُود وهم يَقولُون: «لا إله إلَّا اللَّه» والصَّحابة أيضاً قَاتَلُوا بني حَنيفَة وهم يَقولُونَها

(وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِتَالِ اليَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ) وهم يقولون: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه»، فلو أنَّ مُجرَّد قول: «لا إله إلَّا اللَّه» يَعْصِم الدَّمَ والمالَ لَمَا قاتلَ رسولُ اللَّه ﷺ اليهود، وقاتل الصَّحابةُ بني حَنِيفَة[1].

فليس مُرَادُه مِنْ: **(أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟)**، وقوله: **(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**، وأَحاديث أُخَر في الكَفِّ عمَّنْ قالها[2]؛ كما استدلُّوا به هنا؛ بل مُرادُه ﷺ أنَّ مَنْ كان قبلُ على الكفر ثمَّ أَسْلَم؛ فإنَّه يُكَفُّ عنه كَفَّ انتظار، ولو أنَّه يَحتمل[3]، فالحُكْمُ الشَّرعيُّ أنَّه يُكَفُّ عنه ويُنتَظر؛ إنِ استقامَ على الإسلام استمرَّ به؛ وإلَّا قُتِل قَتْلاً أَشدَّ

(١) هم: حَيٌّ من بكر بن وائل، أكثرهم نزلوا اليَمَامَة، وكانوا قد تبعوا مُسَيْلِمَة الكَذَّاب حين ادَّعَى النُّبوَّة، ثمَّ أَسْلَمُوا زمن أبي بَكْر رضي الله عنه. الأنساب للسَّمعاني (٤/ ٢٨٨)، نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (١/ ٢٣٨).

(٢) كما سبق في (ص٣٣٥).

(٣) كَذِبَه.

وَكَذَلِكَ أَرَادَ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي المُصْطَلِقِ؛ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِباً عَلَيْهِمْ.

فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَجُّوا بِهَا: مَا ذَكَرْنَاهُ.

من الأوَّل، وأسوأ حالاً وأحكاماً من الأصليِّ، كما عُلِمَ من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة[١].

الدَّليل الرَّابع: عَزْمُ النَّبيِّ ﷺ على غَزْو بني المُصْطَلِق لَمَّا بَلَغَه مَنْعُهم الزَّكاة

(وَكَذَلِكَ أَرَادَ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي المُصْطَلِقِ) وأمر بالغَزْو؛ (لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِباً عَلَيْهِمْ[٢].

(فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَجُّوا بِهَا: مَا ذَكَرْنَاهُ).

مَن انْتقض إسلامه حَلَّ مالُه ودَمُه وإن كان يقول كَلِمَة التَّوحيد

فتبيَّن ممَّا تَقدَّم: أنَّ قولَ: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يكفي في عِصْمَة الدَّم والمال؛ وأنَّه ليس هذا الذي فَهِمَه هؤلاء الجُهَّال؛

---

(١) المغني (٩/ ٣).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٨٤٥٩)، من حديث الحارث بن أبي ضرار الخزاعيِّ رضي الله عنه.

. . . . . .

(أَنَّ مَنْ قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»؛ **لَا يُكَفَّرُ، وَلَا يُقْتَلُ - وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ!** -)؛ بل إذا تبيَّن منه ما يناقض الإسلام قُتِل، ولو قال: «لا إله إلَّا اللَّه».

الفَرْقُ بين هذه الشُّبهَة والتي قبلَها

س: ما الفرق بين هذه الشُّبْهَة والتي قبلَها؟

ج: أمَّا الأُولَى: فلَمَّا ذكر المُصنِّف أنَّ مُشْرِكِي زَمانِنا أَغلظُ شركاً من الأوَّلين بأمرين، اعْتَرضُوا عليه بهذه الشُّبْهَة وهذه الفروق، وقالوا: نحن نَشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه، فكيف تجعلوننا مثل أولئك الذين لا يَشهدُون... إلخ؛ بل ما قَصَرْتُمونَا عليهم؛ بل زِدْتُمُونا بهذين الأمرين.

فأجابهم المُصنِّف بقوله في جميع الشُّبَه:

إنَّ من وُجِد منه مُكفِّر بأنْ كان مُصدِّقاً الرَّسُول ﷺ في شيءٍ ومُكذِّبَه في شيءٍ.

أو وُجِد منه مُكفِّر بأنْ رَفَعَ المخلوق في رُتْبَة الخالق.

أو وُجِد منه مُكفِّر بأن غلا في أحدٍ من الصَّالحين فادَّعى فيه الألوهيَّة.

أو وُجِد منه مُخالَفة الشَّرِيعَة في أشياء؛ مثل إباحته نكاح الأختين جميعاً.

. . . . . .

أو وُجِد منه مكفِّر بأيِّ نوع كان من أنواع الرِّدَّة.

أو وُجِد منه مُكفِّر بأَنِ اسْتَهْزَأ باللَّه أو آياته.

وحاصلُها: أنَّ مَنْ وُجِد منه مُكفِّر فهو مثلهم وهو معه هذه الفروق؛ يشهد أن لا إله إلَّا اللَّه؛ إلى آخر ما ذكر.

وأمَّا الثَّانية: فهي أنَّهم يقولون: إنَّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه»؛ فهو مُسلمٌ حَرامُ الدَّم والمال، بدليل قصَّة أسامة... إلخ.

فأجابهم المُصنِّف: بأنَّ مَن أظهر الإسلام والتَّوحيد وَجَب الكَفُّ عنه إلى أن يتبيَّن منه ما يُخالِف ذلك، فإن تبيَّن منه ما يُخالِف ذلك قُوتِل ولو قالها، حتى يعمل بما دلَّت عليه. اهـ.

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى؛ وَهِيَ: مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِعِيسَى، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ شِرْكاً.

الشُّبهَة الحادية عشرة: أنَّ الاستغاثةَ بغير اللَّه لَيْسَت شِرْكاً لجَواز الاستغاثة بالأَنْبِيَاء في الآخِرَة

(وَلَهُمْ) يعني: مُشْرِكِي هذه الأزمان (شُبْهَةٌ أُخْرَى) غير ما تقدَّم؛ (وَهِيَ: مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ) وثَبَتَ؛ (أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِعِيسَى) إذا اشتدَّ وطال بهم الموقف عَمَدُوا إلى الاستغاثة بهؤلاء، (فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) فيقول: «أَنَا لَهَا»[1].

(قَالُوا) قال المُشبِّهون بهذا الحديث: (فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ شِرْكاً).

وهذا من جهلهم، ما عرفوا الفرق بين الاستغاثتين؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ حياتُه معهم في القيامة أكمل، والاستغاثة الشِّركيَّة التي أنكرناها هي ما يأتي بيانه؛ وهي: الاستغاثة بالغائب، أو الميِّت، أو الحيِّ الحاضرِ الذي لا يَقْدِر.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب كلام الرَّبِّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم (٧٥١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها، رقم (١٩٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فَالجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِهِ! فَإِنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالمَخْلُوقِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا نُنْكِرُهَا؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام -: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾، وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي . . . . . .

وأمَّا الجائزة؛ فهي: طَلَب الحيِّ الحاضرِ، وجِنسُ سؤالِ النبيِّ ﷺ مَوجودٌ في اليوم الآخر، وإن كان قد انقطع العمل - موجودٌ في النُّصوص أنَّ النَّبيَّ ﷺ يشفع لمن أُذن له فيه -.

ففرقٌ بين ما هو مَعلومُ الجواز، وبين ما هو مَعلومُ الحُرْمَة والشِّرك.

الجواب بالفَرْقِ بين الاسْتِغَاثَتَيْن

(فَالجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِهِ!) فحالَ بينهم وبين معرفة الفرق بين هذه الاستغاثة وهذه الاستغاثة؛ فصاروا لا يُبصِرون الشَّمس في رابعة النَّهار، فلم يُفرِّقوا بين الشِّرك والتَّوحيد، فهذه شيء، وهذه شيء آخر، وبينهما فرق في الكتاب والسُّنَّة، وفرق في الحُكْم والحَدِّ.

الاسْتِغَاثَة الجَائِزَة: الاسْتِغَاثَة بالمخلوق فيما يَقْدِر عليه

(فَإِنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالمَخْلُوقِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا نُنْكِرُهَا) يَستغيثُ إنسانٌ بإنسانٍ في شيءٍ يَقْدِرُ عليه؛ **(كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام -: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي**

مثالان على الاسْتِغَاثَة الجَائِزَة

الحَرْبِ وَغَيْرِهَا - مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَيْهَا المَخْلُوقُ -، وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ.

الحَرْبِ وَغَيْرِهَا - مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَيْهَا المَخْلُوقُ).

الاسْتِغَاثَة الشِّرْكيَّة: الاسْتِغَاثَة بالأموات أو الغَائِبين مُطْلقاً، أو الأَحْيَاء الحَاضِرين في الأَشْيَاء التي لا يَقْدِر عليها إلَّا اللَّهُ

(وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ) الأموات مُطْلَقاً، (أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ) والغائبين مُطلقاً - وقوله: (عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ) هذه ليست بقَيْد؛ بل خرجَ مَخْرجَ الواقع والغالب؛ وإلَّا فالأصنامُ ونحوها كذلك - والحيِّ الحاضرِ (فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ) كالسُّؤال منه هدايةَ القلوب؛ أو رفعَ جبلٍ ونحوه، فهو كالميِّت؛ وهذه كلُّها استغاثة شِرْكيَّة، وكلُّها أنكرناها.

فمَنْ سوَّى بينهما فقد سوَّى بين المُتضادَّيْن وسوَّى بين المُختلفَيْن، فهو نظير التَّفريق بين المُتَماثِلَيْن.

الاسْتِغَاثَة بالميّت أو الغائب شِرْك

فإنَّ الاستغاثةَ بالميِّت شرك أصلاً؛ لكونه فاقد الحِرَاك، ولا يدري، ولا يَقدِر.

والاستغاثةَ بالغائب أيضاً شرك؛ لكونه لا يَسْمَع ولا يَدْرِي.

الاسْتِغَاثَة بالحيِّ الحَاضِر فيها تفصيل

والاستغاثةَ بالحيِّ الحاضرِ؛ فيها تفصيل:

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ: فَالِاسْتِغَاثَةُ بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ، . . . . . .

- فإنْ كانَ فيما لا يَقْدِرُ عليه؛ كرَدِّ البَصرِ بغيرِ أَمرٍ طبِّيٍّ، أو هدايةِ القلب بغير الإرشاد والحُجَّة أو نحو ذلك، فهذا كلُّه شركٌ؛ أَنْ يفعلَ بِسِرِّه - أي: بأُلوهيَّتِه - شيئاً من ذلك؛ فإنَّ هذا لا يَقْدِرُ عليه إلَّا اللَّه.

- والاستغاثة بالحيِّ الحاضرِ القادرِ أَمْرٌ فِطْريٌّ ضروريٌّ، مَعلومٌ بالشَّرعِ والحِسِّ والاستعمال؛ فإنَّ الإنسانَ مَدَنيٌّ مُحْتاجٌ إلى بني جِنسِه ومُساعدتهم في جميع معاشِه واتِّصالاتِه، وهكذا كلُّ حياة العَالَم على هذا.

(إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ) أي: إذا تَقرَّر ما تَقدَّم - وهو الفرق بين الاستغاثتين؛ الاستغاثة الشِّركيَّة التي أنكرناها، والجائزة، وأنَّ التي أنكرناها استغاثة العبادة والشِّرك، لا الاستغاثة بالحيِّ الحاضرِ فيما يَقْدِرُ عليه -:

الاستِغَاثَةُ بالأَنْبِيَاء يوم القيامة من الجَائِزَة لأنَّها استغاثة بحيٍّ حَاضرٍ قَادرٍ

(فَالِاسْتِغَاثَةُ بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ) من الثَّانية؛ فإنَّها استغاثة بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ، هم مع النَّاس حاضرون قادرون في حياة أَكْمَل من هذه الحياة الدُّنيا، **(يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ)**.

وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ، وَتَقُولَ لَهُ: ادْعُ اللَّهَ لِي، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ فِي حَيَاتِهِ، . . .

حقيقة الاستِغَاثَة الجَائِزَة بالأَنْبِيَاء وهم أَحْيَاء: أَنْ يرغب النَّاس إليهم أن يَسْأَلُوا اللَّه ويَدْعُوه

فحقيقتُها: أنْ يرغبوا إليهم أن يَسألوا اللَّه ويدعوه، **(وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا)** ولا محذور فيه، **(وَ)** جائزٌ في **(الآخِرَةِ؛ أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ)** حاضرٍ **(يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ)** قادر على الكلام، **(وَتَقُولَ لَهُ: ادْعُ اللَّهَ لِي)** لأنَّه مُتَمكِّن؛ وكذلك الأنبياء مع النَّاس يومَ القيامة مُتمكِّنون أَنْ يَسْأَلوا اللَّهَ ويَدْعُوه.

دليل جواز الاستِغَاثَة بالأَنْبِيَاء وهم أَحْيَاء فيما يَقْدِرُون عليه

(كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ) ذلك **(فِي حَيَاتِهِ)** كما قالت أُمُّ أنسٍ رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، خُوَيْدِمُكَ أَنَسٌ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ»[(١)]، وكما قال عُكَّاشةُ بن مِحْصَنٍ رضي الله عنه: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ»[(٢)].

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الدَّعوات، باب دعوة النَّبيِّ ﷺ لخَادِمِه بطول العُمُر، وبكثرة ماله، رقم (٦٣٤٤)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم (٢٤٨١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وتمامه: «فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ».

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الرِّقاق، باب يدخل الجنَّة سبعون ألفاً بغير حساب، رقم (٦٥٤١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدَّليل على دخول طوائف من المسلمين الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢٢٠)، من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وتمامه: «فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ: فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ! بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، . . . .

الاستغاثة بالنَّبيِّ ﷺ بعد موته شِرْك

(وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ: فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ!) بل جاءتهم الكروب، ولم يأتِ أحدٌ زَمَن الحَرَّة[١] ولا غيرها[٢]؛ بل يَعدُّونَه من أعظمِ المُنْكَرات؛ فإنَّ هذا هو الشِّرك الأكبر، ولِعِلْمِهم أنَّ ذلك مُختصٌّ في حياته، وأنَّه انقطع بعد مماته، فلا يستغيثونه، ولا يسألونه أن يدعو اللَّه لهم.

إنكار السَّلَف على مَنْ دَعَا اللَّه وَحدَه مُخْلِصاً عند قَبر النَّبيِّ ﷺ

(بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ) وَحدَه مُخْلِصاً (عِنْدَ قَبْرِهِ) قبر النَّبيِّ ﷺ، يظنُّه أَجْوبَ، كما أَنْكَر عليُّ بن الحُسَيْن - وهو أَعْلَم أهل البيت في زمانه - على مَنْ أَتَى قَبرَ النَّبيِّ ﷺ يدعو اللَّه؛ فنهاه وقال: «أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[٣].

---

(١) أي: وقْعَة الحَرَّة سنة (٦٣هـ)، والتي كانت بين أهل المدينة ويزيد بن معاوية، وما حصل فيها من القَتْل واسْتِبَاحَة المدينة ثلاثة أيَّام. الكامل في التَّاريخ (٣/ ٢١١)، البداية والنِّهاية (٩/ ٢٤٥).

(٢) يسأل النَّبيَّ ﷺ عند قبره.

(٣) سبق تخريجه (ص٢٧٨).

فَكَيْفَ دُعَاؤُهُ نَفْسِهِ؟!

إذا كان السَّلَف أَنْكَرُوا على مَنْ قَصَد دُعَاءَ اللَّه وَحدَه عند قَبرِ النَّبيِّ ﷺ فكيف دُعاءُ النَّبيِّ نَفسِه؟!

(فَكَيْفَ دُعَاؤُهُ) دُعاءُ النَّبيِّ ﷺ (نَفْسِهِ؟!).

إذا كان هذا إنكار السَّلَف على مَنْ قَصَد دعاءَ اللَّه وَحدَه لا شريك له عند قبر النَّبيِّ ﷺ؛ فكيف دُعاؤُه نفسِه؟! كيف لو وجدوه يدعو النَّبيَّ ﷺ نفسَه؟! فإنَّهم يكونون أَشدَّ إنكاراً؛ فإنَّ الأوَّل: بدعة ولا يجوز، وأمَّا الثَّاني: فهو الشِّرك الأكبر؛ لأنَّه صدَر منه مُخُّ العبادة؛ وهو دُعاءُ غير اللَّه.

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى؛ وَهِيَ: قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: «لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ فِي الهَوَاءِ، فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا!»، قَالُوا: . . . .

الشُّبهَة الثَّانية عشرة: لو كانت الاستِغَاثَة بجبريل عليه السلام شِرْكًا لم يَعْرِضْها على إبراهيم عليه السلام

(وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى؛ وَهِيَ: قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: «لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ) حينما أَمَر عَدوُّ اللَّه النُّمرود بجمعِ حَطبٍ عظيم، ثمَّ أَضْرَمَ فيه النَّار وأَمَرَ بإلقاءِ إبراهيم عليه السلام فيها، (اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ فِي الهَوَاءِ) حين أُلْقِي من المَنْجَنيق[1]، (فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ) في هذه الضِّيقَة والشِّدَّة أَنْفَعُكَ بها؟

(فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا!»[2]) فصبرَ في شدَّة هذه الحاجة، ثمَّ قال إبراهيم عليه السلام: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ»[3]، أي: كَافِينَا اللَّه وحده ونعم المَوْكُول إليه أَمْر عباده، فقال اللَّه تعالى للنَّار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]؛ فكانت برداً وسلاماً عليه.

فالمقصود: أنَّ هؤلاء المُشْرِكين شَبَّهوا بهذه القصَّة (قَالُوا:

---

(١) المَنْجَنيق: القَذَّافُ التي تُرمى بها الحجارة، مُعرَّبة وأصلها بالفارسيَّة: ما أجودني، وهي مؤنَّثة. الصِّحاح (٤/ ١٤٥٥)، المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٦٠٢).

(٢) تفسير الطَّبري (١٦/ ٣٠٩).

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]، رقم (٤٥٦٣)، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

فَلَوْ كَانَتِ الِاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شِرْكاً لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الأُولَى؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾، فَلَوْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَرْضِ. . . . . .

فَلَوْ كَانَتِ الِاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شِرْكاً لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) فعرْضُها على إبراهيم مِنْ جبريل عليه السلام يُجوِّز الاستغاثة به؛ وإلَّا لَمَا جاز.

أصلُ ضَلَالِهِم في هذه الشُّبْهَة

وأَصلُ ضلالهم في هذه الشُّبْهَة: عدم التَّفريق بين الجائز والحرام، وعدم العِلم والاطِّلاع على ما في الكتاب والسُّنَّة والإجماع من بيان ذلك[1].

الجواب: أنَّ جبريلَ عليه السلام عَرَضَ على إبراهيم عليه السلام أنْ يَنْفَعه بأمرٍ يَقْدِر عليه وهو حيٌّ حاضرٌ

(فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الأُولَى؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ) وهو حيٌّ حاضرٌ قادرٌ؛ فإنَّ هذا مِنْ جِنسِ الاستغاثة بالحيِّ الحاضرِ القادرِ، **(فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾** [النَّجم: ٥]).

قوَّة جبريلَ عليه السلام

(فَلَوْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَرْضِ

---

(١) أي: من بيان الفرق بين جواز الاستغاثة بالحيِّ الحاضر القادر، وبين الاستغاثة بالأموات.

وَالجِبَالِ وَيُلْقِيَهَا فِي المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَى رَجُلاً مُحْتَاجاً، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ أَوْ أَنْ يَهَبَ لَهُ شَيْئاً يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ لَا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ، . . . . . .

وَالجِبَالِ وَيُلْقِيَهَا فِي المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ؛ لَفَعَلَ) كما صَنَعَ حين أُمِر بقَلْعِ دِيَارِ قَوْمِ لُوطٍ عليه السلام وما حولَها من القُرَى حتى بَلَغَ بها عنان السَّماء[1].

(وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ؛ لَفَعَلَ. وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ لَفَعَلَ).

مثال على حَالةِ إبراهيمَ وجِبريلَ عليهما السلام

ثمَّ مثَّل المُصنِّف بحالةِ إبراهيمَ وجبريل عليهما السلام فقال: **(وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَى رَجُلاً مُحْتَاجاً، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ أَوْ أَنْ يَهَبَ لَهُ شَيْئاً يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ)** هذا مِثْل جبريل عليه السلام.

(فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ لَا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ) هذا مِثْل إبراهيم عليه السلام.

---

(١) أي: ما ظهر منها عند النَّظَر إليها. لسان العرب (١٣/ ٢٩٤).

فَأَيْنَ هَذَا مِنِ اسْتِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّرْكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!

فكما أنَّ الفقيرَ لو قَبِل من الغنيِّ لم يكن مُشْرِكاً؛ فكذلك هذه.

التَّفريق بين اسْتِغَاثَة المُشْرِكين وبين ما ورد في قصَّة إبراهيم مع جِبريلَ عليه السلام

(فَأَيْنَ هَذَا مِنِ اسْتِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّرْكِ) التي يفعلونها مع الأموات والغائبين - وهي عَينُ شركِ المُشْرِكِين الأوَّلين - من هذه الاستغاثة المَذْكُورَة في قصَّة إبراهيم عليه السلام (لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!).

استغاثة العبادة والشِّرك جِنسٌ، وهذا جِنسٌ؛ فمَن سوَّى بينهما فقد سوَّى بين المُتباينَيْن من كلِّ وجهٍ.

وفي الحقيقة: أنَّ مَنْ قال هذه مثل هذه، أو توقَّف فيها؛ فهو مُصابٌ في عقله؛ أَوْلَى ما له مراجعة عقله.

وَلْنَخْتِمِ الكَلَامَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ جِدّاً تُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَلَكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الكَلَامَ لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الغَلَطِ فِيهَا؛ . . . . . .

خاتمة: التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعَمَل

(وَلْنَخْتِمِ الكَلَامَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ جِدّاً تُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ) مِن أجوبة الشُّبُهَات السَّابقة؛ وتفيد كذلك في جواب الشُّبَه المُتقدِّمة.

مجموعُ جواب الشُّبُهَات السَّابقة يَكْفِي، لكنَّه مُتفرِّقٌ فيها، وجَمْعُها في مسألةٍ واحدةٍ أَوضحُ للطَّالب، وإفرادُها يكون أَوْعَى لها وأَحْفَظ.

أو يكون من بابِ تكريرها مرَّتين للحفظ، ويكون من باب اللَّفِّ بعد النَّشر؛ فذُكِرت في الأجوبة عموماً، وهاهنا خصوصاً.

أَفْرَد المُصنِّف هذه المسألة بالذِّكْر لِعِظَم شَأنِها وكَثرة الغَلَطِ فيها

(وَلَكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الكَلَامَ) يَذكُرُ لها كالتَّرْجَمَة بكلامٍ يختَصُّ، (لِعِظَمِ شَأْنِهَا) فعِظَمُ شأنها يَستحقُّ أن تُفرَد بكلام، (وَلِكَثْرَةِ الغَلَطِ فِيهَا) يَستحقُّ أن تُفرَد بكلام.

وما كان كذلك كان حقيقاً أن يَحفظَه الطَّالب، وأن يَثنيَ عليه بالخَناصِر[1].

(١) الخَناصِر: جمع خِنصَر؛ وهي: الإصبَع الصُّغرى. تهذيب اللُّغة (١٥/١٠٣)، الصِّحاح (٢/٦٤٦). =

فَنَقُولُ: لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ، فَإِنِ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا؛ لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِماً.

فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ

بالإجماع أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يكون بالقلب وَاللِّسان والعَمَل

(فَنَقُولُ: لَا خِلَافَ) بل إجماعٌ بين أهلِ العلم[1] (أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ) فلا بدَّ من الثَّلاثة:

- لا بدَّ أن يكون هو المُعتَقَد في قلبِه.
- ولا بدَّ أن يكون هو الذي يَنطِقُ به لسانه.
- ولا بدَّ أن يكون هو الذي تَعْمَلُ به جوارحه وأركانُه.

بالإجْمَاع إن اخْتَلَّ شيءٌ من هذه الثَّلاثة لم يكن الرَّجُل مُسلِماً

(فَإِنِ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا) لو وَحَّد بلسانِه دون قلبِه ما نَفَعَه تَوحيدُه، ولو وَحَّد بقلبِه وأركانِه دون لسانِه ما نَفَعَه ذلك، ولو وَحَّد بأركانِه دون الباقي (لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِماً).

هذا إجماع؛ أنَّ الإنسانَ لا بدَّ أن يكون مُوحِّداً باعتقادِه ولِسانِه وعَمَلِه.

أمثلة اخْتِلَال وَاحِدٍ من هذه الثَّلاثَة

وهذه أمثلة اختلالِ واحدٍ من هذه الثَّلاثة:

المثال الأوَّل: إن عَرَفَ التَّوحيد بلِسانِه وجَنانِه ولم يَعمل به فهو كافرٌ مُعَانِدٌ كَفِرْعَوْنَ وإبْلِيس وأمثالهما

(فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ) إذا اعتقد

= والمقصود هنا: أن يبدأ بها في طَلَبِه للعلم لشَرَفِها، قال في المصباح المنير (١/ ١٧٠): «وفلانٌ تُثْنَى به الخناصر، أي: تبدأ به إذا ذُكِر أشكاله لشَرَفِه».

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٣٣٠، ٣٨٧).

- كَفِرْعَوْنَ، وَإِبْلِيسَ، وَأَمْثَالِهِمَا -، وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ، وَلَكِنْ لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ . . . . . .

ولا نطق ولا عمل بالحقِّ بأركانه؛ فهذا كافرٌ عند جميع الأُمَّة.

(كَفِرْعَوْنَ) كما في آية: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

(وَإِبْلِيسَ) وكذلك إبليس يَعرِفُ الحقَّ؛ كما قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢]، ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

فكُفرُهُما كُفرُ عنادٍ؛ فإنَّ كلّاً من فرعون وإبليس يَعرِفَان الحقَّ في الجملة، وقد ينطقون به.

وبعضُ الكفر يكون عن جهلٍ وعدمِ بصيرةٍ.

(وَأَمْثَالِهِمَا) كعلماء اليَهُود - أُمَّةِ الغضب - وأمثالِهم ممَّنْ يَعلمُ الحقَّ ولا يَعملُ به.

بَعضُ النَّاس يَعرِف التَّوحيد ولكن يَترُكُه لأَعْذَارٍ فمَعْرِفَته به لا تَنْفَع لتَرْكِه العَمَلَ به

(وَهَذَا) الجانب والمقام - مقامُ التَّوحيد -، وأنَّه لا بدَّ أن يكون بالقلبِ واللِّسانِ والعَمَلِ **(يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)** منهم مَنْ إذا نُعِتَ له التَّوحيد **(يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ)** وهذا الذي نَدِينُ اللَّه به، **(وَلَكِنْ)** يعتذرون، يقولون: **(لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ**

وَافَقَهُمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ.

وَلَمْ يَدْرِ المِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفْرِ يَعْرِفُونَ الحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَارِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾.

وَافَقَهُمْ) يعني: ما يوافقون أهل بلدهم، **(وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ)** التي اعتذروا بها، يعني: ليس عن جهلٍ بها؛ ما جحدوها، لكن آثَرُوا العاجل والحُطام على الآجل.

غَالِبُ أئمَّة الكُفْرِ يَعرِفُون الحقَّ ولم يَتْرُكُوه إلَّا لِشيءٍ مِن الأعذار

(وَلَمْ يَدْرِ المِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفْرِ يَعْرِفُونَ الحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَارِ) التي هي مثل هذه الأعذار **(كَمَا قَالَ تَعَالَى)** في اليهود: **(﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التَّوبة: ٩])** ففي هذا أنَّهم عرفوا الحقَّ، وإنَّما آفتُهم شَهْوتُهم، وإيثارُ عاجِلهم على آجلهم.

الدَّليل على ذلك

(وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]) كما كان اليهود قبل مَبْعَثِ النَّبيِّ ﷺ يقولون: «إِنَّهُ أَظَلَّ[1] زَمَنُ الأَنْبِيَاءِ، وَوَاللَّهِ لَئِنْ بُعِثَ نَبِيٌّ لَنُقَاتِلَنَّكُمْ مَعَهُ»[2]، قال

---

(١) أي: دَنَا. الصِّحاح (٥/ ١٧٥٦).

(٢) تفسير الطَّبري (٢/ ٢٣٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٥).

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلاً ظَاهِراً وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ أَوْ لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ؛ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ الآية [البقرة: ٨٩].

فعلماء اليهود يَعرفُون الحقَّ ويَعرفُون أنَّه الحقُّ، ولكن رياساتهم مَنَعَتْهُم من الانقياد له، فمَعْرِفَتُهم وإقرارُهم بالحقِّ ما نَفَعَهُم، حيث تركوا العَمَلَ به والانقياد.

المثال الثَّاني: عَمِل بالتَّوحيد ظاهراً وهو لا يَفْهَمُه أو لا يَعْتَقِدُه بقلبه فهو مُنَافِق

(فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلاً ظَاهِراً) جرى على لِسانِه وعمِلَت به أركانُه **(وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ، أَوْ)** فهمه ولكن **(لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ)**؛ لم يَنْقَد بجَنانِه؛ **(فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ)** فإنَّ الكافرَ الخالصَ أتى الشَّرَّ من وجهه، ولا خادَعَ ولا دلَّس ولا لبَّس وخان؛ ولهذا هم أشرُّ من الكُفَّار في الآخرة **(﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: ١٤٥])** يعني: تحتَ الكُفَّار، وقد ذكر اللَّهُ المنافقين في ثلاث عشرة آية من سورة البقرة[١]، بخلاف الكافرِ الأصليِّ فإنَّه أهونُ كفراً من المنافق، وقد ذُكِروا في آيتين من سورة البقرة[٢].

---

(١) من آية (٨) إلى آية (٢٠).

(٢) الآية (٦) و(٧).

وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ، تَبِينُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا

تعريف النِّفاق وأقسامُه

والنِّفَاق: مُشتقٌّ من نَافِقَاء اليَرْبُوع، إذا خَالفَ بابَ جُحْرِه[١].

وفي الشَّرع: مُخالفةُ الظَّاهر للباطن[٢]، إمَّا في الاعتقاد كمَنْ يقول باللِّسان ويَعملُ بالأركان؛ ولكن مخالف بالجَنان، فهذا نفاقٌ أكبر ناقلٌ عن المِلَّة[٣].

والقسم الثَّاني: نفاقٌ عمليٌّ؛ وهو ما ذكر في الحديث: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[٤]، وصاحبه لا يكون مثل الأوَّل، وهو أعظمُ من الكبائر؛ فإنَّ جِنسَ ما أتى في النُّصوص بتَسْمِيَتِه: «كفراً» أو «نفاقاً»، فهو أعظمُ ممَّا أتى أنَّه معصية مُتوعَّدٌ عليها بوعيد؛ لأنَّ ذنبَ الشِّرك والنِّفاق أعظمُ من غيره وأقبحُ.

أكثر النَّاس لم يُكمِل التَّوحيد بالقلبِ واللِّسانِ والعَمَلِ وهم فيه ثلاثة أقسام

(وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ) مسألة أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يكون بالقلبِ واللِّسانِ والعَمَلِ، **(مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ)** جدّاً **(تَبِينُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا**

(١) مشارق الأنوار (٢/ ٢١)، لسان العرب (١٠/ ٣٥٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٣٠٠).

(٣) وهذا القسم الأوَّل من النِّفاق؛ وهو النِّفاق الاعتقاديُّ.

(٤) رواه البخاريُّ، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ، تَرَى مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ وَيَتْرُكُ العَمَلَ بِهِ؛ لِخَوْفِ نَقْصِ دُنْيَا أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةٍ، وَتَرَى مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِراً لَا بَاطِناً، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ: فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ.

وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ:

(فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ) في أحوال النَّاس وأردت تحصيل ثلاثة الأمور: كونهم اعتقدوه، ونطقوا به بألسنتهم، وكمَّلوه بأعمالهم؛ فإنَّك تجد الأكثر لم يكملوا هذه الثَّلاثة؛ بل إمَّا هذا، وإمَّا هذا، وإمَّا اثنين.

القسم الأوَّل: يَعرِف الحقَّ ولا يَعْمَل به

(تَرَى) من النَّاس (مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ، وَ) لكن (يَتْرُكُ العَمَلَ بِهِ) - وهذا مثل علماء اليهود، ومثل فرعون، ومثل إبليس - (لِخَوْفِ نَقْصِ دُنْيَا أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةٍ) هذا قِسمٌ.

القسم الثَّاني: يَعْمَل به ظاهراً لا باطناً

(وَ) القسم الثَّاني: (تَرَى مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِراً لَا بَاطِناً) أمَّا قلبُه فلا يصل إليه حقيقة الاعتقاد، (فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ: فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ).

القسم الثَّالث: الذي يَعْتَقِد ويَعْمَل ولا يَنطِقُ

والثَّالث الذي يَعتقدُ ويَعمَلُ ولا يَنطقُ؛ وهو قليل.

فالأوَّل كثير، والثَّاني دونه، والثَّالث قليل.

آيتان تَدلَّان على أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يَكونَ بالقلب واللِّسان والجَوَارح

(وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) فإنَّ بفهمِهما يتبيَّن

أُولَاهُمَا: مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوُا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكُفْرِ أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفاً مِنْ نَقْصِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ؛ أَعْظَمُ مِمَّنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا.

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: . . . . . .

لك حقيقة ما قرَّره المُصنِّف من أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يكون بالقلبِ واللِّسانِ والعَمَلِ... إلخ.

الآية الأُولَى

(أُولَاهُمَا: مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التَّوبة: ٦٦].

وجه الدَّلالة من الآية: الذي يَتكلَّم بالكُفْر أو يَعْمَل به خوفاً من نَقْص مَالٍ أو جَاهٍ أو مُدَارَاةً لأَحَدٍ أعظمُ ممَّن تكلَّم بكَلِمَة يَمْزحُ بها

فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوُا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ) واحدةٍ (قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكُفْرِ أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفاً مِنْ نَقْصِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ؛ أَعْظَمُ) وأَوْلَى وأَحقُّ بالكفر (مِمَّنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا) وهو من الصَّحابة، أفالصَّحابة الذين قالوها يصيرون كُفَّاراً، وهؤلاء لا يصيرون كُفَّاراً؟!

الآية الثَّانية

(وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ) من الآيتَيْن الدَّالَّتَيْن على مُراد المُصنِّف أنَّ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، فَلَمْ يَعْذُرِ اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنّاً بِالإِيمَانِ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ - سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوْفاً، أَوْ مُدَارَاةً، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ

التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلبِ واللِّسانِ والعَمَلِ... إلخ: (**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾**) أي: مَنْ صَدَرَ منه الكفر، (﴿مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ فإنَّه كافر بعد إيمانه، (﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النَّحل: ١٠٦]) أي: إلَّا مَنْ كان في حقِّه شرطان:

الأوَّل: الإكراه، فلا بدَّ أن يكون مُكْرَهاً.

والثَّاني: كون قلبه مُطْمَئنّاً ساكناً بالإيمان.

لم يعذر اللَّه إلَّا المُكْرَه مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان

(**فَلَمْ يَعْذُرِ اللَّهُ**) لم يَسْتثنِ اللَّه (**مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ**) والإكراه: كونه وصل إلى حدٍّ يخشى على نفسه القتل أو ولده؛ فهذا يجوز أن ينطق بكلمة الكفر التي أُكرِه عليها، (**مَعَ**) أي: بشرط (**كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنّاً بِالإِيمَانِ**) أي: مُعْتقِداً الحقَّ بجَنانِه.

لكن إنْ كان لمَّا أُكرِه طاع بقَلبِه ولم يكن مُطْمَئنّاً؛ فهو من أهل الكفران.

أمثلة غير المُكْرَه

(**وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ - سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوْفاً، أَوْ مُدَارَاةً، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ**

عَلَى وَجْهِ المَزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ -؛ إِلَّا المُكْرَهُ، وَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

عَلَى وَجْهِ المَزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ -؛ إِلَّا المُكْرَهُ).

حالات مَنْ يُلجَأ على أن يَصْدُر منه الكُفْر

فالإنسانُ الذي يُلجِئُه مَن يُلجِئُه على أن يَصدُر منه الكفر له حالات:

إحداها: أن يَمْتَنِع ويَصْبِرَ عليها، فهذه أفضل الحالات.

الثَّانية: أن ينطق بلِسانِه مع اعتقاد جَنانِه الإيمان؛ فهذا جائز له تَخفيفاً ورحمةً.

والحالة الثَّالثة: أن يُكرَه فيجيب، ولا يَطمئنُّ قَلبُه بالإيمان؛ فهذا غير معذور وكافر.

والحالة الرَّابعة: أن يُطلَب منه ولا يُلجَأ - ما وصل إلى حدِّ الإكراه -؛ فيجيب، ولكن يُوافِق بلسانِه، وقَلبُه مُطْمَئنٌّ بالإيمان؛ فهذا كافر.

الخامسة: أن يُذكَر له، ولا يَصِل إلى حدِّ الإكراه، فيُوافِق بقَلبِه ولِسانِه؛ فهذا كافر.

وجه الدَّلالة من الآية على أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يَكونَ بالقلب واللِّسان والعَمَل من جهتَيْن

(وَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا) أي: على ما تقدَّم من أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسَان والعَمَل **(مِنْ جِهَتَيْنِ:**

الأُولَى: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾؛ فَلَمْ يَسْتَثْنِ اللَّهُ إِلَّا المُكْرَهَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَى العَمَلِ أَوِ الكَلَامِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا.

وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الِاعْتِقَادِ، أَوِ. . . . . .

الجهة الأُولَى: لم يَسْتَثْنِ اللَّهُ ممَّنْ صَدَر منه الكُفْر إلَّا المُكْرَه وعَقيدةُ القلب لا يُكرَه أحدٌ عليها

الأُولَى: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾؛ فَلَمْ يَسْتَثْنِ اللَّهُ) من الذين صَدَر منهم الكفر **(إِلَّا المُكْرَهَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ)** لا يُتصوَّر في حقِّه الإكراه **(إِلَّا)** بهذين الأمرَيْن: **(عَلَى العَمَلِ أَوِ الكَلَامِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا)** فإذا فعل وصَدَر منه الكفر، فإنَّه كافرٌ بعد إيمانِه.

الجهة الثَّانية: سبب كُفْره لِيَحْصُل له حظٌّ من حُظُوظ الدُّنيا

(وَالثَّانِيَةُ) يعني: الجهة الثَّانية من جهتي دلالة الآية على ما تقدَّم - تقدَّم قول المُصنِّف أنَّها تدلُّ على ما قرَّره من جِهتَيْن، وتقدَّمت الجِهَة الأولى، وهذه الثَّانية -: **(قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾)** الباء للسَّبب، **(﴿ٱسْتَحَبُّوا۟﴾)** يعني: ذلك بسبب مَحبَّتهم **(﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النَّحل: ١٠٧])** يعني: الجنَّة.

(فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالعَذَابَ) المَحْكُوم به عليهم في هذه الآية والمُترتِّب على ما صدر منهم **(لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الِاعْتِقَادِ، أَوِ**

الجَهْلِ، أَوِ البُغْضِ لِلدِّينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظّاً مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا فَآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ.

وَاللَّهُ ﷻ أَعْلَمُ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الجَهْلِ، أَوِ البُغْضِ لِلدِّينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ) أي: أنَّه تكلَّم بالكفر لسبب - وهو أنَّ له في التَّكلُّم بالكفر شيئاً واحداً -؛ وهو **(أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظّاً مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا)** يحصل له، فيرتكب هذا المَحْظُور لأجل أنَّه لا يحصل له مطلوبه إلَّا - والعياذ باللَّه - بإيثار الحياة الدُّنيا **(فَآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ)** على الآخرة.

(وَاللَّهُ ﷻ أَعْلَمُ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ).

أقول[١]: وكان الفَرَاغ من كتابة هذه المُبَيَّضَة في شهرِ صَفرٍ، عام ألفٍ وأربعِ مئةٍ وأحدَ عشر.

وقد كان تأريخ كتابة هذه التَّقريرات المُتلقَّاة مِنْ فِي شَيخِنا[٢] - الشَّيخِ مُحمَّد بن إبراهيمَ آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ -: عام ستَّةٍ وستِّين وثلاثِ مئةٍ وألف هجريَّة، وبعضها بعد ذلك، وبعضها قبل هذا التَّاريخ، وقد بلغت نُسَخُها التي كتبتها حال إلقائه الدُّرُوس ستَّ نُسَخٍ، وبعضها أقلُّ من ذلك، وقد جَمَعْتُ ذلك كلَّه في هذه المُبَيَّضَة.

واللَّهَ أَسألُ أن يَنفعَ به ويَنفعَني به، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، وصلَّى اللَّهُ على مُحمَّدٍ، وعلى آلِه وصَحبِه وسلَّم.

وَكَتَبَهَا بِخَطِّهِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنُ قَاسِمٍ

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ

(١) أي: الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أي: مِن فَمِه. مقاييس اللُّغة (٤/ ٤٦٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٤٣٢).

فِهرِسُ المَرَاجِعِ

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

المُقَدِّمَةُ ٥

تَرْجَمَةُ إِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ٧

تَرْجَمَةُ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٩

تَرْجَمَةُ الوَالِدِ العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ قَاسِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ٨٧

أَهَمِّيَّةُ «كَشْفِ الشُّبُهَاتِ» ١٥٣

مَزَايَا الشَّرْحِ ١٥٧

مَنْهَجِي فِي التَّحْقِيقِ ١٦٠

مُقَدِّمَةُ الوَالِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ ١٦٣

طريقةُ الشَّيخ في افتتاح الدُّروس ١٦٨

حِرصُه على تعليم التَّوحيد، وحثِّ الطُّلَّاب على تَعلُّمِه ١٧١

دينُ قريشٍ ودينُ مُحمَّدٍ ﷺ ١٧٣

موضوع كتاب كَشْف الشُّبُهات (للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب - قدَّس اللَّه روحه -) ١٧٨

مُلخَّصُ الشُّبُهات وأَجْوِبتِها ١٨٠

النَّصُّ المُحَقَّقُ ١٨٥

مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ ١٨٧

مشروعيَّة الابتداء بالبسملة ١٨٧

مُقدِّمة في بيان حقيقة دين المُرْسَلِين وحقيقة دين المُشْرِكِين ١٨٨
لماذا يُؤتَى بكلمة «اعْلَم»؟ ١٨٨
معنى: «رحمك اللَّه» ١٨٩
المُصَنِّف يجمع بين الدُّعاء للطَّالب مع ما قَرَّره ١٨٩
أَحْسَن وأَخْصَر تعريف لتوحيد الأُلوهيَّة ١٨٩
أقسام التَّوحيد ١٨٩
تعريف العبادة ١٩١
التَّوحيد دينُ الرُّسُل ١٩٢
أوَّل الرُّسُل نُوحٌ أَرسلَه اللَّه إلى قومه لَمَّا غَلَوْا في الصَّالحين ١٩٣
أوَّل ما حَدَثَ الشِّرك بسبب الغُلُوِّ ١٩٣
الشِّرك بالصَّالحين أقرب إلى النُّفوس من الشِّرك بالأشجار والأحجار ١٩٣
غُلُوُّهم بالفعل بأمرين ١٩٤
التَّصوير والعُكُوف من أعظم الوسائل المُوصِلَة إلى الشِّرك ١٩٤
قصَّة وقوع الشِّرك في الصَّالحين من قوم نُوحٍ عليه السلام ١٩٤
آخر الرُّسُل مُحمَّد ﷺ هو الذي كَسَّر صُوَر هؤلاء الصَّالحين ١٩٧
إذا وقعَ الشِّركُ في القلب صَعُبَ زوالُه ١٩٧
أَرسلَ اللَّه مُحمَّداً ﷺ إلى أُناسٍ يَتعبَّدون ولكنَّهم يتَّخذُون وسائطَ بينهم وبين اللَّه ١٩٨

أهمِّيَّة معرفة حقيقة دين المُشْرِكِين قبل معرفة ما جاء به النَّبيُّ ﷺ ... ٢٠٠
دين مُحمَّدٍ ﷺ ... ٢٠١
المُشْرِكُون لم يُنازِعُوا في توحيد الرُّبوبيَّة وإنَّما نازعوا في توحيد العبادة ... ٢٠٢
حقيقة دين قريش ... ٢٠٢
مُشْرِكُو زمانِنا أَشرُّ وأَعظمُ من مُشْرِكي قريش ... ٢٠٣
الأدلَّة على أنَّ المُشْرِكين مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة ... ٢٠٤
اللَّهُ هو الخَالِق وحده فيَقْتَضِي أن يَكونَ هو المَعبُود وَحدَه ... ٢٠٦
توحيد الرُّبوبيَّة هو الأَصْل وهو الدَّليل على توحيد الألوهيَّة ... ٢٠٦
إقرارُ المُشْرِكين بالرُّبوبيَّة ناقص ... ٢٠٦
ستَّة أُمُورٍ إذا عَرَفْتَها عَرَفْتَ التَّوحيد الذي دَعَتْ إليه الرُّسُل ... ٢٠٧
الأمر الأوَّل: أنَّ المشركين مُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة ... ٢٠٧
الأمر الثَّاني: أنَّ إقرارَهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يُدخِلْهُم في الإسلام ... ٢٠٧
الأمر الثَّالث: أنَّ التَّوحيدَ الذي جَحَدُوه هو: توحيد العبادة ... ٢٠٧
الأمر الرَّابع: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قاتل المُشْرِكين على توحيد الألوهيَّة ودَعَاهُم إلى إخلاص العبادة للَّه وَحدَه ... ٢٠٨
الأَدلَّة على ذلك ... ٢٠٨
الأمر الخامس: أنَّ رَسولَ اللَّه ﷺ قَاتَل المُشْرِكين لتَكونَ جَمِيع أنواع العبادة للَّه ... ٢١٠

الأمر السَّادس: أنَّ قَصْدَهم الأولياء يُريدُون شَفاعَتهم هو الذي أحلَّ دِماءَهم وأَموالَهم ٢١١
إذا عَرَفْتَ تلك الأمور السِّتَّة عَرَفْتَ التَّوحيد الذي دَعَتْ إليه الرُّسُل ٢١١
توحيد الأُلوهيَّة هو مدلول كلمة «لا إله إلَّا اللَّه» مُطابَقَة ٢١٢
معنى الإله عند قُريشٍ وغيرهم: الذي يُقصَد لطلب الشَّفاعة والقُرْبى إلى اللَّه ٢١٢
ليس معنى الإله عند قريش: الخالق الرَّازق المُدَبِّر ٢١٣
وإنَّما يَعْنُونَ بـ «الإله»: مَن يَصْلُح لِأَنْ يُوَسَّط بين أَحدٍ من الخَلْق وبين اللَّه ٢١٣
أَتاهُمُ النَّبيُّ ﷺ يدعوهم إلى كلمة التَّوحيد ٢١٤
المراد من كلمة التَّوحيد: معناها لا مُجرَّد لفظِها ٢١٤
الكُفَّار يَعلَمُون أنَّ مراد النَّبيِّ ﷺ من كلمة التَّوحيد ثلاثة أمور ٢١٤
الدَّليل على ذلك ٢١٥
الشِّرك يُفسِد العقول ٢١٥
العَجَبُ ممَّنْ يدَّعي الإسلام وهو لا يَعرِف مِن تَفسيرَ كَلِمَة التَّوحيد الذي عَرَفه جُهَّال الكُفَّار ٢١٦
يَظُنُّ الجاهل أنَّ تَفسيرَ كَلِمَة التَّوحيد هو: التَّلفُّظ بحُروفِها من غير اعتقادٍ لمعناها ٢١٦

مَن لم يَعتقِد كلمة التَّوحيد أو لم يَعْمَل بها لَمْ تَنْفَعْه ٢١٦
الحَاذِق ممَّن يدَّعي الإسلام يَظُنُّ أنَّ معنى كلمة التَّوحيد هو: توحيد الرُّبوبيَّة ٢١٧
لا خَيْر في رجل جُهَّال الكُفَّار أَعلَم منه بمعنى كلمة التَّوحيد ٢١٧
إذا عَرَفْتَ أربعة أُمُور أَفادَك فائدتَيْن ٢١٨
الأوَّل: إذا عَرَفْتَ معرفة حقيقيَّة دين المُرْسَلِين ودين المُشْرِكِين ٢١٨
الثَّاني: إذا عَرَفْتَ الشِّرْك ٢١٨
الثَّالث: إذا عَرَفْتَ التَّوحيد ٢١٨
الرَّابع: إذا عَرَفْتَ جَهْلَ غالب النَّاس بالتَّوحيد والشِّرْك ٢١٩
الفائدة الأُولَى: الفَرَح بفَضْل اللَّه وبرَحْمَته بمَعرفةِ دينِ الرُّسُل واتِّباعِه ومعرفةِ دين المُشْرِكِين واجتنابِه ٢١٩
تَعْظُم النِّعْمَة لأنَّ الأكثرَ صَارُوا من أهل الجَهْل بدين المُرْسَلِين ٢١٩
الفرح بالدِّين: فَرَح خُضُوعٍ وخُشُوعٍ واسْتِكَانةٍ ٢٢٠
التَّوحيد أعظَم نِعْمَة ٢٢٠
الفائدة الثَّانية: الخوف العظيم من زَوَال نِعْمَة معرفتك دين المُرْسَلِين واتِّباعه ومعرفتك دين المُشْرِكِين واجتنابِه ٢٢٠
إذا عرفت ثلاثة أمور يَعظُم خوفك وحِرْصك على ما يُخَلِّصُك من الكفر ٢٢١

من أسباب الخُلُوص من الشِّرك ٢٢٢
من حكمة اللَّه أنَّه لم يَبْعَث نبيّاً بالتَّوحيد إلَّا جَعَل له أَعداءً ٢٢٤
دليل ذلك ٢٢٤
مِنْ وسائل أَعداء الرُّسُل في الصَّدِّ عن الحقِّ: تَزْيِيف القَوْل بالعِبَارة ٢٢٤
الحكمة من جَعْلِ أعداءٍ للرُّسُل وأتباعهم ٢٢٥
تَهديدُ اللَّه لأعداء الرُّسُل ٢٢٦
عُلُوم وحُجَجُ أعداء التَّوحيد لا تُساوِي شيئاً ٢٢٦
الدَّليلُ على أنَّ لأهل الباطل عُلُوماً وكُتُباً وحُجَجاً ٢٢٧
إذا عَرَفْتَ أنَّ أعداءَ التَّوحيد عندهم عُلُوم وكُتُب وحُجَج وهم قاعدون على الطَّريق إلى اللَّه فالواجبُ عليك أن تَتعَلَّم من دين اللَّه ما يَصيرُ سِلَاحاً لك ٢٢٨
شدَّة عِدَاء أهل الباطل للحقِّ وأهله ٢٢٨
الخوف من الضَّلال بعد الهدى ٢٢٩
الاجتهاد في حِفْظ الدِّين ٢٢٩
كثرة الهالكين في الطَّريق ٢٢٩
إذا أَقبلتَ على اللَّه وأَصْغَيتَ إلى حُجَجِه وبيِّناته فلا تَخَف ولا تَحْزَن ٢٣٠
كثرةُ حِزبِ الشَّيطان ليس من قوَّة كَيْدِه وإنَّما أكثر الخَلْقِ مكَّنوه من أنفسهم ٢٣٠

العامِّيُّ من المُوَحِّدين يَغْلِب الألف من عُلَمَاء المُشْرِكِين ٢٣١
الدَّليل على أنَّ الغَلَبَة لجُنْد اللَّه ٢٣٢
أنواع الغَلَبَة ٢٣٢
تسليطُ أهلِ الشَّرِّ على أهل الدِّين بسبب إضاعتِه ٢٣٣
إدَالَة أهل الباطل بعض الأَحْيَان تَمْحيصٌ ورِفْعَة لأهل الحقِّ وغرورٌ لأهل الباطل ٢٣٣
الخوف على المُوَحِّد الذي لم يتعلَّم أدلَّة دينه ٢٣٣
القرآن أَعظَم سِلَاح ٢٣٣
لا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجَّة إلَّا وفي القرآن ما يَنقضُها ويُبَيِّن بطلانها ٢٣٤
دليل ذلك ٢٣٤
القرآن يَرُدُّ كلَّ باطل ولكن قد لا يفهمه الإنسان أو لا يعتني به ٢٣٤
قوَّة فَهْمِ شيخ الإسلام للقرآن واعتنائه به ٢٣٥
موضوع الكتاب: رَدُّ شُبَهٍ شَبَّه بها بعض المُشْرِكين على توحيد العبادة ٢٣٦
سبب تأليف الكتاب ٢٣٦
المقصود من مُقدِّمة المُصنِّف ٢٣٦
جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلٌ والفائدة منهما ٢٣٧
الجَوَابُ المُجْمَلُ عَنْ شُبَهِ أَهْلِ البَاطِلِ ٢٣٧

معنى المُحكَم وحُكمُه **٢٣٧**
معنى المُتشابِه وحُكمُه **٢٣٨**
الذين في قلوبهم زَيْغ يتَّبعون المُتشَابِه **٢٣٩**
أهلُ الإيمان يتَّبعون المُحْكَم ويَردُّون المُتشَابِه إلى المُحْكَم **٢٣٩**
معاني التَّأويل **٢٣٩**
التَّحذير من مُخالَطة وسماع كلام الذين يتَّبعون المُتشابِه **٢٤٠**
مثالان لاحْتِجَاج المُشْرِكِين بالمُتشَابِه **٢٤١**
المثال الأوَّل: إذا استدلَّ بآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فشَبَّه وقال: الشَّفاعة حَقٌّ والأنبياءُ لهم جاهٌ فتُطلَب منهم **٢٤١**
المثال الثَّاني: إذا استدلَّ على بَاطِلِه بأحاديث وأنت لا تَفْهَم معناها الصَّحيح **٢٤٢**
الجوابُ عن المثالين بجوابٍ مُجمَل مُركَّبٍ من ثلاثة أمور **٢٤٣**
الأمر الأوَّل: الذين في قلوبهم زَيْغ يَترُكُون المُحكَم ويتَّبعُون المُتشَابِه **٢٤٣**
الأمرالثَّاني: المُشْرِكون يُقِرُّونَ بالرُّبوبيَّة ومع ذلك كَفَّرَهم اللَّه بتَعلُّقهم على الملائكة ونَحوِهم **٢٤٣**
الأمر الثَّالث: كلامُ اللَّه لا يَتَنَاقَض وكلامُ النَّبيِّ ﷺ لا يُخَالِف كَلاَم اللَّه **٢٤٥**
ثناء المُصنِّف على الجواب المُجْمَل **٢٤٦**

خُلاصَة الجواب المُجمَل ٢٤٧
الجَوَابُ المُفَصَّلُ عَنْ شُبَهِ أَهْلِ البَاطِلِ ٢٤٨
الشُّبهَة الأُولَى: أنَّ مَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة ولم يَقصِد من الصَّالحين إلَّا الجَاه والشَّفاعة فليس بمُشْرِكٍ ٢٤٨
جوابها: أنَّ هذا هو حقيقة دين المُشْرِكين الأوَّلين ٢٤٩
أدلَّة إقرار المُشْرِكين بالرُّبوبيَّة ٢٥٠
أدلَّة تكفير المُشْرِكين لأجل شِرْكِهم بطَلَبِهم الجاه والشَّفاعة ... ٢٥٠
حاصل جواب هذه الشُّبهة ٢٥١
الشُّبهَة الثَّانية: أنَّ الآيات نَزَلَت فيمَنْ يَعبدُ الأصنام ونحن لا نَعبدُ الأصنام ٢٥٢
مِنْ شأن أهل الباطل: أنَّ مَنْ نَزَّل الصَّالحين منازلَهم يقولون عنه: إنَّه تنقَّصهم ٢٥٢
جواب الشُّبهَة: المُشْرِكون الأوَّلون منهم مَنْ يَعبُد الأصنام ومنهم مَنْ يَعبُد غير الأصنام وكَفَّرهم اللَّه جميعاً وقاتلهم النَّبيُّ ﷺ ولم يُفَرِّق بينهم ٢٥٣
من المشركين مَن يَعبُد الأصنام ٢٥٣
من المشركين مَن يَعبُد الأولياء ٢٥٣
الوَسِيلَة إلى اللَّه هي: ما جاء به الرَّسولُ ﷺ من إفراد اللَّه بالعبادة ٢٥٥
من المشركين مَن يَعبُد المسيحَ وأمَّه ٢٥٥

من المشركين مَن يَعبُد الملائكة ٢٥٦
ذمَّ اللَّه مَن اتَّخذَ المَسِيحَ وأُمَّه إِلَهَيْن مِنْ دُونِه ٢٥٦
لا فرق في التَّكفير والقتال بين مَنْ يعبد الأصنام ومَنْ يعبد الصَّالحين ٢٥٧
حاصل جواب هذه الشُّبهة ٢٥٨
الشُّبهة الثَّالثة: أنَّ الكفَّار يطلبون حوائجهم من آلهتهم وأنا لا أطلب إلَّا شفاعتهم ٢٥٩
جوابُها: أنَّ هذا قول الكُفَّار سَواءً بسَواءٍ ٢٥٩
الدَّليل على أنَّ المُشْرِكين ما أرادوا إلَّا الشَّفاعة ٢٦٠
الشُّبَه الثَّلاث الأُولى أكبر شُبَه المُشْرِكين ٢٦١
الرَّدُّ على هذه الشُّبَه الثَّلاث بسهولة يدلُّ أن غيرها بطريقِ الأَوْلَى أسهلُ وأسهلُ ٢٦١
الشُّبهَة الرَّابعة: أنَّ الالْتِجَاء إلى الصَّالحين ودعاءَهم لَيْس عبادة وعنها جوابان ٢٦٢
الجواب الأوَّل: تطلب منه بيان معنى العبادة ثم تُبَيِّن له أنَّ الدُّعاء عبادة وصَرْفَه لغير اللَّه شرك ٢٦٢
الدُّعَاء عبادة ٢٦٣
دُعَاء غير اللَّه شِرْكٌ ٢٦٤
النَّحر مثل الدُّعاء ٢٦٤
النَّحْر لغير اللَّه شرك ٢٦٥

الجواب الثَّاني: أنَّ هذا هو شِرْكُ الأوَّلِين بعَيْنِه ٢٦٦
الشُّبهة الخامسة: مَن يُنكِر طلب الشَّفاعة من الرَّسول صلى الله عليه وسلم فهو مُنْكِرٌ لشفاعته ﷺ ٢٦٨
مِنْ شأن أهل الباطل: البُهتان وإِلْبَاسُ أهلِ الحقِّ الشُّبَهَ الباطِلَة . ٢٦٨
الدَّاعي للجواب عن الشُّبَه وتوضيحها: ترويجُ أهل الخرافات لها ٢٦٨
الجواب عن الشُّبهة بأربع مُقَدِّمات ٢٦٩
المُقَدِّمة الأولى: الشَّفاعة كلُّها للَّه ٢٦٩
المُقَدِّمة الثَّانية: الشَّفاعة لا تكون إلَّا من بعد إذن اللَّه ٢٧٠
المُقَدِّمة الثَّالثة: النَّبيُّ ﷺ لا يشفع في أحدٍ إلَّا بعد أن يأذن اللَّه فيه ٢٧٠
المُقَدِّمة الرَّابعة: اللَّه لا يأذن بالشَّفاعة إلَّا في أهل التَّوحيد .. ٢٧٠
أربع مُقَدِّمات لإثبات أنَّ الشَّفاعة لا تُطلَب إلَّا من اللَّه ٢٧١
الشُّبهَة السَّادسة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُعطِي الشَّفاعة وأنا أَطلُبُها منه وعنها جوابان ٢٧٣
الجواب الأوَّل: أنَّ اللَّه أعطاه الشَّفاعة ونَهَى عن طَلَبِها منه ٢٧٣
الدَّليل على أنَّ اللَّه نَهَى عن طلب الشَّفاعة من الرَّسول ﷺ .. ٢٧٣
عبادة المُشْرِكين الأوَّلِين إنَّما كانت بالدُّعَاء وطَلَبِ الشَّفاعة من آلهتهم ٢٧٤
سَبَبُ نَيْلِ شفاعة النَّبيِّ ﷺ طاعته وإخلاص العمل للَّه ٢٧٤

شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ للعُصَاة أمَّا المُشْرِكون فلا شفاعة لهم ٢٧٥
أقسامُ النَّاس في شفاعة نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ ٢٧٥
الجواب الثَّاني: أنَّ الشَّفاعةَ أُعطِيَها غيرُ الرَّسولِ ﷺ فإن قال: أَطلُبُها منهم رجع إلى عبادة الصَّالحين وإن قال: لا أطلبها بَطَلَتْ شُبهتُه ٢٧٦
الشُّبهَة السَّابعة: أنَّ الالتجاءَ إلى الصَّالحين لَيْس بشِرْكٍ ٢٧٩
جوابها: يُسأَل عن الشِّرك ما هو؟ فإنَّه لا يَدرِي، فكيف يُبَرِّئُ نفسَه من الشِّركِ وهو لا يَعرِفُه؟! ٢٧٩
عدم معرفة الشِّركِ يَدلُّ على عدم معرفة الدِّين ٢٨٠
مَنْ ظنَّ أَنَّ اللَّه حَرَّم الشِّرك ولم يُبَيِّنه فقد ضَلَّ ضلالاً أَعظَمَ من ضلال ذَنْب الشِّرك ٢٨٠
الشُّبهَة الثَّامنة: الشِّرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام وعنها جوابان ٢٨١
الجواب الأوَّل: يقال له: إن كان معنى عبادة الأصنام أنَّها تخلق فهذا يُكَذِّبه القرآن وإن كان معناها أنَّهم يدعونها لتُقَرِّبهم إلى اللَّه زُلْفَى فقد أقرَّ أنَّ فِعْلَهم هو عبادة الأصنام ٢٨١
حاصل الجواب الأوَّل ٢٨٢
الجواب الثَّاني: الشِّركُ لَيْس مَخْصُوصاً بعبادة الأصنام ٢٨٢
خلاصةُ الجواب عن الشُّبهة السَّابعة والثَّامنة والرَّابعة ٢٨٤
تَسأَلُه عن معنى الشِّرك ٢٨٤

تَسأَلُه عن معنى عبادة الأصنام ٢٨٤
تَسأَلُه عن معنى عبادة اللَّه وَحدَه ٢٨٥
للمُشَبِّه مع الأَسْئِلَة السَّابقة ثلاثة أحوال ٢٨٥
المُشْرِكون يُنكِرُون على المُوَحِّدين عبادة اللَّه وَحدَه ٢٨٦
كثيرٌ ممَّن يَنْتَسِب إلى الإسلام مِن هذه الأمَّة لَيْسُوا على الدِّين إنَّما معهم اسمُه فقط ٢٨٧
شِرْكُ المُتأخِّرين هو عَيْنُ شِرْك الأوَّلِين ٢٨٨
شِرْكُ الأوَّلين أخف من شِرْكِ أهل زماننا بأمرَيْن ٢٨٨
الأمر الأوَّل: أنَّ الأوَّلين لا يُشْرِكون إلَّا في الرَّخاء وأمَّا في الشِّدَّة فيُخْلِصون للَّه الدُّعاء ومُشْرِكي زماننا شِرْكُهم دائم ٢٨٨
الأدلَّة على أنَّ الأوَّلِين يُخْلِصُون في الشِّدَّة ٢٨٩
تَفَنُّن مُشْرِكي زَمانِنا في شِرْكِهم ٢٩١
مَنْ فَهِم أنَّ المُشْرِكين الأوَّلِين يُشْرِكون في الرَّخاء وأمَّا في الشِّدَّة فلا يدعون إلَّا اللَّه تَبيَّن له الفَرْق بين شِرْك أهل زَمانِنا وشِرْك الأوَّلِين ٢٩١
سَبَب ضَلَال المُتأخِّرين: تَرْكُهم القرآن والإعراض عنه ٢٩٢
المُشْرِكون لم يَنْقَرِضُوا بل عَقَّبُوا وخَلَّفُوا شرّاً منهم بكَثيرٍ ٢٩٢
الأمر الثَّاني: أنَّ المُشْرِكين الأوَّلِين يَدْعُون مع اللَّه أُنَاساً مُقَرَّبين عند اللَّه ومُشْرِكي زماننا يَدْعُون مع اللَّه أُنَاساً مِن أَفسقِ النَّاس ٢٩٣

الذي يَعتقِد في الصَّالح أو في الذي لا يعصي كالحجر أَهْوَنُ ممَّنْ يَعتقِد فيمَنْ يُشَاهِد فِسْقَهُ ٢٩٤
حاصل الأمر الثَّاني ٢٩٤
الشُّبهَة التَّاسِعَة - وهي من أعظم شُبَهِهم -: كيف تَجعلُونَنا مثل المُشْرِكين الأوَّلِين ونَحنُ نَنطِق بالشَّهادَتَيْن ونُؤمِن بالبَعْث ونُصلِّي ونَصُوم وهم بخِلَاف ذلك؟ وعنها تسعة أجوبة ٢٩٦
هذه الفروق غير مُؤَثِّرة بل هذه الفروق ممَّا يتغلَّظ كُفْرُهم بها ٢٩٧
الجواب الأوَّل: هذه الفروق غير مُؤَثِّرة وله دليلان ٢٩٩
الدَّليل الأوَّل: أنَّ الرَّجُل إذا صَدَّقَ الرَّسولَ ﷺ في شيءٍ وكَذَّبَهُ في شيءٍ فهو كافرٌ إجماعاً ٢٩٩
الدَّليل الثَّاني: أنَّ الرَّجُل إذا آمَنَ ببعضِ القرآن وجَحَدَ بَعضَه فهو كافرٌ إجماعاً وله أمثلة ٣٠٠
المثال الأوَّل ٣٠٠
المثال الثَّاني ٣٠٠
المثال الثَّالث ٣٠١
المثال الرَّابع ٣٠١
المثال الخامس ٣٠٢
مستند الإجماع على كُفْرِ مَنْ آمن ببعضٍ وجَحَدَ بعضاً ٣٠٢
الكُفْر كُفْرَان ٣٠٣
الرِّدَّة رِدَّتان ٣٠٣

الجواب الثَّاني: إقراره أنَّ مَنْ جَحَدَ فَرْعاً من فروع الدِّين يَكفُر فكيف بجَحْدِ الأصل وهو التَّوحيد؟! ٣٠٥
ما أَقرَّ به دلَّ عليه الإجْمَاع ٣٠٥
ما أقرَّ به نَطَق به القرآن ٣٠٦
جَحْدُ أصلِ الدِّين أعظَم مِنْ جَحْدِ فُروعِه ٣٠٦
الكُفْر باللَّه لا يَتبعَّض فمَنْ كَفَر بأُلوهيَّته فقد كَفَر به ٣٠٦
لو قُدِّر أنَّ الفروعَ لا تُكَفِّر لكان جَحدُ التَّوحيد كفراً لأنَّه الأصل ٣٠٧
التَّوحيد قد يَكفِي وحدَه في إسلَام العبد ودُخولِه الجنَّة بخِلَاف الفُرُوع ٣٠٧
مِنْ أَعجَب الجَهْل: الإقرار بأنَّ جَحْدَ الصَّلاة كُفْرٌ بالإجماع وجَحْدَ التَّوحيد لَيْس بكُفْر! ٣٠٧
الجواب الثَّالث: الصَّحابة قَاتَلُوا بنِي حَنِيفَة وهم يَنْطِقون بالشَّهادَتَيْن ويُؤَذِّنُونَ ويُصَلُّون لكنَّهم قالوا: إنَّ مُسَيْلِمة نَبيٌّ ٣٠٩
إذا كان رَفْعُ رَجُل إلى رُتْبَة النَّبيِّ ﷺ كُفْراً بالإجماع فكيف بمَنْ رَفَعَ مخلوقاً إلى رُتْبَة الخالق؟! ٣١٠
الجواب الرَّابع: عليٌّ رضي الله عنه حَرَّق بالنَّار مَنِ اعتَقَد فيه الإلَهيَّة وهم يَدَّعون الإسلام ٣١٣
مُشابَهَة المُتأخِّرين لمَن اعتَقَد في عَليٍّ رضي الله عنه ٣١٣
إجماع الصَّحابة على رِدَّة مَنِ اعتَقَد في عليٍّ رضي الله عنه الإلَهيَّة ٣١٤

يَلزَم أهلَ هذه الشُّبْهةِ أحدُ ثلاثة أمور ٣١٦
الجواب الخامس: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاح كانوا يَنْطِقون بالشَّهادَتَيْن ويُصلُّون ولَمَّا أَظْهَرُوا مُخالفة الشَّريعَة في أَشياء؛ أَجْمَع العُلَماء على كُفْرِهم وقِتَالِهم ٣١٨
أَجْمَع العُلَمَاء على أنَّ بلادَهُم بلاد حَربٍ ٣١٩
لا فَرْقَ بين الكفر عناداً أو جهلاً ٣٢٠
لَيْس مِنْ شَرْطِ قيام الحُجَّة على الكَافِر أنْ يَفْهَمَها ٣٢٠
حاصل جواب الشُّبْهَة ٣٢٠
الجواب السَّادس: إجماع العُلَمَاء أنَّ المُسلمَ يَرتدُّ بمُكَفِّر وَاحدٍ ولا يَلْزَم الكُفْر بالدِّين كلِّه ٣٢١
أمثلة على الرِّدَّة ٣٢٢
لَيْس مِنْ شرط المُرتدِّ أن يَجْمعَ بين أطراف الرِّدَّة أو يَجْمعَ الشِّركيَّات ٣٢٢
حُكْم كُفَّار هذه الأزمان ٣٢٣
الجواب السَّابع: أنَّ اللَّه كَفَّر أُناساً بكَلِمَةٍ وَاحدةٍ وهم يُجاهِدون مع رَسولِ اللَّه ﷺ ويُصَلُّون معه وله مثالان ٣٢٤
المثال الأوَّل ٣٢٤
المثال الثَّاني ٣٢٥
أجوبة المُصنِّف على هذه الشُّبهَة مِن أَنْفَعِ ما في هذا الكتاب لأنَّها شُبهَة قد تَرُوج على مَنْ لا يَعرِف ٣٢٦

الجواب الثَّامن: موسى عليه السلام أَنْكَر على مَنْ أَسلَم من بنِي إسرائيل طَلَبهُم لَمَّا قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ ولو فَعَلُوا لَكَفَرُوا ٣٢٧

الجواب التَّاسع: النَّبيُّ ﷺ أَنْكَر على أُناسٍ من الصَّحابة طَلَبَهُم لَمَّا قالوا: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» ولو فَعَلُوا لَكَفَرُوا ٣٢٨

شُبهة للمُشْرِكين يُدْلُون بها عند القِصَّتَيْن وهي أَنَّهُم لم يَكْفُرُوا بطَلَبِهِم ٣٢٩

الجواب: أَنَّهم طَلَبُوا فِعْلَ الشِّرك فقط ولم يَفْعَلُوا ولو فَعَلُوا لَكَفَرُوا بالإجْمَاع ٣٢٩

ستُّ فوائد تُسْتفادُ من القِصَّتَيْن ٣٣١

الفائدة الأُولَى: أنَّ المُسلمَ بل العالِمَ قد يَقَعُ في أَنواعٍ من الشِّرك لا يَدْرِي عنها ٣٣١

الفائدة الثَّانية: الواجب على الإنسان تَعَلُّم العِلم ليَحْذَر الشِّرك ٣٣١

الفائدة الثَّالثة: اتِّهَام العَمَل أن يكون دَخَلَه شيءٌ من الشِّرك ٣٣٢

الفائدة الرَّابعة: أنَّ قَولَ: «التَّوحيد فَهِمناه» مِنْ أَكبَر الجَهْل ومَكائِد الشَّيْطَان ٣٣٢

مَنْ زَهِد في التَّوحيد وَقَعَ في ضِدِّه ٣٣٢

قصَّة مُؤَثِّرة تُذْكَر عن المُؤَلِّف ٣٣٣

الفائدة الخامسة: أنَّ المسلم المجتهد إذا تكلَّم بكلام كفر وهو لا يدري ثم تاب منه فإنَّه لا يكفر ٣٣٣

الفائدة السَّادسة: التَّغْلِيظ على مَنْ تَكلَّم بكلامٍ كُفْرٍ وإنْ كان جَاهِلاً وتَابَ منه ٣٣٤

الشُّبهة العَاشِرَة: شبَّهوا بأحاديث أنَّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يُكَفَّر ولا يُقتَل ولو فَعَلَ ما فَعَلَ وعنها خَمْسة أَجوِبَة ٣٣٥

نُصوص الدِّين لها أَرْوَاح ومَعانٍ مُرَادة ولَيْسَت ألفاظاً فقط ٣٣٦

الجواب الأوَّل: الرَّسولُ ﷺ قَاتَل اليهودَ وسَبَاهُم وهُمْ يقولون: «لا إله إلَّا اللَّه» ٣٣٦

الجواب الثَّاني: الصَّحابة رضي الله عنهم قَاتَلُوا بني حَنِيفَة وهم يَنْطِقون الشَّهَادَتَيْن ويُصَلُّون ويَدَّعُون الإسلام ٣٣٧

الجواب الثَّالث: عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه حَرَّق بالنَّار الذين ادَّعَوْا فيه الإِلَهيَّة مع صَلاتِهم وادِّعائِهم الإسلام ٣٣٧

مُجَرَّد قول: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يَمْنَع من التَّكفير ٣٣٨

«لا إله إلَّا اللَّه» يَنْقُضُها أَشْيَاء لَيْسَت من ذَاتِها فكيف بنفيها نفسِها؟! ٣٣٨

الذي يَنْطِق بالشَّهَادة ويَنْقُضُها أَسوأُ حالاً ممَّنْ يَمْتَنِع عن النُّطقِ بها ٣٣٨

المُرتَدُّ أعظمُ حُكْماً من الكَافِرِ الأَصليِّ ٣٣٨

الجواب الرَّابع: المُشَبِّهون مُقِرُّون أنَّ مَنْ أنكر البَعْث: كُفِّرَ وقُتِلَ ولو قال: «لا إله إلَّا اللَّه» **٣٣٩**

الجواب الخامس: المُشَبِّهون مُقِرُّون أنَّ مَنْ جَحَدَ شيئاً مِنْ أركان الإسلام كُفِّرَ وَقُتِلَ ولو قال: «لا إله إلَّا اللَّه» **٣٣٩**

معنى الأحاديث التي شَبَّه بها المُشْرِكون **٣٤١**

معنى حديث أسامة رضي الله عنه ٣٤١

أَحوَال النَّاس مع كَلِمَة التَّوحيد في عَهْد النُّبوَّة ٣٤٢

مَنْ أَظْهَرَ الإسلامَ فله حالتان ٣٤٣

الحالة الأُولَى: ألَّا يتبيَّن منه ما يُخالِف الإسلام فهذا يُكَفُّ عنه ٣٤٣

الحالة الثَّانية: أن يتبيَّن منه ما يُخالِف الإسلام فهذا يُقتَل ٣٤٣

معنى حديث: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ...» وأمثاله ٣٤٤

صُوَر مَنْ يقول: «لا إله إلَّا اللَّه» ٣٤٤

مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» وهو مُقِيمٌ على عبادة غير اللَّه فإنَّها لا تنفعه ٣٤٥

أربعة أدلَّة على أنَّ مُرادَ النَّبيِّ ﷺ ليس كلُّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يُكَفَّر ولا يُقْتَل **٣٤٥**

الدَّليل الأوَّل: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ بقَتْل الخَوَارِج مع قَولِهِم: «لا إله إلَّا اللَّه» ٣٤٥

الدَّليل الثَّاني والثَّالث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَاتَل اليَهُود وهم يَقولُون: «لا إله إلَّا اللَّه» والصَّحابة أيضاً قَاتَلُوا بني حَنِيفَة وهم يَقولُونَها ٣٤٧

الدَّليل الرَّابع: عَزْمُ النَّبيِّ ﷺ على غَزْو بني المُصْطَلِق لَمَّا بَلَغَه مَنْعُهُم الزَّكاة ٣٤٨

مَن انْتقض إسلامه حَلَّ مالُه ودَمُه وإن كان يقول كَلِمَة التَّوحيد ٣٤٨

الفَرْقُ بين هذه الشُّبهَة والتي قبلَها ٣٤٩

الشُّبهَة الحادية عشرة: أنَّ الاستغاثةَ بغير اللَّه لَيْسَت شِرْكاً لجَوازِ الاستغاثة بالأَنْبِيَاء في الآخِرَة ٣٥١

الجواب بالفَرْقِ بين الاسْتِغَاثتَيْن ٣٥٢

الاسْتِغَاثَة الجَائِزَة: الاسْتِغَاثَة بالمخلوقِ فيما يَقْدِر عليه ٣٥٢

مثالان على الاسْتِغَاثَة الجَائِزَة ٣٥٢

الاسْتِغَاثَة الشِّرْكيَّة: الاسْتِغَاثَة بالأموات أو الغَائِبين مُطْلقاً، أو الأَحْيَاء الحَاضِرين في الأَشْيَاء التي لا يَقْدِر عليها إلَّا اللَّهُ ٣٥٣

الاسْتِغَاثَة بالميِّت أو الغائب شِرْك ٣٥٣

الاسْتِغَاثَة بالحيِّ الحَاضرِ فيها تفصيل ٣٥٣

الاسْتِغَاثَةُ بالأَنْبِيَاء يوم القيامة من الجَائِزَة لأَنَّها استغاثة بحيٍّ حَاضرٍ قَادرٍ ٣٥٤

حقيقة الاسْتِغَاثَة الجَائِزَة بالأَنْبِيَاء وهم أَحْيَاء: أنْ يرغب النَّاس إليهم أن يَسْأَلُوا اللَّه ويَدْعُوه ٣٥٥

دليل جواز الاسْتِغَاثَة بالأَنْبِيَاء وهم أَحْيَاء فيما يَقْدِرُون عليه .. ٣٥٥
الاسْتِغَاثَة بالنَّبيِّ ﷺ بعد موته شِرْك ٣٥٦
إنكار السَّلَف على مَنْ دَعَا اللَّه وَحدَه مُخْلِصاً عند قَبرِ النَّبيِّ ﷺ ٣٥٦
إذا كان السَّلَف أَنْكَرُوا على مَنْ قَصَد دُعَاءَ اللَّه وَحدَه عند قَبرِ النَّبيِّ ﷺ فكيف دُعاءُ النَّبيِّ نَفسِه؟! ٣٥٧
الشُّبهَة الثَّانية عشرة: لو كانت الاسْتِغَاثَة بجِبريل عليه السلام شِرْكاً لم يَعْرِضْها على إبراهيم عليه السلام ٣٥٨
أصلُ ضَلَالِهِم في هذه الشُّبْهَة ٣٥٩
الجواب: أنَّ جِبريلَ عليه السلام عَرَضَ على إبراهيم عليه السلام أنْ يَنْفَعه بأَمرٍ يَقْدِر عليه وهو حيٌّ حاضرٌ ٣٥٩
قوَّة جِبريلَ عليه السلام ٣٥٩
مثال على حَالةِ إبراهيمَ وجِبريلَ عليهما السلام ٣٦٠
التَّفريق بين اسْتِغَاثَة المُشْرِكين وبين ما ورد في قصَّة إبراهيم مع جِبريلَ عليهما السلام ٣٦١
خَاتِمَةٌ: التَّوْحِيدُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ ٣٦٢
أَفْرَد المُصنِّف هذه المسألة بالذِّكْر لِعِظَم شَأنِها وكَثرة الغَلَطِ فيها ٣٦٢
بالإجماع أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يكون بالقلب وَاللِّسان والعَمَل ... ٣٦٣
بالإجْمَاع إن اخْتَلَّ شيءٌ من هذه الثَّلاثة لم يكن الرَّجُل مُسلِماً .. ٣٦٣
أمثلة اخْتِلَال وَاحدٍ من هذه الثَّلاثَة ٣٦٣

المثال الأوَّل: إن عَرَفَ التَّوحيد بلِسانِه وجَنانِه ولم يَعمل به فهو كافرٌ مُعَانِدٌ كَفِرْعَوْنَ وإِبْلِيس وأمثالهما ٣٦٣

بَعضُ النَّاس يَعرِف التَّوحيد ولكن يَتْرُكُه لأَعْذَارٍ فمَعْرِفَته به لا تَنْفَع لتَرْكِه العَمَلَ به ٣٦٤

غَالِبُ أئمَّة الكُفْرِ يَعرِفُون الحقَّ ولم يَتْرُكُوه إلَّا لِشيءٍ مِن الأعذار ٣٦٥

الدَّليل على ذلك ٣٦٥

المثال الثَّاني: عَمِل بالتَّوحيد ظاهراً وهو لا يَفْهَمُه أو لا يَعْتَقِدُه بقلبه فهو مُنَافِق ٣٦٦

تعريف النِّفاق وأقسامُه ٣٦٧

أكثر النَّاس لم يُكمِل التَّوحيد بالقلبِ واللِّسانِ والعَمَلِ وهم فيه ثلاثة أقسام ٣٦٧

القسم الأوَّل: يَعرِف الحقَّ ولا يَعْمَل به ٣٦٨

القسم الثَّاني: يَعْمَل به ظاهراً لا باطناً ٣٦٨

القسم الثَّالث: الذي يَعْتَقِد ويَعْمَل ولا يَنطِقُ ٣٦٨

آيتان تَدلَّان على أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يَكونَ بالقلب واللِّسان والجَوَارح ٣٦٨

الآية الأُولَى ٣٦٩

وجه الدَّلالة من الآية: الذي يَتكَلَّم بالكُفْر أو يَعْمَل به خوفاً من نَقْصِ مَالٍ أو جَاهٍ أو مُدَارَاةً لأَحَدٍ أعظمُ ممَّن تكلَّم بكَلِمَة يَمْزحُ بها ٣٦٩
الآية الثَّانية ٣٦٩
لم يعذر اللَّه إلَّا المُكْرَه مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ٣٧٠
أمثلة غير المُكْرَه ٣٧٠
حالات مَنْ يُلجَأ على أن يَصْدُر منه الكُفْر ٣٧١
وجه الدَّلالة من الآية على أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يَكونَ بالقلب واللِّسان والعَمَل من جهتَيْن ٣٧١
الجهة الأُولَى: لم يَسْتَثْنِ اللَّهُ ممَّنْ صَدَر منه الكُفْر إلَّا المُكْرَه وعَقيدةُ القلب لا يُكرَه أحدٌ عليها ٣٧٢
الجهة الثَّانية: سبب كُفْره لِيَحْصُل له حظٌّ من حُظُوظ الدُّنيا ٣٧٢
فِهْرِسُ المَرَاجِعِ ٣٧٥
فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ ٣٧٧

مؤسَّسة طالب العلم للنَّشر والتَّوزيع
٤٤٨ ٩٠ ٦٠ ٥٠ ٩٦٦+

دار الدليقان للنَّشر والتَّوزيع

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

ردمك: ٩ ـ ٩٠٥٠ـ ٠٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨